كيغو هيغاشينو

تفاني المشتبه به

مكتبة X 525

الرواية الظاهرة في اليابان

5 جوائز 3 ملايين قارئ

المركز الثقافي العربي

مكتبة 525

كيغو هيغاشينو

تفاني المشتبه به X

t.me/t_pdf

مكتبة
t.me/t_pdf
٢٠١٩ ١١ ٥

العنوان الأصلي للرواية:
Yogisha X no Kenshin
by HIGASHINO Keigo

© 2005 HIGASHINO Keigo
All rights reserved

نُشرت الطبعة اليابانية الأصلية
عام 2005 من قِبل
Bungeishunju Ltd., Japan.

حقوق الترجمة العربية محفوظة
للمركز الثقافي العربي بموجب
ترخيص من
HIGASHINO Keigo, Japan,
بالتنسيق مع
Bungeishunju Ltd., Japan
وبواسطة
Japan UNI Agency, Inc., Japan.

الكتاب
تفاني المشتبه به X
تأليف
كيغو هيغاشينو
ترجمة
محمد بنعبود
الطبعة
الأولى، 2019
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-921-0
جميع الحقوق محفوظة
© المركز الثقافي العربي
الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: +212 522 305726
Email: markaz.casablanca@gmail.com
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01 750507 ـ 01 352826
فاكس: +961 1 343701
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

كيغو هيغاشينو

مكتبة 525

تفاني المشتبه به X

رواية

ترجمة: محمد بنعبود

المركز الثقافي العربي

1

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

غادر إشيغامي مَسكَنه كما جَرَت العادة على الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة. كان الجو أبردَ ممّا يكون عادة في هذا الشّهر الرّبيعيّ. انتهجَ طريقه مولجاً ذقنه في ساتر أنفه وألقى بنظرة على ظُلّة الدّراجات الهوائية قبل أن يُغادر المبنى، فلاحظ أنّ الدّراجة الخضراء التي يهمّه أمرها لم تكن مرصوفة بين باقي الدّراجات.

أدركَ بعد حوالي عشرين متراً شارعَ شين-أوهاشي الذي يقود إن سِرْنا يساراً، أي شرقاً، إلى مُقاطعة إدوغاوا، ويميناً إلى حيّ نيهونباشي، بعد اجتياز نهر السوميدا على الجسر الذي يحمل اسم شين-أوهاشي.

كان عليه لكي يصلَ إلى عمله أن يمشي قُدماً على الطّريق نفسه الذي يُفضي بعد بضع مئات من الأمتار إلى حديقة كيوسومي، الواقعةِ مُباشرة قبل الثّانوية الحرّة التي يُدرّس فيها.

انتظر إشيغامي تحوّل الضوء إلى الأحمر كي ينحرف يميناً، في اتّجاه الجسر. كانت الرّيح التي تهبّ في اتّجاهه تهزّ أذيال معطفه، فأولَج يديه في جيبيه وأدخَل رأسه بين كتفيه.

غَشَت السّماءَ سحائبُ كثيفة فانعكست ظلالها على الوادي وأظلمت لُجَينَه. اجتاز إشيغامي الجسر ناظراً إلى القوارب الصّغيرة

الصّاعدةِ النّهرَ، ثمّ نزل السّلم المفضي إلى الضّفة ومرّ تحت التسقيف وواصَل مشيه في الممرّ الممتدّ على الضّفة من هذه الجهة كما يمتدّ آخر على الضّفة المقابلة. لقد أُنشئ هذان الممرّان من أجل نُزهات العائلات والشّبان، لكن الجزء الواقع منهما بين جسرَي كيوسو وشين-أوهاشي قليلاً ما يرتاده المتنزّهون حتّى ولو في عطلة نهاية الأسبوع. أمّا في هذا الجزء حيث يوجد إشيغامي الآن، فسبب قلّة ارتياده هو أنّ مُتشرّدين أنشأوا فيه مآويَ مُؤقتة مُغطّاة بقلاع من البلاستيك الأزرق. جسور الطّرق السيارة الحضرية، في هذه الجهة، تحميهم من المطر والرّياح ما شكّل امتيازاً عند محتلّي هذا المكان. وما يُؤكّد هذه الفرضية غيابُ الأكواخ في الضّفة المقابلة، علاوة على أنّ تفضيل المشرّدين للحياة المشتركة هو عامل آخر يُفسّر هذا التجمّع الذي أقاموه ها هنا.

مرّ إشيغامي بخطىً مُنتظمة أمام الأكواخ الزّرقاء. أعلاها هو في طول قامة إنسان راشدٍ ولم تكن الأخرى تتجاوز في علوّها متراً واحداً، فتغدو أقرب إلى صناديق منها إلى مآوٍ. لكنّها كانت مع ذلك تُمكّن مَن يقبل النّوم فيها من حماية مُناسبة. وقريباً من الأكواخ كانت توجد متعلّقاتهم فيما يبدو فضاءً لحياتهم اليومية.

رأى رجلاً مُتّكئاً على مُنحدَر حاجز الأدراج يغسل أسنانه. إشيغامي يعرفه لكثرة ما رآه، يبلغ من العمر نحوَ ستّين سنة، شعرُ رأسه أبيض طويل معقودٌ إلى الخلف في شكل ذيل فرس. لا غرض له على ما يبدو في البحث عن العمل، وإلّا لكان قد غادَرَ هذا المكان سلفاً، لأنّ المشغّلين ينتقون مُرادَهم من العمّال في الصّباح الباكر. زيادةً على أنّ طريقة عنايته بشعره تُفصح عن أنّه لا يرتاد أبداً وكالة التّشغيل، لأنّها لن ترضى أبداً باستقبال رجل بمثل مظهره.

وفي جميع الأحوال، فإنّ نسبة حصوله على عملٍ في مثل سنّه تبقى قريبة من الصّفر.

وكان رجل آخر يقف بجوار كوخه وهو يسحَق عبوات فارغة. يراه إشيغامي باستمرار فلقّبه السّيد عبوة، في الخمسين من عمره، ملابسه نظيفة، يملك درّاجة هوائية يستخدمها من دون شكّ في جمع العبوات. كان مأواه يقع خلف مآوي الآخرين، فيبدو في مأمنٍ ومُحتلّاً مكاناً أثيراً، فاستنتجَ إشيغامي من ذلك أنّ السّيد عبوة هو أحد أقدم مُحتلّي هذا المكان.

وغير بعيد عن تجمّع الأكواخ جلس رجل على مقعدٍ مُرتدياً معطفاً وسخاً حالَ لونه إلى ما يُشبه اللّون الرّمادي بعد أن كان على ما يبدو فيما مضى أسمر فاتحاً، تحته سترة وقميص، فافترض إشيغامي أنّ ربطة العنق توجد مطوية في أحد جيوب سترته. منذ أن رآه إشيغامي يقرأ مجلّة تقنية لقّبه «المهندس». كان وجهه قد حلق للتّو، شعره مقصوص قصيراً، فبدا أنّ «المهندس» لم يكن قد تخلّى عن البحث عن عمل، فلربّما لديه النّية في التوجّه إلى وكالة التشغيل في وقت لاحقٍ من هذا اليوم. لكن من المحتمل ألّا يكون لجهوده من طائل، لأنّه لن يعثر على عمل إلّا بشرط التّخلي عن ادّعاءاته وتعاليه. كان إشيغامي قد رآه أوّل مرّة منذ حوالي عشرة أيام، إذ لم يكن «المهندس» حينها قد تأقلم بعد مع حياته الجديدة، وكان يعتبر نفسه مُختلفاً عن باقي سكّان هذه الأكواخ المصنوعة من البلاستيك الأزرق. وبالرّغم من أنّه متشرّد فإنّه لم تكن لديه أدنى فكرة عمّا هو بحاجة إليه كي يُواصل حياته في ظلّ هذه الشّروط.

واصلَ إشيغامي طريقه، فلمَحَ على قارعة جسر كيوسو امرأة عجوزاً تُجيل ثلاثة كلاب قميئة لكلّ منها قلادة بلون مختلف، أحمر

وأزرق ووردي. رأته من بعيد فحيَّته بابتسامة وردّ عليها بمثلها، وعندما اقتربا من بعضهما تبادَلا بضع كلمات.

- طاب يومك.

- طاب يومك، الجوّ بارد هذا الصّباح.

- صحيح، أجاب وهو يُكشّر بوجهه.

- أسعد اللّه يومكَ، ووفّقت في عملك، قالت وهما يتقاطعان في طريقهما.

- شُكراً لكِ، قال وهو يُنكّس رأسه.

سبق لإشيغامي أن رآها ذات يوم تحمل في يدها كيساً بلاستيكياً فيه ما قدّر أنّه أكل خفيف، ربّما كان هو فطورها، فاستنتج من ذلك أنّها تعيش وحيدة، غير بعيد من دون شكّ عن هذا المكان، لأنّها كانت تنتعل في بعض الأحيان صندلاً بلاستيكياً لا يُمكن لمرتديه قيادة السّيارة. ومن المفروض أنّها أرملة تقطن مع كلابها شقّة واسعة حتّى تكفيها وكلابها الثّلاثة، ولا يُمكنها مُغادرتها لشقة أصغر بسبب من ذلك. ربّما قد تكون أنهَت تسديد القرض الذي ابتاعت به شقّتها، لكن من المفروض أنّها لا تزال تُؤدّي ديوناً مرتفعة، ومن المؤكّد أنّ ميزانيتها مضغوطة للغاية لأنّها لم تَزُر الحلّاق طيلة فصل الشّتاء ولم تصبغ شعرها.

صعد إشيغامي السّلم الذي يقود إلى جسر كيوسو ليعبره مُتوجّهاً إلى الثّانوية، غير أنّه انعطف في الاتّجاه المعاكس.

كانت ثمّة لافتة تُعلن عن مطعم الوجبات الجاهزة «بنتنتيه»، فدفع إشيغامي الباب الأخضر ودلف.

- طاب يومكَ! قال صوت مُرحّبٌ قادم من الجهة الأخرى للكونتوار، والذي يبدو له كلّ يوم جديداً رغم أنّه صوت مألوف.

ابتسمت له ياسوكو هناووكا، المعتمرة قبّعة خفيفة بيضاء تُخفي شعرها.

لم يكُن بالمحلّ زبائن آخرون، فابتهج إشيغامي بذلك.

- أريد وجبتي المعتادة...

- حسنٌ! شكراً لك على إخلاصكَ لمحلّنا.

كان صوتها مُختلجاً، لكن إشيغامي لم يتبيَّن ما إن كانت تبسم له، لأنّ عينيه ظلّتا ثابتتين على حافظة نقوده، لا يجرؤ على رفعهما إليها. هما جاران، ويودّ أن يقول لها شيئاً آخر غير اسم الوجبة التي يُريدها، لكنّ الكلمات لم تُطاوعه، فنجح في أن يقول مُتلعثماً لحظة الأداء:

- الجوّ بارد، أليس كذلك؟

لم يكن قد رفَعَ صوته بما يكفي، فحجبَ ما قاله ضجيجُ الباب الذي دفعه زبون آخر. ولّت ياسوكو باهتمامها شطر القادم الجديد.

غادر إشيغامي المحلّ حاملاً علبة غذائه في يده وانطلق في اتّجاه الجسر. كان محلّ بنتنتيه هو السّبب الذي يجعله يحيد عن طريقه إلى الثّانوية.

ما إن مرّت الموجة الأولى من زبائن الصّباح حتّى استرجع المحلّ هدوءَه. بيد أنّ غياب الزّبائن لا يعني العطالة عن العمل، لأنّهم كانوا قد شرعوا سلفاً في إعداد وجبات الغذاء في المطبخ الواقع في خلفية المحلّ، فالمطعم مُرتبط مع عدّة شركات بعقودٍ تُلزمه بتسليم الطّعام قبل مُنتصف النّهار، وكانت ياسوكو تُقدّم عونها في الطّبخ عندما لا يكون بالمحلّ زبائن تخدمهم.

يشتغل، في المجمل، في محلّ بنتنتيه أربعة أشخاص. يقوم بأمور المطبخ يونيزاوا صاحب المحلّ وزوجته سايوكو، بينما كُلّف بإيصال الطّلبات للزّبائن رجل اسمه كانيكو، وتضطلع ياسوكو بالبيع.

قبل أن تعثر ياسوكو على هذا العمل، اشتغلت نادلة في حانة بحيّ كينشيشو كان يونيزاوا مُعتاداً على ارتياده، وكانت سايوكو زوجتُه مُشرفة على شؤونه، لكنّ ياسوكو لم تكتشف أنّهما متزّوجان إلّا قُبيل مُغادرتها الحانة، وكانت سايوكو هي التي أخبرتها بذلك.

كان بعض الزبائن قد اندهشوا من مغادرة سايوكو الحانَة كي تُساعد زوجها في مهمّته الجديدة، لكنّها صرّحت أنّها تحلم مع زوجها منذ زمن طويل بإقامة هذه التّجارة، وأنّها قد اشتغلت في هذا الملهى الليليّ رغبةً في تحقيق حلمهما.

ظلّت ياسوكو على اتّصال بسايوكو بعد مغادرتها الحانَة، ولمّا ازدهرت تجارة سايوكو بعد فتح محلّ بنتنتيه سألت ياسوكو إن كانت ترغب في المجيء لمساعدتها فقبلت. ذلك أنّ الأشغال كانت كثيرة فخشيا، هي وزوجها، إن لم يُشغّلا شخصاً ثالثاً، أن يُصيبهما الإنهاك.

- أنتِ لا يُمكنك أن تواصلي هذا العمل طوال حياتك. ميساتو تكبر وقريباً ستشعر بالعار من أنّكِ مُستخدمةٌ في حانة. أرجو ألّا تصدمك صراحتي، كانت سايوكو قد أضافت.

ميساتو هو اسم ابنة ياسوكو التي تعيش معها بمفردها منذ أن حصلت على طلاقها قبل خمس سنوات. وهي لم تكن قد انتظرت ملاحظة سايوكو كي تفهم أنّ وضعيتها بوصفها نادلة بالحانة لن تدوم إلى الأبد. كان عليها إذاً أن تُغادرها من أجل ميساتو أولاً، لكن أيضاً لأنّها على بيِّنة من أنّهم سيصرفونها عاجلاً أم آجلاً.

منذ سنة، ومباشرة قبل دخول ميساتو الإعدادية، كانت ياسوكو وابنتها قد سكنتا الشّقة المجاورة لشقّة إشيغامي، لأنّ مسكنهما السّابق بعيد عن محلّ بنتنتيه، كما أنّ مواقيت عمل ياسوكو قد تغيّرت فبدأت تلتحق بعملها باكراً. جعلت تستيقظ في السّادسة وتنصرف إلى عملها على درّاجتها الخضراء نصف ساعة بعد ذلك.

- هل أتى الأستاذ اليوم؟ سألتها سايوكو في فترة الرّاحة.

- كما يأتي كلّ يوم.

وتتبسّم سايوكو وزوجها ويتبادلان نظرة مُتواطئة.

- ما الذي يجعلكما على هذه الحال من التّسلية؟

- لا شيء، دَعِي عنكِ هذا! فنحن قد تساءلنا بالأمس ما إن كان هذا الأستاذ مُغرماً بكِ!

- ما الذي يجعلكما تقولان هذا؟ سألت ياسوكو مُنتفضة وهي تُمسك في يدها فنجان شاي.

- ألم تكوني بالأمس في عطلة؟ وإذاً فهو أيضاً لم يأتِ، أفلا يبدو لكِ مُثيراً للاستغراب أن يأتي أيّام عملك ويغيب في غيرها؟

- ليس ذلك إلّا مصادفة!

- أنتَ إذاً مُخطئ! خاطبت سايوكو زوجها باحثة عن موافقته.

فأقرّ يونيزاوا بحركة من رأسه، ضاحكاً.

- زوجتي تعتقد بذلك منذ مدّة وجيزة، فهو لا يأتي أبداً في الأيام التي لا تكونين في المحل، وعندما لم يأتِ بالأمس أيقنَت.

- ومع ذلك فإنّ يوم عطلتي ليس دائماً هو اليوم نفسه، إذ يتغيّر باستمرار.

- هذا تحديداً هو المريب في الأمر. أليس هذا الأستاذ جارَك؟

أنا أعتقد أنّه يعرف إن كنت تشتغلين أو لا تشتغلين، لأنّه يراكِ تُغادرين صباحاً.

- ومع ذلك فأنا لا أُصادفه البتّة في ساعة مغادرتي.

- أتصور أنّه يُراقبكِ من النّافذة.

- لا أعتقد أنّ بإمكانه مُشاهَدَتي من شقّته.

- لكن لا بأس بذلك، فإنْ كان له ضعفٌ ما تُجاهك سيُخطرك به عاجلاً أم آجلاً. وفي جميع الأحوال فإنّ الأمر في صالحنا ما دمنا نحظى بفضلك بزبون قارّ. لقد أفادتنا تجربتك التي حصّلتها من كنشيشو، قال يونيزاوا مُنهياً حديثه.

ابتسمت ياسوكو على مضض وهي تُنهي فنجان شايها، مُفكّرة في الأستاذ موضع النّقاش.

اسمه إشيغامي، وكان قد أتاها مُحيياً عندما حلّت بشقّتها الجديدة. كانت يومئذٍ قد علمت أنّه مُدرّس. قصير القامة بدينٌ، ذو وجه مُستدير يميل إلى الكبر وعينين مُمعنتَين في الضّيق، شعره القصير خفيف قليلاً، يبدو في سنّ الخمسين تقريباً، لكن ربّما كان أصغر من ذلك. من المفروض أنّه لا يولي مظهره اهتماماً لأنّه دائماً ما يتزيّا بالطّريقة نفسها. فقد ارتدى هذا الشّتاء بعامّة كنزة رمادية تحت معطف لا يكون من دونه أبداً عندما يأتي صباحاً. بيد أنّه هو مَن يتكفّل باستمرار بغسيل ملابسه ونشرها في الشّرفة، فلم يُساور ياسوكو شعور بأنّه قد سبق له أنّ تزوّج من قبل.

لم يُحدث لديها أيّ أثرٍ سماعُها أنّ لهذا الرّجل ميلاً تجاهها، فهي كانت تعي وجودها بالطّريقة نفسها التي تعرف بها أنّ ثمّة شقوقاً

على جدران شقّتها. لذلك لم تُولِ ما سمعته أدنى اهتمام ولم ترَ ضرورةً لفعل ذلك.

كانا يتبادلان التّحية عندما يتقاطعان وقد سبقَ له أن سألَها النّصيحة حول العناية بالبناية. لم تكُن تكاد تعرف عنه أيّ شيء، وقد اكتشفت حديثاً أنّه مُدرّس رياضيات عندما بدأت ترى كُتباً مدرسية مربوطة في حزم أمام بابه.

علّه لا يطلب منّي أن أخرج معه، قالت في سرّها، وابتسمت على الفور مُتسائلة مع نفسها ما سيكون مظهر هذا المخلوق العابس وهو يُلقي على مسمعها بهذا الاقتراح.

وكما هي الحال كلّ يوم، سادت المحلّ حركةٌ دائبة في نهاية فترة الصّباح، وأضحى الزّحام شديداً في وقت الغداء. كان ذلك جزءاً من الرّوتين اليوميّ للمحلّ.

كانت ياسوكو آخذة في تغيير شريط ورق صندوق آلة الأداء عندما فُتح الباب ودخل زبون. رفعت بصرها لتحيته، فبهتت. جحظت عيناها وأصابتها الدّهشة بالخرس.

- يبدو أنّ شؤونك تمشي بالأحرى نحو الأحسن.

وابتَسَمَ لها مخاطبُها، غير أنّ نظرته كانت غائمة.

- لكن... فيمَ وجودُكَ هنا؟

- لا داعي لهذا الاستغراب كلّه، أتعتقدين أنّني أَعجَزُ من أن أعثرَ على زوجتي السّابقة؟

أولج الرّجل كفّيه في جيبَي معطفه الأزرق السّماوي وجال المحلّ ناظراً بعينين مُتفحّصتين.

- ما مُرادك منّي؟ عقّبَت بنبرة حادّة، لكن من دون أن ترفع صوتها حتّى لا تُثير انتباه آل يونيزاوا الموجودين في خلفية المحلّ.

- لا تغضبي! لم نلتقِ منذ مدّة طويلة، أليسَ بإمكانك على الأقلّ أن تتظاهري بالتّبسّم؟ قال بنبرة مُتهكّمة.

- إن لم تكُن لك رغبة في شيء، انصرِفْ.

- بالطّبع لدي رغبة في شيء. أُريد وجوباً مُحادثتكِ، أبإمكانكِ المغادرة الآن؟

- يا له من سؤال غبيّ! ألا ترى أنّني مشغولة جدّاً؟

تحسّرت ياسوكو مُباشرة بعد تلفّظها بالجملة لأنّه سيفهم ممّا قالته أنّها تُوافق على مُحادثتِه إن لم تكُن مشغولة.

مرّر الرّجل لسانه على شفتيه.

- في أيّ ساعة تُنهين عملكِ؟

- لا رغبة لي البتّة في مُحادثتكَ. انصرف من فضلك ولا تعُد أبداً.

- أنتِ غير لطيفة.

- أنتَ على دراية تامّة بالسّبب.

وحوّلت عينيها في اتّجاه الباب مؤمّلة عبثاً في مقدَم زبون.

- ما دُمتِ لستِ لطيفة معيّ سأجدني مُرغماً على الذّهاب هناك. أنتِ لم تتركي لي خياراً آخر، قال وهو يحكّ قفاه.

- ماذا تقصد بهناك؟ سألت وقد تملّكها إحساس قبليّ سيّئ.

- ما دامت زوجتي تأبى مُحادثتي سأكون مُضطرّاً لمحادثة ابنتها. ألا توجد إعداديتها في الجوار؟

كان ذلك تحديداً هو ما تخشاه.

- دعها في منأىً عمّا بيننا!

- أنت مُضطرّة في هذه الحالة للاستماع إليّ. أنت أو هي، الأمر سيان، لأنّكما معاً تفيان بالغرض.

تنهّدت ياسوكو لأنّ عليها أن تصرفه بأيّ حال.

- أُنهي عملي في السّادسة.

- تشرعين في عملك باكراً ولا تُنهينه إلّا في السّادسة؟ هذا وقت طويل، أيّ كلام هذا!

- لا دخلَ لكَ في ذلك.

- حسنٌ، أمرّ ثانية في السّادسة.

- كلّا، لا أُريدك أن تعود. نلتقي في السّادسة والنّصف في المطعم العائلي الذي يقع قبل مُفترق الطّرق، بعيداً قليلاً، على يمين الجادّة.

- موافق، لكن لا تخدَعيني، وإن فعلتِ...

- سأحضر، والآن انصرِفْ.

- حسن، أنت قاسية في مُعاملتي.

ألقى نظرة أخيرة حوله وخرج مُصفقاً الباب بعنف.

وضعت ياسوكو كفّها على جبهتها لأنّها شعرَت بألم خفيف في رأسها وبرغبة في القيء، فاجتاحتها دفقةُ يأس.

كانت قد اقترنت بشينجي توغاشي قبل ثماني سنوات، في أثناء اشتغالها نادلة في نادي أكساكا وكان هو أحد مُرتاديه الدّائمين.

كان توغاشي، تاجرُ السّيارات الأجنبية، يُقدّم لها نفسه بطريقة باهرة ويصطحبها إلى مطاعم فاخرة ويُقدّم لها هدايا نفيسة. وعندما طلبها للزّواج كانت قد أحسَّت بنفسها وكأنّها جوليا روبيرتس في فيلم **السّيدة الجميلة**. ولمّا طُلّقت منه اهتمّت بتربية ابنتها فأتعَبَتْها الحياة التي كانت تعيشها.

عاشت معه في البداية حياةً راضية. فلأنّه كان يحظى بدخل قارّ

وكافٍ، مكّنها من مُغادرة حياة اللّيل، علاوة على أنّه كان يُعامل ميساتو بطيبة، وأجهَدَت ابنتها نفسها كي تقبَله أباً جديداً لها.

غير أنّ ذلك لم يستمرّ، لأنّ توغاشي فُصِلَ من عمله بسبب اكتشاف مُشغّله تحويلَه بعض المال لحسابه منذ مدّة طويلة. وتفادياً لأيّ ضجّة لم يُبلّغ عنه، فاتّضح أنّ المال الذي كان يُظهر به علوّ شأنه في أكساكا لم يكن مُحصّلاً بطريقة نزيهة.

لذلك انقلبَ من النّقيض إلى النّقيض، وبذلك أبدى وجهه الحقيقيّ. أضحى عاطلاً لا يفعل شيئاً بياض أيامه ولا يخرج إلّا لمعاقرة القمار، ويغدو عنيفاً معها كلّما أبدَت تبرّمها. كان يُفرط في الشّراب فاستحال شخصاً قاسياً بسبب الكحول.

وجدت ياسوكو نفسها مُرغَمَة على العودة إلى العمل، وجعل توغاشي يضربها كي تُسلّمه أجرها. وبما أنّها كانت تُخفي عنه المال الذي تربَحه فقد اعتاد ارتيادَ الحانة التي تشتغل فيها يوم قبض الرّاتب كي يحصل على أجرها قبلها.

ساور الخوف ميساتو من حال توغاشي الجديدة، فبدأت تكرَه أن توجد معه رأساً لرأس، حتّى أنّها بدأت تأتي بمفردها ليلاً إلى الحانة التي تشتغل فيها أمّها.

ولمّا أخبرته ياسوكو برغبتها في الطّلاق، أبى الاستماع إليها، وإن ألحّت على ذلك غدا عنيفاً، فانتهى بها الأمر أن حدّثت في ذلك محامياً قدّمه لها أحد زبائن الحانة، فقبل توغاشي بفضله توقيعَ طلب الطّلاق، لأنّه كان قد أدرك أنّه، إنْ رفَضَ الطّلاق بالتّراضي، ستقوم في حقّه بإجراء قضائيّ طويل لا يُمكنه في نهايته أن يحصل على شيء، بل سيُفرَض عليه أن يُعوّض ياسوكو.

بيد أنّ الطّلاق لم يحلّ كلّ مشاكلها، لأنّ توغاشي واصَلَ

إزعاجها. راحَ يبحث عنها ويعِدها بأنّه سيُغير من سلوكه وأنّه سيبحث عن عمل، مُلتمساً منها مَنحه فرصة جديدة. ولمّا رفضت لقاءه أخذ يُزعج ميساتو ويحُوم حول باب مدرستها.

كانت ياسوكو تذهَل عندما يقف أمامها مُبدياً خضوعه رغم أنّ حيلته لم تكُن تنطلي عليها، فلربّما كانت لا تزال تحتفظ بين جوانحها بشعور ما تجاه هذا الرّجل الذي كان من قبل زوجها، فانتهَت إلى تسليمه بعض المال، ما يُعدّ خطأ فادحاً من جانبها. غدَت زيارات توغاشي أكثر تواتراً، ورغم إبدائه خضوعَه أضحى أكثر صلفاً.

غيّرت ياسوكو مقرّ عملها وسكناها ولامَت نفسها على جعلها ابنتها تُغيِّر مدرستها. عندما كانت بدأت عملها في العلبة اللّيلة كينشيشو كَفّ عن مُضايقتها، كما لم تعُد تسمع عنه شيئاً خلال السّنة التي تلت تغييرها مسكنها لتكون قريبة من محلّ بنتنيه، فاعتقدَت أنّها قد تخلّصت منه.

لم تكُن ياسوكو تُريد إزعاج آل يونيزاوا، وكان من الضّروري تفادي أن تُلاحظ ميساتو أيّ شيء، فرامت التّخلّص بشكل نهائيّ من هذا الرّجل مهما كلّفها الثّمن، وجعل تصميمها يغدو أصلبَ مع انصرام الزّمن.

حلّ وقت الموعد فانطلقت نحو المطعم العائلي. وجدَت توغاشي جالساً إلى مائدة بجوارِ نافذة وهو يُدخّن سيجارة، أمامه فنجان قهوته. جلست وطلبت فنجان شوكلاتة ساخنة. كان المحلّ يقترح على الزّبائن ممّن يختارون شراب الصّودا كأساً ثانية مجّانية، لكنّ ياسوكو لم تكُن لها نية البقاء مدّةً طويلة.

- ما الذي تبغيه منّي بالضّبط؟ سألَت وهي تُثبّت بصرها في عينيه.

عَبَرَت وجهه بَسمَة خافتة.

- تبدين مستعجِلَة.

- لا وقتَ لي أُضيعهُ. أشغالي كثيرة، هيا قُلْ بسرعة.

- ياسوكو، قال وهو يمدّ كفّه في اتّجاهها.

سحبَت بهمّة كفّها الموضوعة على المائدة، فأبدى خيبة أمله.

- مزاجكِ سيّئ.

- أيُدهشكَ ذلك؟ ما الذي تُريده منّي، ولماذا تعمَل على إزعاجي؟

- أليس بإمكانكِ أن تُحدّثيني بطريقة مُختلفة؟ ألم تُلاحظي جدّيتي؟

مكتبة
t.me/t_pdf

- ماذا تقصد بجدّيتك؟

أحضرَت النّادلة الشّوكلاتة السّاخنة، فأمسَكَت ياسوكو على الفور بالفنجان بين كفّيها، وهي تنوي احتساءه والمغادرة.

- أليست حياتك خاليةً من أيّ رجل؟ سأل توغاشي وهو ينظر إليها من أعلى.

- هذا لا يعنيك في شيء.

- من الصّعب على امرأة وحيدة أن تُربّي طفلة. سيُكلّفك ذلك ثمناً غالياً، ولا شيء يضمن لك النّجاح في مهمّتك مع استمرارك في العمل في هذا المطعم. ألا تُريدين منحي فرصة ثانية؟ ألا تعلمين أنّني قد تغيَّرت؟

- كيف تغيّرت؟ هل حصلتَ على الأقلّ على عمل؟

- بالطّبع، لقد حصلتُ لتوي على شيء من ذلك.

- وإذاً فأنتَ إلى هذه اللّحظة مُفلسٌ.

- ما دُمتُ أقول لكِ إنّني حصلتُ على شيء! سأشرَع في العمل

الشّهر القادم، لأنّ الشّركة بدأت لتوّها، وإن مشَت الأمور كما أُحبّ سيكون بمقدوري أن أُوفّر لكِ حياة رائعة.

- لا شكراً، وإن حصلتَ على راتبٍ جيد لن تجد صعوبة في العثور على امرأة أُخرى غيري. دعني وشأني من فضلك.

- لا يُمكنني أن أعيش من دونك يا ياسوكو.

ومدّ من جديد كفّه ليُمسك بكفّها الحاملة فنجان الشّوكلاتة.

- لا تلمسني! صاحَت وهي تسحَب يدها.

سقطت بضع قطرات من المشروب على كفّ توغاشي فأطلقَ صرخة مفاجئة وسحَبَها، ناظراً إليها شزراً.

- لا تُتعب نفسك في حكي خزعبلاتك. وعلى أيّ حال، فأنت لا تعتقد أنّني سأصدّقك. من المستحيل بالكلّية أن أعود إلى إقامة علاقة معك، ويجدر بك الكفُّ عن الاعتقاد بإمكانية حصول ذلك. أتفهم ما أقوله لك؟

نهضت ونظرت إليه صامتة ووضعَت ثمن مشروبها السّاخن على المائدة وانصرَفَت.

ركِبَت درّاجتها الهوائية وشرعت تدوِّس، رافضة رفضاً باتّاً أن تَهبَه أيّ فرصة للّحاق بها. أدركَت شارع جسر كيوسو فعَبَرَته وراحت يساراً.

لقد قالت له ما كانت تودّ قوله، بَيْدَ أنّها لم تكُن تعتقد أنّه سيرعوي. سيأتي قريباً إلى المحلّ وسيُضايقها وسينتهي لا محالة بإزعاج مُشغّلها، وربّما ذهب إلى إعدادية ميساتو. هو سينتصر في النّهاية وستُسلّمه مالاً، هي تعرف ذلك.

عادت إلى بيتها وراحت تُعدّ العشاء. لم يكن أمامها إلّا أن تُسخِّن ما أتَت به من محلّ بنتنتيه، وهي مهمّة غاية في السّهولة،

لكنّها وجدت مع ذلك صعوبة بالغة في القيام بها. كان توجّسها المتزايد يَحُول بينها وبين التّركيز فيما تقوم به.

ستأتي ميساتو قريباً، فهي ما أن تنتهي من حصّتها التّدريبية في نادي البادمنتون الذي تنتمي إليه، وتتبادلَ بعض الثّرثرة مع رُفقائها، حتّى تأخذ طريق العودة. عادة ما تأتي في حدود السّابعة مساءً.

رنّ جرس الباب فتوجّهت ياسوكو إلى المدخل وقد اجتاحها مُسبقاً إحساس سيّئ، لأنّ لميساتو مفتاحَها الخاصّ.

- مَن بالباب؟ سألَت من دون أن تفتح.

- هذا أنا، أجاب صوت ذكوريّ بعد لحظة.

خُيّل لياسوكو أنّ كلّ شيء حولها تسربَل بالظّلام. ما كانت تخشاه حصل، فتوغاشي على علمٍ بمسكنها. من المفروض أنّه قد تعقّبها انطلاقاً من المطعم في غفلةٍ منها.

ولمّا لم تُجِبْه شرع ينقر على الباب.

- هيه!

أدارت المفتاح في القفل مُميلة رأسها جانباً، لكنّها لم تُزِحْ سلسلة الأمان.

انفرج الباب بمقدار عشرة سنتيمترات تقريباً وبدا وجه توغاشي. ابتسم ملء فمه حتّى ظهرت أسنانه المصفرّة.

- انصرِفْ، لماذا أتيت إلى بيتي؟

- لا تزال لديّ أمور أُخرى أُريد مُحادثتكِ فيها. لماذا أنتِ نافدَة الصّبر هكذا دائماً!

- ألم أطلُب منك أن تتركني وحالي في سلام؟

- بإمكانكِ على الأقلّ أن تستمعي إليّ، دعيني أدخُل.

- كلّا، انصرِفْ.

- حسن، إن كنتِ تَرَين الأمر هكذا فسأنتظرُ ها هنا. لن تتأخرّ ميساتو في القدوم، وما دُمتِ ترفضين الاستماع إليّ سأحدّثها هي.

- هي لا دخل لها في هذا كلّه.

- إن كنتِ تَرين الأمر كذلك، دعيني أدخل.

- سأستدعي الشّرطة.

- هيا افعلي، إن كان ذلك يروق لك. أنا لا أؤاخِذ نفسي بشيء. إنّما أتيتُ للقاء زوجتي السّابقة، هذا كلّ ما في الأمر، وستكون الشّرطة في جانبي وسترين أنّهم سيسألونك عن السّبب الذي يجعلكِ ترفضين تَركي أدخلُ بيتك.

عضّت ياسوكو شفتيها، فهي على بيِّنَة من أنّه على حقّ. فلطالما نادت الشّرطة لكن لا شرطياً واحداً قام بأدنى حركة لمساعدتها.

- لا يُمكنكَ أن تمكث في بيتي مُدّة طويلة.

- أعرف، قال بنبرة المنتصِر.

أغلقت الباب لفكّ سلسلة الأمان ثم أعادت فتحه. خلعَ نعله وهو يتفحّص بفضول هذه الشّقة المكوّنة من غرفتين. على جانب المدخل غرفة الاستقبال مع زاوية على اليمين اتُّخِذَت مطبخاً، وبعدها غرفة صغيرة مفروشة هي أيضاً بسجاد، مع شرفة.

- ليست الشّقة واسعة ولا جديدة كلّ الجدّة، لكنّها ليست سيئة، قال مُعلّقاً وهو يأخذ مكانه بلا خجل على المائدة المُدفِئة[1] وسط الغرفة.

---

(1) مائدة مُدفِئة (Kotatsu): اختراع يابانيّ، وهي مائدة توصَل بالكهرباء عليها غطاء دافئ، يُجلَس إليها ويُستدفأ بها شتاءً.

- مائدتكِ المُدفئة ليست موصولة بالكهرباء! قال وهو يضغط زرّ القاطع الكهربائيّ.

- أنا أعرف ما الذي تنتظره منّي، قالت واقفة مُصوّبة بَصَرها نحوه. يمكنكَ أن تقول لي ما تشاء، لكنّك هنا من أجل المال.

- كيف؟ ما الذي تقصدينه؟

أخرَجَ توغاشي من جيبه علبة سجائر وأخذ واحدة أشعَلَها بقدّاحة رخيصة ونظر حوله. لم يرَ منفضة، لكنّه لمح علبة تصبير فارغة مُلقاة في القمامة القابلة لإعادة التّدوير فأسقط فيها رماد سيجارته.

- كلّ ما تُريده منّي هو المال، ألا ترى أنّني مُحقّة فيما أقول؟

- هذا شأنكِ إن كان ذلك رأيكِ.

- لكن لا نية لي في أن أُعطيكَ إياه.

- حقّاً؟

- يمكنكَ إذاً الانصراف، على ألّا تعود إلى بيتي أبداً.

ما إن أنهَت كلامها حتّى انفتح باب المدخل ودخلت ميساتو مُرتدية زيها المدرسيّ. تسمّرت لحظة في مكانها وهي تُلاحظ أنّ أمّها ليست وحيدة، وعندما تعرّفت توغاشي ارتَسَم على محياها تعبير امتزَجَت فيه الخيبة بالخوف، فانزلق من كفّها مضرب البادمنتون.

- ميساتو! لقد مرّ وقت طويل! كم كبرتِ! قال بإهابٍ خادع.

ألقَت ميساتو نظرة على أمّها وتخلّصت من حذائها ودخلَت الغرفة من دون أن تنبس ثمّ قصدت غرفةَ عمقِ الشّقة وسحبت خلفها الباب المنزلق.

- أنا لا أدري أيّ تهيؤاتٍ تُخامرُ ذهنكِ، لكنّني أتيتُ بقصد

التّصالح معكِ ولا شيء غير ذلك. أأكون قد أخطأت؟ قال من جديد بلا مُبالاة.

- قلت لكَ إنّ هذا لا يهمّني. وعلى أيّ حال فأنتَ نفسك لا تُصدّق ما تقول. السّبب الوحيد لوجودك هنا هو مُتعتُك في مُضايقتي.

كانت واثقة من أنّها على صواب. شغّل توغاشي التّلفاز من دون أن يردّ بشيء، فظَهَرت رسوم متحرّكة على الشّاشة.

تنهّدت ياسوكو وذهبت إلى المطبخ. كانت حافظة نقودها مودَعة في دُرْجِ دولاب إلى جانب حوض غسل الأواني، فأخرَجَت منها ورقتين من فئة عشرة آلاف ين.

- هذا كلّ ما باستطاعتي تقديمُه لكَ، قالت وهي تضعهما على المائدة المُدفِئَة.

- ماذا تفعلين؟ لقد اعتقدتُ أنّكِ لن تُسلّميني سنتيماً واحداً.

- هذه آخر مرّة.

- أنا لا رغبةَ لي في مالك!

- أنتَ لا رغبة لك في الانصراف فارغ اليدين. من المرجّح أنّك تُريد أكثر من هذا المبلغ، لكنّني لا أقدِرُ على أكثر منه.

تفحّص توغاشي الورقتين الماليتين ثمّ ياسوكو.

- لا فائدة! حسن، سأنصرف. لكن دعيني أُذكّرك بأنّني لا حاجة لي بمالكِ، وقد سلّمته لي لأنّك أنتِ رغبتِ في ذلك.

وضَعَ الورقتين في جيب معطفه وألقى بالعقب في المرمدة المرتجلة وانتصب واقفاً. لكن بدلَ أن ينعطفَ إلى المدخل خطا في اتّجاه غرفة عمق المسكن وسحَبَ الباب المنزلق فأطلقت ميساتو صرخة حادّة.

- لكن، ماذا تفعل؟ صاحت ياسوكو.

- أيُزعجكِ أن أودّع ابنة زوجتي؟

- ما عادت ميساتو تُشكّل شيئاً بالنّسبة لك الآن.

- وماذا بعد؟ حسن، سلام يا ميساتو وإلى مرّة قادمة، قال وهو يتقدّم خطوة نحوها.

لم تكن ياسوكو ترى ابنتها من المكان الذي توجد فيه.

عادَ توغاشي على عقبيه مُتظاهراً بالانصراف.

- هي تُصبح أكثر جمالاً فأكثر، في أيّ سنّ...

- أأنتَ في حاجة حقّاً إلى التّلفّظ بهراءٍ مثل هذا؟

- كيف تعتبرين كلامي هراءً؟ بعد ثلاث سنوات ستأتيك ميساتو بالمال، لأنّكِ لن تجدي أدنى صعوبة في العثور لها على عمل.

- كُفّ الآن عن هذا. هيّا عجّل بالانصراف.

- سأنصرف، سأنصرف، وسأعود.

- لا مجال لذلك.

- مَن يَعِشْ يرَ.

- اسمَع...

- سأقول لكِ أمراً. أنتِ لن تستطيعي الهروب منّي. لا مجال إذاً حتّى للتّفكير في ذلك، قال ساخراً وهو ينحني لارتداء حذائه.

عندئذٍ تبينت ياسوكو صوتاً خلفها فالتفتت ورأت ميساتو وهي لا تزال مرتدية زيّها المدرسيّ، واقفةً بجانبها مُشهرةً شيئاً ما في يدها.

لم يُسعف الوقتُ ياسوكو لمنع ابنتها ولا لمحادثتها. انهالت ميساتو مرّات مُتعدّدة على مُؤخّرة جمجمة توغاشي فهوى وسط صخبٍ صامت.

2

أرخت ميساتو قبضتها عن الأداة التي كانت تُمسك بها، وهي مزهرية نحاسية كان محلّ بنتنتيه قد قدّمها هديّة لمن حَضَرَ حفل افتتاح المحلّ.

- لكن يا ميساتو... أسرّت ياسوكو وهي تُحملِقُ في ابنتها.

كانت المراهقة جامدة في مكانها وهي تنظر أمامها من دون أن ترى شيئاً.

لحظة بعد ذلك جَحَظَت عيناها وثبّتت بصرها على مكانٍ خلف أمّها.

التفتت ياسوكو في اللّحظة التي نهض فيها توغاشي مُترنّحاً، وجهه مُتميّز وهو يضغَط بإحدى كفّيه على مُؤخّرة رأسه.

- أيها ال... صاحَ وهو يرميهما بنظرة ملؤها الحقد.

ظلّت ميساتو ساهمة فترنّح ثمّ خطا خطوة نحوَهما. وقَفَت ياسوكو أمام ابنتها بنيَّة حمايتها.

- توقّف!

- أفسحي!

أمسَكَها من ذراعها وقَذَفَ بها باتجاه الحائط فاصطَدَم وركاها به بعنف، ثمّ أمسك ميساتو من كَتِفها وهي تُحاول الإفلات منه. ضَغَطَ

عليها بكلّ قوته فجَثَت، فهوى عليها بجَسَده وأمسَكَ شعرها بكفٍّ وصفَعَها بالأخرى.

- سأقتلكِ، قالَ مُزمجراً بصوتٍ خالٍ من أيّ نبرة إنسانيّة.

سيَقتُلها، أسرّت ياسوكو لنفسها. إن تَرَكته يفعَل ستموت.

التفَتَت حولها فرأت حبلَ الواصل الكهربائي للمائدة المُدفِئة فسحَبَتْه من منشب التيار. كان طرفه الثّاني لا يزال موصولاً بالأداة المُدفئة تحت سطح المائدة، لكنها انتشلته بعنفٍ نحوها.

اقترَبَت من دون ضجيج خلفَ توغاشي الذي كان يواصل سحقَه لميساتو تحتَه صارخاً ومرَّرَت الحبل حول عنقه وسحبَت بكلّ ما أوتيت من قوة.

أصدَرَ صوتاً أجشّ وسقطَ إلى الخلف. بدا أنّه قد أدرَكَ ما يحصل له فحاول أن يُرخي بأصابعه الحبل المشدود حول عنقه، لكنّها لم تُخفّف من ضغطها لأنّ هذا الحبل كان هو فرصتها الوحيدة والأخيرة، فإذا ما أخفقت في سعيها لن تستطيع أبداً صدّ طير الشّؤم هذا عن اضطهادهما، هي وابنتها، فيما تبقّى من عمرهما.

لكنّها لم تكُن قادرة على السّير برغبتها إلى نهايتها، إذ جَعَلَ الحبل ينزلق بين كفّيها.

فجأة أمسكَت ميساتو بأصابع توغاشي وهو يُحاول أن يُرخي شِدّة الحبل، ووقَعَت فوقَه لتمنعه من التخبّط.

- بسرعةٍ، أمّاه، بسرعة! قالت صارخة.

لم يكُن لياسوكو وقتٌ للتّفكير، فأغمَضَت عينيها وسحَبَت الحبل بكلّ قوتها. تَسارَع وجيبُ قلبها وسمعَت الدّم يخفق في صدغيها وهي تُواصل مهمّتها.

لم تعرف كم انصَرَم من الوقت وهي مسترسِلَة في شدّ الحبل، ولم تستعِد رُشدها إلّا بسماعها صوت ابنتها تُناديها بخفوت.

فتحت عينيها ببطء، لا تزال كفّاها مُمسكتين بالحبل.

رأت رأس توغاشي قريباً جدّاً منها. اتّخذت عيناها هيئةً مُزَجَّجَة وبدا أنّها تتفرّس الفراغ أمامها.

كانت العروق الصّغيرة التي انفجرت تحت جلد وجهه قد صبغته بلون بنفسجيّ داكن. غاصَ الحبل عميقاً في لحم عنقه وترَكَ فيه ندباً أزرق غامقاً.

ما عادَ يتحرّك، يسيل خيط لُعاب من فمه ومُخاط من أنفه.

أرخَت ياسوكو قبضتَيها عن الحبل الكهربائيّ وهي تُطلق صرخة حادّة. اصطَدَم رأس توغاشي بالبساط مُصدِراً صوتاً خافتاً، لكن لم تصدر عنه نأمة واحدة.

كانت ميساتو لا تزال مُمتطية جسده فانسحَبَت مرتَسِماً على محيّاها رعبٌ ظاهر، وقد تجعّدت تنّورة لباسها المدرسي. جلسَت على البساط مُسنِدَة ظهرها إلى الحائط لا تُغادر توغاشي ببصرها.

قضت يازوكي وابنتها بضع دقائق صامتتين وهما تُراقبان جسد الرّجل الهامد. بدا لياسوكو أنّ أنبوب الكهرباء الفلوريّ يئزّ بقوة أكبر من المعتاد.

- ما العمل... تمتمت ياسوكو، فارغة الذّهن، لقد قتلناه.

- أماه...

التفتَت نحو ابنتها عندما سمعَت صوتها فوجدَت وجهها شاحباً، بَيْدَ أنّ آثار دموع كانت تبدو في عينيها المحتقنتين، فلم تدرِ في أيّ وقتٍ بكَت ابنتها.

ثبّتت بصرها على توغاشي. راوَدَتها، في آن، فكرة أن تلمَح على محياه علامة تدلّ على أنّه لا يزال يتنفّس، وأن تتيقّن من أنّه ما عاد قادراً على ذلك. لكنّها تأكّدت من أنّه قد مات حقّاً.

- كلّ ما حصل... حصل بسبب ما اقترفه، قالت ميساتو وهي تُثني ساقيها لتضغط رُكبتيها بين ذراعيها.

ثمّ أولجت وجهها بينهما وراحت تنتحب.

- ما الذي سنفعله، تمتمت ياسوكو من جديد.

عندئذٍ رنّ جرس الباب، فارتعش جسدها كلّه من قوة المفاجأة.

رفعت ميساتو رأسها فلمعَت دموع على خدّيها. تبادلت الأمّ نظرة مع ابنتها. مَن الذي عساه يأتي في مثل هذا الوقت؟

طرقت كفٌّ البابَ، ونادى صوت ذكوريّ:

- السّيدة هناووكا!

لم تستطِعْ ياسوكو أن تقرن على الفور هذا الصّوتَ باسمٍ معيّن، بيد أنّها تعرفه. كانت عاجزة عن الحركة تماماً كما لو كانت مُقيّدة. واصلت الأم والابنة تبادل النّظرات.

طرق الشخصُ الباب من جديد.

- السّيدة هناووكا، السّيدة هناووكا!

الغريب الواقف خلف الباب يعرف أنّهما موجودتان، فوجبت إجابته، غير أنّه لم يكن في إمكانها فتح الباب وشقّتها على هذه الحال.

- اذهبي إلى الغرفة الثانية وأغلقي الباب خلفكِ، تمتمت ياسوكو وقد جعلت تستردّ تعقّلها.

سمعَت طرقاً جديداً، فتنفست بعمق.

- نعم، أجابت وهي تُرغم صوتها على أن يصدر في نبرة عادية، ما بدا لها أمراً يفوق قدرة البشر. مَن بالباب؟

- جاركما، إشيغامي.

ارتعدت ياسوكو. من المفروض أن تكون الجلبة التي أحدثتاها غير عادية، ومن المؤكّد أن يكون جارهما قد استراب الأمر. هذا ما يُفسّر مَقدَمَه لطرق بابهما.

- لحظة، أنا قادمة.

أجهَدَت نفسها أن تتحدّث بطريقة عادية، لكنها تجهل ما إن كانت قد أفلحت في ذلك!

كانت ميساتو في الغرفة الصّغيرة بعد أن أزلقت خلفها الباب. شملت ياسوكو توغاشي بنظرة. لا بد من الإقدام على شيء.

لم تكن المائدة المُدفِئة في مكانها، ومن المحتمل أن يكون السّبب هو سحبها الحبل. نقلتها من مكانها وأخفَت الجثة تحت غطائها الصّوفي الموضوع عليها. بدت المائدة مُحتلّة مكاناً غريباً، لكن ما حيلتها ليكون الأمر على نحو آخر.

توجّهت نحو باب المدخل بعد أن تأكّدت من أنّ ملابسها مرتّبة. وقعت عيناها على نعل توغاشي الموحِل، فحشرَته في دولاب الأحذية.

ثبّتت سلسلة الأمان وهي تحرص ألّا تُحدث ضجيجاً. لم يكن الباب مُحكم الإغلاق فأعربت عن ارتياحها من أنّ إشيغامي لم يُقدم على فتحه. أفرجت الباب فبدا لها رأس جارها الضّخم المستدير، وقد وجّه عينيه الضّيقتين نحوها. كان وجهه خالياً من أيّ تعبير، وبدا لها مُقزّزاً.

- ما حاجتك؟ سألته باسمة وهي تشعر بالضّغط يشدّ عضلات وجهها.

- سمعتُ ضجيجاً رهيباً، أجابَ جارها من دون أن يُفارق تعبيرُه غير القابل للاختراق وجهه. هل حصل لكما شيء؟

- لا، لا شيء يستحقّ الذّكر، أجابت مُحرّكة رأسها. أنا متأسّفة إن كنت أزعجتكَ.

- أمرٌ جيّد إن لم يكن ذلك بشيء.

رأت ياسوكو أنّ عينيه الضّيقتين مُتحوّلتان في اتّجاه غرفة الاستقبال، فأحسّت فجأة بارتفاع حرارتها، وعبّرت عن أوّل فكرة خطرت ببالها.

- رأيت صرصوراً.

- صرصور؟

- أجل، رأينا واحداً أنا وابنتي فحاولنا الإمساك به... أخشى أن نكون قد أحدثنا ضجيجاً مُزعجاً.

- وقتلتماه؟

- ماذا؟... تمتمت ياسوكو وهي تشعر بوجهها مُتشنّجاً.

- هذا الصّرصور، هل استطعتما التّخلّص منه؟

- آه... أجل، وبصفة نهائية. كلّ شيء على ما يُرام الآن، حقّاً. قالت مُفسّرة وهي ترفع رأسها بهمّة.

- حسن! لا تتردّدا لحظة واحدة في التماس عوني إن كان بوُسعي فعل شيء.

- أشكركَ. أنا مُضطربة حقّاً بسبب كلّ هذه البلبلة، قالت ياسوكو وهي تُنكّس رأسها قبل أن تُغلق الباب.

أحكَمَت إغلاق الباب. سمعَت إشيغامي يعود إلى بيته فتنهّدت

وقد تناهى إلى سمعها إغلاقُهُ بابَ شقّته، فقعدت أرضاً من دون تفكير.

سمعت الباب المنزلق ينفتح خلفها ثمّ صوتَ ميساتو يُناديها. نهضت ياسوكو بتؤدة، وشعرت بالخيبة تجتاحها من جديد وهي ترى الحدبة تحت الغطاء الصّوفيّ للمائدة المُدفِئة.

- لم يكن لنا من خَيار، تمتمت بعد لحظة صمت طويلة.

- ما العمل الآن؟ سألتها ابنتها ناظرة إليها من فوق.

- الشّيء الوحيد الممكن هو مهاتَفَة... الشّرطة.

- ستسلّمين نفسك؟

- وهل لنا غير ذلك؟ لقد مات، ولن يعود إلى الحياة من جديد.

- وإن أقدمتِ على ذلك، ما ستكون النّتيجة؟

مرّرت ياسوكو كفّها في شعرها، فانتبهت أنّها شعثاء، ومن المفروض أن يكون جارها، مُدرّسُ الرّياضيات قد اعتبر ذلك غريباً. لكنها لم تحفَل بالأمر.

- ألن تُقادي إلى السّجن إن فعلتِ؟ سألَت ابنتُها بإلحاح.

- بلى. أعتقد أن ذلك سيحصل، قالت وهي تشعر أنّ تسليمها بالأمر الواقع يُرخي شفتيها. فلقد قتلتُ شخصاً.

عبّرت ميساتو باقتناع عن رفضها لذلك بحركة من رأسها.

- هذا غير معقول.

- كيف غير معقول؟

- أنتِ لم تقترفي ما يستوجب السّجن. هو الجاني، لأنّكما مُطلّقان بَيدَ أنّه ما انفكّ يُزعجنا معاً... ليس من العدل في شيء أن تُسجَني بسبب شخص من طينته.

- هذا لا يُغيّر شيئاً من كَوني قد قتلته.

ومن الغريب أنّ ياسوكو قد شعرَت بالارتياح أن تكون قد شرَحت هذا لابنتها. كانت لحظتئذٍ قادرة على الاستدلال بهدوءٍ على ما تقول. أضحَت قناعتها أقوى فأقوى بأنه ليس أمامها سوى شيء واحد تُقدم عليه. هي لا تُريد أن تكون ميساتو ابنةَ قاتلةٍ، وإن لم يكُن بوسعها تجنيبها ذلك فبإمكانها على الأقلّ أن تُجنّبها أن ينظر إليها المجتمع على أنّها كذلك.

دخلت مجالَ رُؤيتها سمّاعةُ الهاتف اللاسلكية، فمدّت كفّها لتُمسك بها.

- كلّا! صاحت ابنتها وهي تقفز على السّماعة لتنتشلها منها.

- اسحَبي كفّك!

- لا، أنا أرفض ذلك، صاحت ابنتها مُطبقة أصابعها على معصمها.

كانت ذراعا ميساتو قويتين، ربّما بفضل رياضة البادمنتون.

- اتركي يدي من فضلكِ.

- كلّا، لن أسمح لكِ بفعل هذا، أمّاه. وإن بلّغتِ عن نفسك، بلّغتُ أنا أيضاً عن نفسي.

- كفّي عن هُرائك!

- أنا مَن وجّهت له الضّربة الأولى. أنت أتيتِ لنجدتي، هذا كلّ ما في الأمر. بعد ذلك ساعدتكِ، فأنا إذاً شريكتُك.

أرخَت ياسوكو قبضتها عن السّماعة وقد أفقَدَها هذا التّصريح تركيزها، فاستغلّت ميساتو الفرصة واستولت على السّماعة. ضمّتها إليها رغبةً في إخفائها وتوجّهت إلى زاوية من الغرفة مُديرة ظهرَها لأمّها.

جعلت ياسوكو تُفكّر في الشّرطة.

هل سيُصدّقها رجال الشّرطة؟ هل سيُصدّقونها إن حكَت لهم أنّها قتلت إشيغامي بمفردها؟ هل سيقبَلون من دون نقاش روايتها لمجرى الأحداث؟

هم لن يتخلّفوا عن استجوابها وقتاً مديداً. تذكّرت كلمة «تثبّت» التي سمعتها في الأعمال البوليسية التي شاهدتها في التّلفزيون. يسعى رجال الشّرطة إلى التّثبت بكلّ الوسائل الممكنة من تصريحات المتّهمين فيسألون الجيران والمقرّبين ويُشركون في ذلك الشّرطة العلمية ويلتجئون إلى كلّ ما هو مُتاح لهم.

حصل لديها الانطباع بأنّ كلّ شيء حولها قد انصبغ باللّون الأسود. أحسّت أنّها قادرة على كَتم ما اقترفته ابنتها حتّى ولو هدّدوها بالثّبور، لكنّها لن تقدر على منعهم من كشف الحقيقة، ومهما ستترجّاهم فإنّهم لن يقبلوا أن يتركوا ابنتها في سلام.

جعلت ياسوكو تُفكّر في الطّريقة التي يُمكنها أن تُقنع بها الشرطة بأنّها تصرّفت بمفردها، لكنّها سُرعان ما عَدَلَت عن ذلك لأنّه حصل لديها انطباع بأنّهم لن يُخدعوا بأكاذيبها.

استنتجت في نهاية المطاف أنّ عليها قبل كلّ شيء حماية ابنتها. ستُقدِم على كلّ شيء، حتّى ولو كان فيه حتفُها، كي تحمي ابنتها الصّغيرة المسكينة التي لم تكَد تعرف للسّعادة طعماً منذ ولادتها، لا ذنبَ لها سوى أنّ الظّروف جعلتها ابنتها.

لكن ما الذي بمقدورها فعله لتحقيق ذلك؟ هل ثمّة من وسيلة تُؤدّي إلى هذه الغاية؟

في تلك اللّحظة نفسها راح الهاتف الذي تحتضنه ميساتو يرنّ. جحظَت عينا الفتاة وهي تنظر إلى أمّها.

مدّت ياسوكو كفّها دون أن تنبس، فبدَت ميساتو كالمتردّدة ثمّ مكّنتها من السّماعة بلا استعجال.

أخذت ياسوكو نفساً عميقاً قبل أن تضغط على زرّ «بداية المكالمة».

- ألو!

- طاب مساؤك، أنا جاركم إشيغامي.

- آه!

الأستاذ من جديد. ما مُبتغاه الآن.

- ماذا وراءَكَ؟

- أنا أتساءل عمّا ستفعلانه.

لم تفهم لقوله معنىً.

- في شأنِ ماذا؟

- حسن... واصل إشيغامي قائلاً. أنتِ حرّة في أن تُسلّمي نفسك للشّرطة، لكن إن لم تكُن لك النّية في القيام بذلك، فأنا أعتقد أنّ بإمكاني أن أكون نافعاً لكما.

- لكن... ردّت ياسوكو مُضطربة وهي تتساءل مع نفسها عن معنى هذا التّصريح.

- اسمعي، قال إشيغامي بهدوء، هل بإمكاني المجيء للقائك الآن؟

- آه... كلّا، فذ... فذلك سيكون مصدر إزعاجٍ لي، قالت وهي تشعُر بعرقٍ بارد يسيل على جسدها.

- سيدتي هناووكا، قال إشيغامي بقوة، إنّ امرأة مثلكِ لن تستطيع التخلّص من الجثة لوحدها.

جعلت ياسوكو تتساءل في سرّها، وقد أُصيبت بالخرس، كيف استطاع العلمَ بما حصل!

من المفروض أن يكون قد سمعَ ما وقع، أسرّت لنفسها. قد يكون سمع ما قالته هي وابنتها لتوّهما. أو ربّما قد يكون سمعهما في أثناء شجارهما مع توغاشي.

قبلت مُستسلمة فكرةَ أنّ كلّ شيء ضاع. لا مخرَج لوضعيتها، وعليها تسليم نفسها للشّرطة، فهي مستعدّة للقيام بأيّ شيء للحفاظ على ابنتها.

- سيدتي هناووكا، هل تسمعينني؟

- أجل. أنا أسمعكَ.

- هل تسمحين لي بالمجيء لمقابلتك؟

- أوه... في نهاية المطاف... قالت مُطبِقَة السّمّاعة إلى أذنها وهي تنظر إلى ابنتها.

كان الخوف والقلق باديين على محياها وهي تتساءل لا شكّ عمّن تُحادث أمُّها.

إن كان إشيغامي قد سمع ما حصل للتّو في الشّقة، فإنّه على علم أنّ ميساتو مُتورّطة في القتل. وإن أخبَرَ الشرطة بذلك فإنّ المحقّقين لن يُصدّقوا نفي ياسوكو مهما كان قاطعاً.

هيّأت نفسها للأسوأ.

- حسن، أنا أُريد على أيّ حال أن أطلب منك أمراً ويحسُن بكَ المجيءُ.

- ممتاز. أنا قادم، قال إشيغامي.

وفي اللّحظة التي كبست فيها زرّ «نهاية المكالمة» سألتها ميساتو عمّن كانت تُكلّمه.

- الأستاذ الذي يسكن في جوارنا. السّيد إشيغامي.

- ولماذا سيأتي؟

- سأُفسّر لكِ لاحقاً. اذهبي الآن إلى الغرفة الثانية وأغلقي الباب خلفكِ بإحكام. هيا، بسرعة.

بدا الاندهاش على ميساتو، لكنّها نفّذت أمر أمّها. سحبَت خلفها الباب في اللّحظة نفسها التي سمعت فيها ياسوكو باب جارهما يُغلق.

طرقَ الباب، فنزلت ياسوكو درجة المدخل لرَفع سلسلة الأمان.

فتحت ورأت إشيغامي الذي بدا في وجهه تعبير وديع. كان لحظتها يرتدي بذلة رياضية زرقاء مُختلفة عمّا كان يرتديه قبل حين.

- ادخلْ.

- شكراً لك.

قصدَ غرفة الاستقبال في حين أقفَلَت ياسوكو الباب، ورفع من دون تردّد الغطاء الصّوفي للمائدة المُدفِئة، كما لو كان يعرف مكان الجثّة.

وضع إحدى ركبتيه على الأرض وراحَ يتأمّل جثّة توغاشي بتركيزٍ شديد. لاحظت ياسوكو أنّه كان يرتدي قفّازين قطنيين أبيضين.

ألقت نظرة ملؤها الخوف على الجثّة. كان قد اختفى من وجه توغاشي أيّ أثر للحياة، وقد تشكّلت على شفتيه لطخة صغيرة يستحيل تمييز ما إن كانت من ريق أو من وسخ.

- هل... سمعتَنا؟ سألت ياسوكو.

- سمعتُ ماذا؟ عمّ تتحدّثين؟

- عن المحادثة التي دارَت بيني وبين ابنتي. أهيَ ما جعلَكَ تُقرّر مُكالمتي؟

أدار إشيغامي نحوها وجهاً ثابتاً.

- لا، أنا لم أسمع أيّ شيء، لأنّ الصّوت لا يمرّ واضحاً عبر جدران هذه الشّقق، وهو ما جعلني أتّخذ هذه الشّقة مسكناً.

- لكن، في هذه الحال...

- تُريدين معرفة كيف فهمتُ ما حصل؟

- أجل، قالت ياسوكو مُحرّكة رأسها.

أشار إشيغامي بإصبعه إلى علبة التّصبير الفارغة الملقاة في زاوية من الغرفة، وقد سقط الرماد على البساط.

- عندما أتيت قبل قليل شممتُ رائحة دخان السّجائر، فأسررتُ لنفسي أنّ في بيتكما ضيفاً، لكنّني لم أرَ حذاءً في المدخل. ساورني انطباع أنّ ثمّة شخصاً تحت الغطاء الصّوفي للمائدة المُدفِئة، بينما كان حبلها الكهربائيّ غير موصول. ولو كنتما أردتما إخفاء أحدٍ لكنتما استعملتما غرفة العمق. ينتج عن هذا أنّ الشّخص الموجود تحت الغطاء الصّوفيّ لم يكن يختبئ وإنّما كان يُخفَى. وبما أنّني كنتُ قد سمعتُ صدى ضجيج يُوحي بشجارٍ عنيف، ورأيتكِ شعثاء الشّعر، ما يُعدّ أمراً استثنائياً لديك، لم أجد أدنى صعوبة في تصوّر أنّ أمراً ما قد طرأ. أضف إلى ذلك أنّه لا وجود لصراصير في هذه العمارة، فأنا قد سكنتُ هنا زمناً طويلاً يسمح لي بأن أكون على بيّنة من ذلك.

طفِقت ياسوكو تنظر، مُنذهلةً، إلى شفتيه تتحرّكان في أثناء تقديمه هذا التّفسير الطّويل بنبرة لا تتغير، فعبَرت ذهنها فكرةُ أنّ هذه هي النّبرة نفسها التي يُعلّم بها تلامذته الرّياضيات.

شعرَ بنظرتها الملقاة عليه فحوّل اتّجاه بصره مُعطياً الانطباع أنّه يُخمّن ما يجول في ذهنها.

من المفروض أنّه شديد الذّكاء وذو ذهنية باردة مُرعبة حتّى يتوصّل لاستنتاجات مثل هذه من مُجرّد إلقائه نظرةٍ واحدة على الغرفة من عتبة الباب. أحسّت بالارتياح، ولم تصدر عن إشيغامي أيّ علامة تدلّ على أنّه قد خمّن تفاصيل ما حصل قُبيل قليل.

- إنّه زوجي السّابق. انفصلنا عن بعضنا منذ عدّة سنوات لكنّه ما انفكّ يُزعجني من دون انقطاع. لم يكُن يتركني لحالي إلّا عندما أُسلّمه مالاً... اليوم أيضاً كان ذلك هو مبتغاه، وفجأة ما عدتُ أقدر على تحمّل إزعاجه، فخرجتُ عن طوري...

صمتَتَ ونكّست رأسها، عاجزة عن وصف الطّريقة التي صفّته بها. كانت تُريد الحصولَ بأيّ ثمن على وسيلةٍ لإبقاء ميساتو خارج ذلك كلّه.

- تنوين تسليم نفسك للشّرطة؟

- أعتقد أنّه لا خيار لي. إنّني لأشعر بالأسى تجاه ميساتو التي لا علاقة لها البتّة بهذه الحكاية.

انزلقَ الباب وانفتح في أثناء حديث ياسوكو، فواصَلَت ميساتو دفعه بلا تردّد.

- أنا لا أستطيع تحمّلَ ما تقولينه، يا أمّاه. لا أُريدكِ أبداً أن تقومي بذلك.

- ميساتو، اصمتي!

- لا، لن أصمُت. سيدي استمِع إليّ. هي ذي الطّريقة التي قُتل بها هذا الرّجل...

- ميساتو! صاحت ياسوكو.

نكّست المراهقة رأسها وثبّتت على أمّها نظرتها المليئة استياءً. كانت عيناها حمراوين.

- سيدتي هناووكا، قال إشيغامي بصوتٍ ثابت، لا داعي لإخفاء الحقيقة عنّي.

- أنا لا أُخفي عنكَ شيئاً...

- أنا أعرف أنّكِ لم تتصرّفي بمفردكِ. ألم تُساعدكِ ابنتك؟

آتت ياسوكو، محمومة، حركةَ نفي من رأسها.

- لكن ما هذا الذي تتلفّظ به؟ لقد تصرّفتُ بمفردي، وقد أتت ميساتو مباشرة بعد ذلك... مُباشرة بعد قتلي له، ولا علاقة لها البتة بهذه الحكاية.

غير أنّ إشيغامي بدا غير مُصدّق ما تلفّظت به، فتنهّد ونظر إلى ميساتو.

- أعتقد أنّ كذبتكِ تُحزِنُ ابنتك.

- هذه ليست كذبة، وعليك أن تُصدّقني، قالت ياسوكو مُدافعة عن نفسها وهي تضع يدها على ركبتها.

تفحّص كفّها بنظره ثمّ ركّز على الجثّة فأمال رأسه إلى الجانب.

- المشكل هو معرفة ما سيكون رأي الشّرطة في ذلك، فأنا أعتقد أنّها لن تُصدّق كذبتك.

- لماذا؟

وقد فهمت ياسوكو متأخّرة جدّاً أنّها قد اعترفت لتوّها بأنّها لم تكُن تقول الحقيقة. أشار إشيغامي إلى الجثّة بيده اليمنى.

- لديه ندوب على المعصمين وعلى ظهر الكفّين، وإن أمعنّا النّظر ميّزنا آثار أصابع. من المفروض أن شخصاً قد خنق هذا الرّجل من الخلف، في حين كان هو يُحاول بكلّ قوّته أن يُخفّف من ضغط ما يَخنق عنقه، وتُوضِح النّدوب أنّ شخصاً آخر قد شدّ كفّيه كي يمنعه من ذلك. هذا واضح للعيان.

- أنا قمتُ بذلك.

- هذا مستحيل سيدتي هناووكا.

- لماذا تراه مستحيلاً؟

- ألم تخنقيه من الخلف؟ إنّه ليس بمقدورك أنّ تضغطي في الآن نفسه على كفّيه. أنتِ في حاجة إلى أربع أذرع للقيام بذلك.

ظلّت ياسوكو خرساء وهي تستمع لهذا التّفسير. حصل لديها انطباع بوجودها في نفقٍ لا مخرج له.

نكّست رأسها يائسة. إن كان إشيغامي قد فهمَ هذا كلّه من نظرة واحدة، فكيف للشّرطة أن تنخدع بروايتها؟

- رغبتي الأولى هي أن أجعل ميساتو خارج هذه الحكاية. إنّه الشّيء الوحيد الذي يحظى عندي بالأهمية...

- وأنا لا أُريد أن تُسجَن أُمّي، قالت ميساتو دامعة العينين.

أخفَت أمّها وجهها بكفّيها.

- ما العمل؟

بدا لها كأنّ الهواء صار ثقيلاً حتّى أنّه سيسحقها.

- سيدي... قالت ميساتو، أنتَ لم تأتِ بيتنا لتَنصَح أمّي بتسليم نفسها.

لم يُجب إشيغامي على الفور.

- لقد اتّصلتُ بكما لأنّ رغبتي هي أن أُساعد أمّك. إن كانت ترغب في تسليم نفسها للشّرطة، فلا اعتراض لدي، لكنّني قلت لنفسي إنّ الأمر إن لم يكن كذلك، فإنّكما ستجدان صعوبة بالغة في الخروج من الورطة بمفردكما.

أزاحت ياسوكو كفّيها عن وجهها وهي تسمعه يتلفّظ بذلك.

تذكّرت أنّه كان قد قال لها أمراً غريباً في أثناء محادثتها بالهاتف. «إنّ امرأة مثلكِ لن تستطيع التّخلّص من الجثة لوحدها».

- أنتَ تعتقد أنّ ثمّة وسيلة تُجنّبها تسليم نفسها للشّرطة؟ سألت ميساتو.

رفعَت ياسوكو رأسها. أجاب إشيغامي بالإيجاب بتحريكه ذقنَه، وهو ثابت المحيّا.

- يُمكننا إمّا أن نطمس آثار المسألة كلّها أو أن نجعل العلاقة بينكما وبينها مُنتفِيَة. وفي الحالتين معاً لا مناص من التّخلّص من الجثّة.

- أتعتقد أنّ هذا مُمكن؟

- ميساتو، صاحت ياسوكو في ابنتها قامعةً، ما هذا الذي تقولينه؟

- اصمُتي، يا أمّاه. قلْ يا سيدي، أتعتقد أنّ هذا ممكن؟

- سيكون الأمر محفوفاً بالصّعاب، لكنّه غير مستحيل، أجاب إشيغامي بالنبرة الآليّة نفسها.

في حين كانت ياسوكو تتتبّع من خلال صوته استدلالَه المنطقي.

- علينا، يا أمّاه، قَبول العون الذي يعرضه علينا السّيد. هذه هي الوسيلة الوحيدة.

- لكن... أنا لا أعرف...

تفرّست في إشيغامي، فحوّل عينيه مُعطياً الانطباع بأنّه ينتظر هادئاً وقوع الاتّفاق بين الأمّ وابنتها.

أعادت ياسوكو التّفكير فيما كانت قالته لها سايوكو: لأستاذ الرياضيات مشاعر خاصّة تجاهها، وأنّه لا يأتي ليبتاع وجبته من محلّ بنتنيه إلّا إن كان متأكّداً من أنّها ليست في عطلة.

كان مُمكناً ألّا ترى فيه سوى شخصٍ اختلّ توازنه النّفسيّ لو لم تكن قد علمت بذلك، وإلّا ففي أيّ عالم لا يزال يوجد جار لا تكاد تكون لك به معرفة يقترح عليك العون بهذه الشّاكلة؟ هو بذلك يُعرّض نفسه لمخاطر الاعتقال في حال تعثّرت الأمور.

- ألا تعتقد أنّ العثور على أيّ جثّة أمر حتميّ حتّى ولو أُجيد إخفاؤها؟ سألت ياسوكو، واعية بأنّها مُقبلة على خطّة ستُغيّر مصيرها.

- نحن لم نُقرّر بعد ما إن كنّا سنُخفيها، أجاب إشيغامي. من الأحسن، في بعض الحالات، عدم القيام بذلك. أنا أعتقد أنّ علينا أن نأخذ بالاعتبار كلّ المعلومات التي في حوزتكما قبل تبنّي هذا القرار. واليقينية الوحيدة هي أنّ الجثّة لا يُمكنها البقاء حيث هي الآن.

- أيّ معلومات تقصد؟

- ما تعرفانه عن هذا الشّخص، فسّر وهو ينظر إلى الجثة. عنوانه واسمه وعمره ومهنته وما الذي كان يُريده عندما أتى إلى هنا وما كان يعتزم القيام به بعد ذلك وأسرته إن كانت له أسرة. أخبراني بكلّ ما تعرفانه.

- وإذاً... أوه...

- قبل ذلك لنسحبه من مكانه، ومن الأفضل تنظيف هذه الغرفة بأسرع ما يُمكن، لأنّ آثاراً كثيرة للجريمة تبقى في مكان وقوعها.

- لكن في أيّ مكان سنضع الجثة؟

- في شقّتي، قال كما لو كان الأمر محسوماً، وهو يرفع الجثّة من الكتفين بقوّة ملحوظة.

لمحَت ياسوكو تحت بذلته الرياضية مُلصَقاً صغيراً كتب فيه «نادي الجودو».

دفع إشيغامي برجله كُتب الرّياضيات المنثورة على البساط ووضع الجثّة في المكان الذي أخلاه منها. كانت عينا القتيل مفتوحتين.

التفتَ ببصره نحو ياسوكو وابنتها الواقفتين على العتبة.

- أنتِ يا فتاة، سيكون مُستحبّاً اهتمامُك بتنظيف شقتكما، مرّري المكنسة الكهربائية بأكبر قدر ممكن من العناية، وستبقى أمّك هنا بصحبتي.

وافقت ميساتو على طلبه، شاحبة، وعادت إلى الشّقة المجاورة بعد أن تبادلت نظرة مع ياسوكو.

- تفضّلي بإقفال الباب.

- آه... أجل.

نفّذت ما قال وبقيت واقفة في المدخل.

- ادخلي من فضلك، فشقّتي ليست أحسن ترتيباً من شقّتك.

أمسَكَ بوسادة مُسطّحة كانت على مقعد ووضعها إلى جانب الجثّة. تخلّصت ياسوكو من حذائها ودخلت. لم تقتعد الوسادة وإنّما جلست في ركن من الغرفة لا ترى منه الجثة. في هذه اللّحظة فقط فهم إشيغامي أنّ الجثّة تُصيبها بالخوف.

- معذرة، قال وهو يمدّ لها الوسادة، أرجوكِ خذيها.

- لا داعي لذلك، قالت بخفوتٍ مُحرّكة رأسها من دون أن ترفع بصرها إليه.

أعادَ إشيغامي الوسادة إلى مكانها على المقعد وجلس بجانب الجثة التي يظهر على عنقها تورّم كبير مُزرقّ اللّون.

- أهذا أثر حبل كهربائيّ؟

- معذرة؟

- أقصد ما استعملته في خنقه. أليس حبلاً كهربائياً؟

- أوه... أنت مُحقّ، لقد استعملت الحبل الكهربائيّ للمائدة المُدفِئة.

- حبل مائدتك المُدفئة، قال وهو يتذكّر الغطاء الصّوفيّ. من الأفضل إذاً التّخلّص منها. سأهتمّ بذلك لاحقاً. أُريد أن أسألكِ... واصل حديثه مُديراً بَصَرَه نحو الجثّة، هل كان لكِ موعدٌ مع هذا الرّجل اليوم؟

أجابت ياسوكو بالنّفي مُحرّكة رأسها.

- أبداً. أتى إلى مقرّ عملي وقبلتُ أن ألتقي به مساءً في المطعم العائلي الموجود بالقرب من المحلّ الذي أشتغل فيه، ثم افترقنا لكنّه زار بيتي من دون سابق موعد.

- في مطعم عائلي؟ سأل إشيغامي، مُفكّراً في أنّ من المحتمل أن يكون ثمّة شهود افتراضيون على هذا اللّقاء.

دسّ كفّه في جيب معطف الجثّة وأخرَجَ ورقتين ماليتين من فئة عشرة آلاف ين مدعوكتين.

- أنا من...

- أنتِ سلّمتهما له؟

حرّكت رأسها بالإيجاب فسلمّهما لها، لكنّها لم تُؤتِ أيّ حركة للإمساك بهما.

نهض واستخلص حافظة نقوده من جيب معطفه المعلّق إلى مشجب على الجدار وأخرج منها ورقتين من فئة عشرة آلاف ين عوّضهما بالورقتين اللّتين وجدهما في جيب معطف الجثّة.

- من المفروض ألّا تُشعركِ هاتان بالتّقزّز، خاطبَها قائلاً وهو يمدّ لها الورقتين الماليتين.

قبلَت تسلّمهما بعد لحظة من التّردد وشَكَرَتْه بخفوت.

- حسن.

عاود إشيغامي البحث في ملابس الجثّة فعثر على حافظة النّقود في أحد جيوب السّروال. وجد فيها قليلاً من المال ورخصة قيادة وإيصالات.

- شينجي توغاشي... مقرّ السّكنى نيشي-شينجوكو، مُقاطعة شينجوكو، طوكيو. هل هذا هو عنوانه الحالي؟ سأل ياسوكو وهو يقرأ ما في رخصة القيادة.

عقدت حاجبيها وأمالَت رأسها جانباً.

- لا عِلْمَ لي، لكنّني لا أعتقد بذلك. كان يسكن بهذا العنوان لكنّني سمعتُ أنّه قد طُرد لأنّه لم يكن يُؤدّي ثمن الإيجار.

- سُلّمت له رخصة القيادة السّنة الماضية، ما يعني أنّه غيّر مسكنه بعد ذلك من دون أن يُغير عنوانه.

- كثيراً ما كان يغيّر مسكنه. لم يكُن له عمل قارّ، وأعتقد أنّه كان يسكن حيث يستطيع.

- قد تكونين على حقّ، علّق إشيغامي وهو يتفحّص أحد الإيصالات.

قرأ فيه: «نُزل توبيرايا. ليلتان. 5880 يناً»، «مبلغ مُؤدّى سلفاً». قام إشيغامي باحتساب قيمة الضريبة في ذهنه وطرحها من المبلغ فخلص إلى أنّ اللّيلة الواحدة بـ 2800 ين.

أرى ياسوكو الإيصال.

- من المحتمل أنه كان ينزل في هذا الفندق، ومن المفروض أن يذهب مستخدم من النّزل إلى غرفته عندما لا تتوصّل الاستقبالات بالمفتاح، وإن اختفَى النّزيل فإنّ الفندق يُبلّغ الشّرطة. أو ربّما لن يفعلوا، لأنّ ذلك أسهل، وربّما كان هذا هو السّبب في أنّ ثمن الغرف يُؤدّى مُسبقاً. لكن وجب عدمُ المجازفة والاكتفاءِ بالرّكون إلى هذا الاحتمال.

واصل إشيغامي تفتيشه الجيوب فعثَر على مفتاحٍ مُسطّح مطبوع عليه الرّقمُ 305.

نظرت إليه ياسوكو مذهولة، بادٍ عليها افتقارُها لأيّ فكرة عمّا يجب فعله الآن.

سُمِعَ صوت المكنسة الكهربائية. هي ميساتو تُمرّرها لا شكّ على البساط بعناية. ابنتها أيضاً لم تكُن تدري ما الذي سيحصل لهما، لكنّها كانت تُحاول القيام بما تستطيع بأكبَر قدرٍ من العناية.

عليّ حمايتُهما، أسرَّ لنفسه مُفكّراً. كان على يقين من أنّ إمكانية إقامته علاقةً قوية بهذه المرأة الجميلة لن تواتيه أبداً كما تواتيه الآن، وعليه أن يُوظّف كلّ معرفته وقوّته ليُجنّبها وابنتها الوقوعَ في الأسوأ.

تفحّص إشيغامي وجه الميت فرأى أنّه خالٍ من أيّ تعبير، لا يرتسم فيه إلّا الفراغ. بَيْدَ أنّه يسهل مُلاحظة أنّه كان يتمتّع في شبابه ببُنية جسدية قوية. كلّا، أبداً، إنّ ميلَه إلى البدانة بسبب تقدّمه في السّن كان يُحيله أكثر إغواءً في نظر النّساء.

شعر إشيغامي ببضع بذراتٍ للغيرة تنشأ فيه من فكرة أنّ ياسوكو كانت مُغرَمَة بهذا الرّجل. حرّك رأسه خجلاً من أن تكون فكرة مثل هذه قد راوَدَتْه، وعاوَدَ سؤالها.

- هل كان هذا الرّجل، بحسب علمكِ، على اتّصال مُنتظمٍ بشخصٍ ما؟

- لا علمَ لي البتّة، فأنا لم أرهُ منذ مدّة طويلة.

- ألم يُحدّثكِ عمّا كان يعتزم القيام به غداً؟ هل كان له موعد مع شخصٍ ما؟

- لم يُخبرني بشيء، وأنا آسفة على عدم استطاعتي مُساعدَتَك، قالت ياسوكو وهي تُنكّس رأسها مُنزعجة.

- لا بأس، إنّما أردتُ طرح هذا السّؤال عليك. أنا أتفهّم تماماً ألّا يكون لك علم بشيء من هذا.

ثبّت إشيغامي بصره، مُرتدياً دائماً قفّازيه، في وجنَتَي الميت وتفحّصهما بنظرة سابرة ثمّ نظر في فمه. رأى أنّ إحدى أضراسه مُغشّاة.

- هل كان قد عالج أسنانه؟

- زار طبيب الأسنان عندما كنّا لا نزال زوجين.

- منذ متى؟

- خمس سنوات.

أسرّ إشيغامي لنفسه أنّ من الممكن أن يكون طبيب الأسنان قد احتفظَ بملفّ هذا الزّبون.

- هل له سجلّ جنائيّ؟

- لا أعتقد، لكن لا علم لي بما قامَ به منذ أن افترقنا.

- ليس مُستَبْعَداً إذاً أن يكون له سجلّ جنائيّ.

- ربّما...

حتّى لو لم يكُن له سجلّ جنائي، قد تكون الشّرطة أخذَت بصماته بسبب مُخالفة مرورية. كان إشيغامي يجهل ما إن كان في

مُتناول الشّرطة العلمية الدخولُ إلى هذا الملفّ، لكن يُستحسن الانتباه إلى هذا الاحتمال.

التّخلّص من الجثّة لا ينفي إمكانية العثور عليها والتعرّف على هُويّة صاحبها، لكن ذلك سيأخذ وقتاً طويلاً، لهذا يُمكن إلغاء الاهتمام بالبصمات وبالأسنان.

تنهّدت ياسوكو فتأثّر إشيغامي بذلك من دون أن يستطيع فعل شيء، غير أنّ تنهّدها جعله يزداد إصراراً على تبديد يأسها.

المشكل عويص. فلو تعرّفت الشّرطة على هوية الجثّة قد لا تتردّد في المجيء لملاقاة ياسوكو. فهل ستستطيع هي وابنتها الصّمود أمام الاستجوابات المتكرّرة للمحقّقين؟ كما أنّ إعداد أُحبُولة هشّة يستخدمانها في أثناء الاستجوابات قد تنهار مع أدنى تناقض فتتكشّف الحقيقة على الفور.

لذلك وَجَب وضع تصوّر لخطّة مُحكَمَة، ولدفاعٍ لا سبيل إلى كسره، مع العناية بأدق التّفاصيل.

تفادَ التّسرّع، خاطَبَ نفسه في سرّه. إنّ التّعجّل لن يُساعد في العثور على حلّ، بَيْدَ أنّ وسيلة حلّ هذه المعادلة موجودة بالضّرورة.

أغلَقَ عينيه كما كان يفعل دائماً عندما يكون في مواجهة مسألة رياضية عسيرة. لكن الآن، ليست المعادلات هي ما يذرعُ ذهنَه.

سُرعان ما أعادَ فتح عينيه ووجّههما نحو المنبّه الموضوع على المائدة. كان الوقت قد تجاوز الثّامنة والنّصف، ثم حوّل بصره في اتّجاه ياسوكو فوجدها مُتقطّعة النّفس مُتردّدة.

- ساعديني على تجريده من ثيابه.

- معذرة؟

- علينا تجريده من ملابسه. لن نخلع معطفه فحسب وإنّما أيضاً

كنزته وسرواله، ولنسرع في ذلك قبل تخشّب الجثّة، قال مُفسّراً وهو يضَع كفّه على معطف القتيل.

- آه... نعم.

راحت تُساعده مُرتعشة الكفّين، ربّما لأنّ لمس الجثّة كان أمراً رهيباً بالنّسبة إليها.

- سأتصرّف بمفردي، اذهبي لتُساعدي ابنتك.

- أنا متأسّفة، قالت بخفوت وهي تُنكّس رأسها قبل أن تنهض ببطء.

ناداها عندما كانت تُولي الأدبار.

- السّيدة هناووكا!

فالتَفَتَت.

- لا بدّ أن تكون لكِ حجّة دامغة، فهلّا تفضّلت بالتّفكير في الأمر؟

- حجّة؟ أنا لا حجّة لي.

- لذلك وجبَ عليك العثور عليها، قال وهو يضَع معطف القتيل على كتفيه. ثقي بي. إنّ بإمكانكِ الاعتماد على منطقي.

3

- لقد حاولتُ دائماً تحليل طبيعة منطقك، قال مانابو يوكاوا وهو مُمسك ذقنَه بكفّه، بادٍ عليه الانزعاج.

تثاءب ملء فمه. كانت نظّارته الصّغيرة ذات الإطار المعدنيّ موضوعة إلى جانبه، كما لو كان يُريد أن يُظهر أنّه لا حاجة له بها.

ربّما كان الأمر كذلك. وكان كوساناغي مُثبّتاً بصره منذ عشرين دقيقة على رقعة الشّطرنج من دون أن يهتدي إلى الحلّ الذي يستطيع به الخروج من مأزقه. كان مَلِكُه محشوراً في زاوية فلم يعُد بإمكانه أن يُهاجم برعونة كمثل قطّ لا يُجيد الوثوبَ إلّا على جرذان متقدّمة في السّن. تصوّر نقلات مُتعدّدة، لكنّها كلّها مستحيلة، فقال بصوت خفيض:

- أنا أعتقد حقّاً أنّني لا مَيْلَ لي للعبة الشّطرنج.

- تُعيد الكرّة؟

- قبل ذلك، لماذا لا يكون لنا الحقّ في استعمال البيادق التي نربحها من الخصم؟ أليست غنائم حرب؟ من المفروض أن يكون بوسعنا استعمالُها.

- ما فائدة وضع قواعد اللّعبة الآن موضع سؤال؟ البيادق ليست

دروعاً نغنمها وإنّما هي جنود الإمساكُ بهم يعني قتلَهم، ولا أحد يُمكنه استعمال جنديّ ميت.

- يكون ذلك ممكناً في لعبة الشّطرنج اليابانية.

- لأنّ مَن وضعوا تصور لعبة الشّطرنج اليابانية يُقيمون وزناً للمرونة. ففي هذه اللّعبة ربح البيادق لا يعني قتل الجنود الأعداء وإنّما أسرهم، لذلك يكون بالإمكان استعمال هذه البيادق.

- لكان أحسنَ لو كان الأمر كذلك أيضاً في لعبة الشّطرنج.

- الخيانة تُناقض أخلاق البيادق. وبدل أن تُجادل خُذْ وضعيتكَ مأخذاً منطقياً. ليس أمامك إلّا نقلة واحدة، لأنّ عدد البيادق التي يُمكنك تحريكها محدود للغاية ومهما يكُن البيدق الذي ستختار تحريكه لن يُمكنك تفادي نقلتي المقبلة، أمّا إن نقلتُ فرسي فستكون تلك نهايتَك.

- سأنسحب. أنا لا أحبّ الشّطرنج، قال كوساناغي وهو يتّكئ بظهره على مقعده.

وضع يوكاوا نظارته ونظر إلى السّاعة الحائطية.

- احتجنا اثنتين وأربعين دقيقة، وأنت في نهاية المطاف مَن استغرق هذا الوقت في التّفكير. لكن أخبرني، هل أنت متأكّد من أنّك حقّاً في بسطة من وقتك حتّى تضيعه بهذه الشّاكلة؟ ألن يتسبّب لك هذا في مشاكل مع رئيسك الصّارم؟

- لقد سوّينا لتوّنا قضية «المطارد» ومن حقّنا أن نرتاح بعض الوقت.

مدّ كوساناغي كفّه نحو فنجانه المتّسخ قليلاً. كانت القهوة التي أعدّها له يوكاوا قد بردت.

كانا وحيدين في المختبر رقم 13 في كلية الفيزياء بجامعة تايتو، بينما كان الطّلبة يُتابعون دروسهم. وقد مرّ كوساناغي ليزور صديقه لأنّه على علمٍ بعدم اشتغاله في هذه السّاعة.

جعل هاتفه المحمول يرنّ في جيبه، فقال يوكاوا ساخراً وهو يرتدي وزرته البيضاء.

- ها أنتَ ترى أنّهم بحاجة إليك!

تفحّص كوساناغي الرّقم الظّاهر في الشّاشة. لم يكن يوكاوا مُخطئاً لأنّ مصدر المكالمة هو أحد زملائه الشّباب.

عُثر على الجثّة في ضفّة كيو-إدوغاوا غير بعيد عن محطّة مُعالجة المياه على الشّاطئ في ولاية طوكيو. كان كوساناغي، وقد رفع ياقة معطفه، يتأمّل المكان مُتحسّراً على عدم وجوده في الضّفة الأخرى، في ولاية شيبا.

- كانت الجثّة مُلقاة على الضّفة ملفوفة في قماش مُشمّع من بلاستيك أزرق.

مُكتشفُ الجثّة رجلٌ متقدّم في السّن كان يُزاول رياضته المفضّلة، الهرولة على ضفة النّهر، ولاحظ أنّه يمرّ بجانب شيء يُشبه القدم، فأزاح القماش المشمّع مُرتعداً، كما فسّر للشّرطة.

- يبلغ هذا الشّيخ الخامسة والسّبعين من عمره ويمشي الهرولة في هذا البرد! يا له من مسكين أن يكتشف أمراً مثل هذا في سنّه! أنا أرثي لحاله.

كشّر كوساناغي وهو يستمع لكلام زميله الشّاب، المفتّش كيشيتاني، الذي وصل المكان قبله، وقد جعلت الرّيح تهزّ أذيال معطفه.

- شاهدتَ الجثّة؟

- أجل، قال كيشيتاني مُتقزّزاً بملامحه. لقد أمَرني الرّئيس بذلك.

- هو يفرض علينا القيام بذلك، لكنّه يُعفي نفسه منه.

- وأنت، ألن تُلقي عليها نظرة؟

- لا، لن يُفيد ذلك في شيء.

كانت الجثّة بحسب كيشيتاني مشوّهة، عارية بالكلية بلا حذاء وبلا جوارب، الوجه مسحوق. ولمّا دقّق زميله قائلاً «كمثل بطّيخة مُنبعجة»، أحسّ كوساناغي أنّه على غير ما يُرام... أديم الأصابع محروق، ما يعني أنّ بصماته قد أُتلفت.

- الجثّة لرجلٍ، وباستثناء آثار خنق على العنق لا تبدو عليه أمارات كدمات.

- علّ شعبة كشف الهوية تصلُ إلى شيء، قال كوساناغي وهو يمشي على العشب.

اضطرّ للتّظاهر بالبحث عن أمرٍ ما بسبب وجود مُتفرّجين. هو في الحقيقة كان يثق في تقنيي الشّرطة العلمية ولم يكن له أمل كبير في العثور على قرينة ذات بال.

- عُثر على درّاجة هوائية غير بعيد عن الجثّة، وقد نُقلت إلى مفوّضية إدوغاوا.

- درّاجة؟ قد يكون شخص ما ألقى بها هنا.

- تبدو جديدة، لكنّ عجلتيها معاً فارغتان من الهواء مفزورتان، ويبدو أن ذلك ناتج عن فعل مُتعمّد، استُعملت فيه أداة مُدبّبة، كمسمار مثلاً.

- آه، أتكون في ملكية الضّحية؟

- من الصّعب قول ذلك الآن. هي مُرقّمة وسيتمّ ربّما العثور على مالكها.

- علّها تكون في ملك الضّحية، قال كوساناغي، وإلّا فإنّ القضية قد تغدو مزعجة. إن كانت للقتيل ستُقدّم لنا عوناً كبيراً.

- حقّاً؟

- ألم يسبق لك أن واجهت قضية جثّة مجهولة الهوية؟

- لم يسبق لي ذلك.

- لنفكّر لحظة. فإنْ كانَ الوجه مُشوّهاً والأصابع مُتلفةً فلأنّ القاتل رامَ من دون شكّ طمس هوية الضّحية، لأنّ التّعرّف عليها سيقودنا بسهولة إلى الجاني. لذلك فلا مندوحة عن تحديد هوية القتيل. هذه وجهة نظري على أيّة حال.

قطع كلامه عندما سمع صوت رنين هاتف زميله المحمول، فتبادل كيشيتاني بضع كلمات مع الشّخص الذي كلّمه، ثمّ خاطب كوساناغي:

- هيا إلى مفوضية إدوغاوا.

- هو ذا خبر جيد! قال كوساناغي وهو ينتصب نافضاً مُؤخّرته.

مكاتب المفوضية مُدفَأةٌ. يقف ماميا، رئيسُهُما، أمام مشعاع قاعة المفتّشين، في حين دأبت حوله حركةُ رجال شرطة إدوغاوا. ستكون هذه القاعة مقراً لقيادة التّحقيق، وهم منهمكون في إعدادها لتكون مُناسبة لهذه المهمة.

- هل أتيتَ بسيارتك؟ سأل ماميا كوساناغي.

- نعم، فقد قدّرتُ أنّ استعمالي سيارتي سيكون أسهل في التّنقّل من الاعتماد على المواصلات العمومية.

- تعرف مكان المقاطعة؟

- ليس بالتّحديد، لكن بما يكفي كي لا أضيع.

- في هذه الحال أنتَ لست بحاجة إلى دليل. اذهَب بصُحبة كيشيتاني لملاقاة هذه السّيدة، قال له وهو يسلّمه ورقة قرأ فيها كوساناغي اسم يوكو يامابي، إضافة إلى عنوان في حيّ شينوزاكي.

- مَن هي؟

- هل حدّثتَه عن الدّراجة الهوائية؟ سأل مامیا كيشيتاني.

- أجل.

- التي عُثر عليها قريباً من الجثّة؟ سأل كوساناغي وهو ينظر في الوجه الصّارم لرئيسه.

- تماماً. لقد اتّضح أنّ مالكتها كانت قد بلّغت الشّرطة عن السّرقة، وقد أبانت لوحة الأرقام أنّ الدّراجة هي بالفعل لهذه السّيدة. لقد استُدعيَت وأُريد منكما الذّهاب لمحادثتها على الفور.

- هل رُفعت منها بصمات؟

- لا تشغل بالك بهذا، هيا انصرفا.

سارع كوساناغي وزميله الشّاب بمغادرة المفوضية وكأنّ الصّوت الغليظ للمفوض قد دفع بهما إلى الفرار.

- من المزعج أن تكون الدّراجة مسروقة. على أيّ حال، أنا لم أكُن أتوقّع هذا، علّق كوساناغي بنبرة يائسة وهو يقود سّيارة السكايلاين السوداء التي اشتراها منذ ما يقرب من ثمانية أعوام.

- القاتل إذاً هو مَن تركها هناك؟

- هذا مُحتمَل، وليس من شأن مالكتها أن تكون على معرفة بالسّارق، لذلك لن تُفيدنا بشيء ذي بال. لكن بإمكانها أن تدلّنا على المكان الذي كانت رَكَنَتْها فيه ما قد يُساعدنا ربّما في العثور على ما يقودنا إلى المجرم.

أدركا الحي الذي تقطنه فجعل كوساناغي يبحث عن موقع العنوان المكتوب في الورقة وهو يُلقي نظرة على الخارطة. كانت تسكن منزلاً أبيض ذا معمار غربيّ، ثُبّت على يافطة بمدخله اسم «يامابي».

عُمر يوكو يامابي حوالي الأربعين سنة، وقد زيّنت وجهها ربّما لأنّها كانت تنتظر زيارة الشّرطة.

- إنّها دراجتي، صرّحت بنبرة ثابتة وهي تنظر في الصّورة التي أراها إياها كوساناغي.

- هلاّ تفضّلتِ بالمجيء إلى المفوضية لتُؤكّدي ذلك؟

- بكلّ فرح، لكن هل سيكون بإمكاني استرجاعها على الفور؟

- ستسترجعينها طبعاً، لكنّ ذلك سيستغرق بعض الوقت لأنّنا مُلزمون بالقيام ببعض الإجراءات التّثبّتية.

- هذا يُسبّب لي بعض الإزعاج لأنّني أحتاجها في قضاء أغراضي.

عقدت حاجبيها غضباً كما لو أنّ الشّرطة هي المسؤولة عن السّرقة. هي ربّما تجهل أن لدرّاجتها علاقة بقضية قتل، ومن المحتمل أنّها لو علمت بذلك لتخلّت ربّما عن رغبتها في استعمالها من جديد.

تساءل كوساناغي في سرّه ما إن كانت ستملك الجرأة للمطالبة بتعويضات عن الأضرار التي لحقت بعجَلتي درّاجتها.

فسّرت أنّ درّاجتها سُرقت بالأمس ما بين السّاعة الحادية عشرة صباحاً والعاشرة مساء. كانت قد التقت بصديقات لها في حيّ غينزا ليتسوّقن معاً، ثمّ تناولت عشاءها بصحبتهنّ وعادت إلى محطّة شينوزاكي بعد العاشرة مساء. وقد وجدت نفسها مُرغَمَة على العودة إلى بيتها في الحافلة.

- كنتِ تركتِها في موقف للدّراجات؟

- لا، على الرّصيف.

- كانت مربوطة؟

- أجل، كنت قد عقلتها إلى حاجز.

صحبها الشّرطيان في السّيارة إلى محطّة شينوزاكي، تحدوهما الرّغبة في رؤية المكان الذي ارتُكبت فيه السّرقة.

- هنا تقريباً، قالت وهي تُشير إلى رصيف رُكنت فيه درّاجات هوائية كثيرة، على بُعد حوالي عشرين متراً من السّوق النّموذجيّة قبالة المحطّة.

ألقى كوساناغي نظرة فاحصة على المحيط. كان هناك مصرف ومكتبة ومحلّات تجارية أخرى. من المفروض أنّ هذا المكان يستقبل خلقاً كثيراً خلال النّهار وبداية المساء. ليس صعباً تفكيك سلسة الأمان التي تربط الدّراجة إلى الحاجز، لكن من المفروض أن يكون السّارق قد انتظر تخفّف المكان من مُرتاديه.

رافقتهما يوكو يامابي بعد ذلك إلى مفوضية إدوغاوا حتّى تتمكّن من رؤية الدّراجة.

- لا حظّ لي حقّاً. إنّها درّاجة لم يمضِ على شرائي لها شهر واحد، وقد شعرت بغضب شديد عندما اكتشفت اختفاءها حتّى أنّني

ذهبت إلى مركز الشّرطة قبل أن أستقلّ الحافلة للعودة، قالت وهي تجلس في المقاعد الخلفية للسّيارة.

- تعرفين رقمها، هذا أمر جيد!

- لم يكُن في حوزتي، لكنّني كنت أعرف المكان الذي توجَد فيه الورقة فكالمت ابنتي وأمْلَتْه عليّ.

- هذا يوضّح الأمر أكثر.

- ألا تُريدان إخباري بما حصل؟ الشّخص الذي هاتفني لم يُقدّم لي إلّا تفسيرات ضئيلة، فلم أكفّ عن طرح أسئلة على نفسي منذئذٍ.

- نحن بدورنا لا عِلْمَ لنا بما حصل على وجه الدّقة، ولا يُمكننا أن نُقدّم لك تفاصيل أكثر.

- هكذا إذاً! هل أنتما متأكّدان؟ عملياً، رجال الشّرطة ليسوا ثرثارين!

تمالك كوساناغي الجالس إلى جانب كيشيتاني نفسه حتّى لا يضحك. أمّا زميله فقد هنّأ نفسه على أن استطاع مُحادثة هذه السّيدة اليوم. وهي من جانبها ما كانت لتكفّ عن غمرهما بأسئلتها لو كانت على علم بما في علمهما.

أكّدت يوكو يامابي عندما رأت الدّراجة أنّها درّاجتها. ولمّا لاحظت أنّ عجلَتَيها مفزورتان وإطارَها مخدوش سألت كوساناغي عن الجهة التي عليها مُخاطَبَتها لتحصل على تعويض عن الأضرار التي لحقَت بدراجتها.

رُفعت بصمات كثيرة من المقود والإطار والسّرج.

عُثر على بعد مئة متر تقريباً من الجثّة على ثيابٍ، معطفٍ وكنزة

وجوربين وملابس داخلية يُفترض أنّها للضّحية. كانت محترقة جزئياً وقد وضعت في آنية معدنية، فاستنتج المحقّقون أنّ القاتل أشعل النّار فيها وابتعد غير منتظرٍ احتراقَها عن آخرها.

من الظّاهر أن أغراض الضحية كلّها مُبتاعة من متاجرَ عامّة فلم يُفكّر أحد في الالتجاء إلى مُصنّعها. بَيْدَ أنّ المعلومات التي يُمكن استقاؤها منها تُقدّم فكرة عن قامة القتيل وعن أنحاء جسده ما يسمح برسم صورة تقريبية له في لحظة الإجهاز عليه. غير أنّ رجال الشّرطة الذين سخّروا هذه الصّورة التّقريبية في بحثهم في ضواحي المحطّة لم يحصلوا على أيّ معلومة ذات أهمية، ربّما لأنّ الضّحية كان يتزيا بطريقة عادية لا تُثير الانتباه.

وقد تمّ استقبال مكالمات عديدة عقب بثّ الصّورة في نشرات الأخبار التّلفزيونية، غير أنّه تعذّر الرّبط بين أيّ شخص والجثّة التي عُثر عليها على ضفّة كيو-إدوغاوا.

قام المحقّقون أيضاً بعرض صور كلّ الأشخاص الذين سبَقَ أن صدَرَت في حقّهم مُذكّرات بحث، لكن من دون جدوى.

بَيْدَ أنّ المرحلة الموالية كانت مُثمرة أكثر من سابقاتها، وهي مرحلة التّثبّت ممّا إن كان شخص ينزل في أحد فنادق أو نُزُل مقاطعة إدوغاوا ونواحيها قد اختفى فجأة.

إنّه نُزلٌ يحمل اسم توبيرايا، يقع في حي كاميدو. فقاطن أحد غُرفه لم يُرَ له من أثر منذ 11 مارس، وهو تاريخ العثور على الجثّة. فبما أنّه لم يُخلِ الغرفة في الوقت المعلوم توجّه أحد المستخدمين إليها فلم يجد الزّبون فيها لكنه عَثَرَ على بعض أغراضه. ولم يُبلّغ مُدبّر النّزل عنه لأنّ ثمن إيجار الغرفة سُوِّيَ مسبقاً.

وقد توافقت البصمات والشّعر الذي عُثر عليه في الغرفة مع

بصمات الضّحية وشعرها، علاوة على أنّ البصمات الموجودة على الدّراجة الهوائية تتوافق مع ما عُثر عليه من ذلك في الغرفة وفي الأغراض الشّخصية.

ينصّ سجلّ النّزل على أنّ الزّبون يُدعى شينجي توغاشي، القاطن بنيشي-شينجوكو، في مقاطعة شينجوكو.

مكتبة
t.me/t_pdf

4

غادر الرّجلان المحطّة ومشيا في اتجاه جسر شين-أوهاشي، لكنّهما انعطفا يميناً في شارع ضيق قبل الوصول إلى الجسر. كان الشّارع محفوفاً بمنازل صغيرة وبعمارات، مع حوانيت قديمة. أحياء كثيرة اجتثّت منها مثل هذه الحوانيت بسبب الأسواق النّموذجية والمحلّات التجارية الكبرى، لكنّها هنا لا تزال تُقاوم، أسرّ لنفسه كوساناغي الذي يرى فيها تجسيداً لروح الأحياء الشّعبية لطوكيو.

كان الوقت يقترب من الثّامنة مساء. تقاطع المفتّش وزميله مع امرأة عجوز تحمل آنية بلاستيكية تحت ذراعها، ما يعني أنّ ثمّة حمّاماً شعبياً في الجوار.

- محطّة المترو ليست بعيدة، وهناك محلّات تجارية. من المفروض أن ظروف السّكن هنا جيدة، قال كيشيتاني بصوت خفيض.

- ما غرضك من هذا الكلام؟

- لا شيء. فقط بدا لي الحيّ مكاناً مُناسباً لامرأة تعيش وحيدة مع ابنتها.

- فهمت.

سببان يُفسّران تفهّم كوساناغي لما قاله زميله، فهما الآن يهمّان بزيارة امرأة تعيش وحيدة مع ابنتها، وكيشيتاني تربّى في أسرة افتقدت أحد الأبوين.

قرأ كوساناغي أرقام الاتّجاهات على اللّافتات الكهربائية كي يتأكّد أنّهما في الاتّجاه الصّحيح. هما على مقربة من العمارة المقصودة والتي تقطنها امرأة تُدعى ياسوكو هناووكا المسجّل اسمها على كرّاسة في يده.

لم يكُن العنوان الذي دوّنه شينجي توغاشي في سجلّ النّزل من نَسج الخيال، فهو حقّاً آخر عنوان سكن فيه وإن كان قد غادره.

أعلنت الجرائد والتّلفزيون أنّه قد تمّ التّعرف على صاحب الجثّة التي عُثر عليها في ضفّة كيو-إدوغاوا وطُلب من الأشخاص الذين يعرفون الضّحية الاتّصال بأقرب مفوضية إليهم، لكن ذلك لم يُسعف بشيء في تحصيل معلومات مُفيدة.

وبفضل الملف الذي عبّأه توغاشي في الوكالة العقارية التي كان قد اكترى بواسطتها شقّته في نيشي-شينجوكو، اطّلعت الشّرطة على اسم آخرِ مُشغّليه، وهو صاحب محلّ لكراء السّيارات المستعملة بحي أوجيكوبو، لم يكن توغاشي قد اشتغل فيه أكثر من سنة واحدة.

بتلك الطّريقة استطاع المحقّقون إعادة بناء مسار توغاشي، ففاجأهم أنّه كان يبيع قبل ذلك سيارات فاخرة من صنع أجنبيّ، وكانت الشّركة التي يشتغل فيها قد فصلته عندما اكتشفت اختلاساته من دون أن تُبلّغ عنه، وإن كانت الشّرطة قد اكتشفت تحايُلَه ففي سياق البحث في اختفائه. لا تزال هذه الشّركة قائمة، لكنّ مُسيرها الحالي أكّد أنّه لا علم له بهذه المرحلة المأسوف عليها.

كان توغاشي مُتزوّجاً عندما كان يشتغل، وبحسب ما أدلى به

شخص يعرفه، فإنّه ظلّ يميل بعض الميل إلى زوجته السّابقة بعد انفصالهما.

كانت زوجته أمّاً لطفلة عندما اقترن بها، ولم تجد الشّرطة أدنى صعوبة في العثور على عنوانها. تُسمّى هذه الزّوجةُ ياسوكو هناووكا، وابنتها ميساتو، وها هما، كوساناغي وزميله، يهمّان الآن بلقائها في حيّ موريشيتا في مقاطعة كوتو.

- أنا لا أحبّ ما نحن مُقبلان عليه. إنّ حظّي لعاثر حقاً، قال كيشيتاني نادباً.

- أنت تعتبر ذهابك برفقتي لاستجواب شخص سوءَ حظّ؟

- ليس هذا قصدي، وإنّما لا تُعجبني فكرةُ الذّهاب لتعكير صفو مجرى حياة امرأة تعيش مُطمئنة مع ابنتها.

- إن لم يكُن لهما دَخل فيما نحن فيه فلن نُعكّر صفوهما إلّا قليلاً.

- أتعتقد؟ لم يكُن هذا التوغاشي، من دون شكّ، زوجاً صالحاً لهذه السّيدة ولا أباً جيّداً لابنتها، ومن المحتمل ألّا تكون لهما رغبة في تذكّره.

- إنْ كان ما تقوله صواباً ستكونان سعيدتين بلقائنا ما دمنا نحمل لهما نبأ وفاته. أعتقد أنّنا وصلنا، قال كوساناغي وهو يقف أمام بناية قديمة.

بناية مصبوغة بلون رماديّ أضحى وسخاً، على جُدرانها آثار لعمليات ترميم، لها طابق علوي واحد وتحوي في المجموع ثمانية مساكن، أربعة في الطّابق العلويّ ومثلها في السّفليّ. كان الضّوء يظهر من نصف نوافذ البناية.

- تسكن الشّقة رقم 204. من المفروض أن تكون في الطّابق العلويّ، قال كوساناغي وهو يدلف إلى السّلم متبوعاً بكيشيتاني.

كانت الشّقة رقم 204 هي الأبعد عن السّلم. رأى كوساناغي من النّافذة المجاورة لباب المدخل مصباحاً مُناراً بالدّاخل، فسُرّ لرؤيته، لأنّهما كانا سيضطرّان للعودة لو لم يجدا أحداً بالدّار، وهو لم يكُن قد أخطر السّيدة هناووكا بزيارتهما.

دقّ الجرسَ فسمع على الفور صوتاً بالدّاخل. دار المفتاح في القفل وانفتح الباب. ظلّت سلسلة الأمان مُثبتة فبدا له هذا الاحتياط معقولاً ما دام صادراً عن أمّ تعيش وحيدة مع ابنتها.

تفحّصت وجهَه امرأةٌ بعين شكّاكة. وجهها صغير وعيناها شديدتا السّواد، وبدا له أنّها في الثّلاثين من عمرها تقريباً، لكنّه أسرّ لنفسه أنّ الأمر إنّما بدا له كذلك بسبب النّور غير الكافي، لا سيما وأنّ اليد الموضوعة على مقبض الباب هي لامرأة أسنّ.

- طاب مساؤك. أنت هي السّيدة ياسوكو هناووكا؟ سأل بنبرة ودودة مُبدياً تبسّماً.

- أجل. ما بُغيتك عندي؟ أجابت بنظرة صارت الآن قلقة.

- نحن رجلا شرطة ونريد مُحادثتكِ، قال مُفسّراً وهو يمدّ لها بطاقته، وفَعَلَ مثله كيشيتاني الواقف بجانبه.

- شرطة... قالت ياسوكو هناووكا جاحظة العينين.

- هل يُمكننا مُحادثتك لحظة؟

- أوه... نعم. ثمّ أغلَقَت الباب وأعادَت فتحه بعد أن فكّت سلسلة الأمان. في ماذا تُريدان مُحادثتي؟

تقدّم كوساناغي خطوة وولَجَ المدخل فتبعه كيشيتاني.

- أنتِ تعرفين بالتأكيد شينجي توغاشي.

لاحظ كوساناغي أنّ وجه المرأة تشنّج، ولربّما كان ذلك ردّ فعل طبيعيّ من امرأة تسمَع فجأة اسم زوجها السّابق.

- هو زوجي السّابق... هل حصل له شيء؟

بدا أنّها لا علم لها بمقتله. ربّما كانت قليلاً ما تُتابع نشرات الأخبار التّلفزيونية وغيرَ مثابرة على قراءة الصّحف. كما أنّ القضية لم تحظَ بمتابعة إعلامية كبيرة، فلا غرابة إذاً في ألّا تكون على علم بها.

- حسن... قال مُبتدئاً كلامه، لكنّه عاد إلى الصّمت وهو يُلاحظ أنّ باب الغرفة بعمق الشّقة مُقفلٌ بإحكام، فسأل: هل ثمّة أحد في الغرفة الثّانية؟

- ابنتي.

- آه. قال وهو يُلقي نظرة على المِضرَبَين الموضوعين في زاوية من المدخل. لقد توفّي السّيد توغاشي، قال بصوت أقلّ قوة.

فتحت ياسوكو عينيها من المفاجأة، بيد أنّ تعبيرَ وجهها لم يتغيّر.

- لكن، كيف حصل ذلك؟

- عُثر على جثته في ضفّة كيو-إدوغاوا. لا نعرف بعد بدقّة سبب وفاته، لكنّنا نعتقد أنّه قد اغتيل، قال شارحاً وموضّحاً، مُقدّراً أنّ بالإمكان الدّخولَ مُباشرة في صلب الموضوع. بدا لأوّل وهلة وكأنّ الأمر هزّها، فحرّكت رأسها قليلاً وقد كسا وجهها الاندهاش.

- لكن كيف حصل ذلك؟

- هذا ما نُريد معرفته. ليس للسّيد توغاشي عائلة فسمَحنا لأنفسنا أن نأتي للقائكِ في هذه السّاعة المتأخّرة لأنّك كنتِ زوجته، واصلَ القول وهو يُنكّس رأسه اعتذاراً.

- آه! مفهوم، قالت وهي تحمل كفّها إلى شفتيها، غاضّة بصرها.

كان باب غرفة عمق الشّقة المغلق يشغَل بال كوساناغي. هل تُنصت المراهقة الموجودة في الغرفة الثّانية إلى المحادثة؟ ما كان ردّ فعلها عندما سمعت خبر موت زوج أمّها، إن كان قد تناهى إلى سمعها؟

- ولعلمك، فقد استخبرنا. لقد انفصلتِ عن السّيد توغاشي منذ خمس سنوات، أليس كذلك؟ فهل بقيتِ على اتّصال به؟

- كلّا، على الإطلاق.

لكنّ هذا لا يعني أنّها لم يسبق لها رؤيته.

- رأيته آخر مرّة، منذ زمن طويل. السّنة الفارطة أو التي قبلها، ما عدتُ أذكر...

- ولم تكوني على اتّصال به بالهاتف ولا بالرّسائل؟

- لا، قالت وهي تنفي برأسها نفياً باتّاً.

رفع كوساناغي رأسه ومسَحَ الغرفة بنظرة. لم تكن الغرفة المفروشة أرضيتها بالسّجاد واسعة لكنّها مُرتّبة بعناية وشديدة النّظافة. آنية موضوعة على المائدة المُدفِئة الواطئة فيها بعض الفاكهة. أثار لديه مضربُ البادمنتون المُسند إلى الجدار حنيناً لأنّه كان يُزاول هذه اللعبة لمّا كان طالباً.

- نحن نعتقد أنّ السّيد توغاشي توفي في ليلة العاشر من مارس. ألا يُراود ذهنك شيء بخصوص هذا اليوم أو بخصوص ضفّة كيو-إدوغاوا؟ كلّ ما يُمكنك قولُه يُهمّنا.

- هكذا بغتة لا يُراودني شيء، لم يحصل أيّ شيء خاصّ في هذا اليوم، فأنا لا أخبار لي عنه منذ زمن طويل.

- حسن.

اتّضح من هيئة ياسوكو أنّها لا ترغب في الحديث في هذا الموضوع، فبدا ذلك مفهوماً. كما أنّ كوساناغي لم يكُن قد اتّخذ بعد قرار اعتبارها ذات دخل في هذه القضية ولم يكُن قد صرف النّظر عن ذلك أيضاً.

ربّما كان خيراً له أن يضع نقطة نهاية لهذا التّحقيق، لكنّه يُريد قبل ذلك التأكّد من أمر.

- كنتِ في بيتك يوم 10 مارس؟ سأل وهو يضع الكرّاسة في جيبه، ليوحي أنّه يطرح هذا السّؤال شكلياً لا غير.

ذهب مجهوده جفاءً، لأنّ ياسوكو عقدت حاجبيها غير مُخفِيَة انزعاجها.

- هل أفهم من هذا أنّ من الخير لي أن أخبرك بما كنتُ فعلته هذا اليوم؟

ابتسم كوساناغي.

- لنتفادَ المُبالغة في الأمر. ستُسهّلين علينا عملنا إن أخبرتِنا بذلك.

- لحظة من فضلك.

التفتت للنّظر في جزء من الجدار لا يراه هو ولا زميله، حيث من المفروض أن تكون روزنامة معلّقة. هو يُفضّل أن يراها لكنّه رضَخ للأمر الواقع ما دام غير قادرٍ على ذلك.

- اشتغلتُ في هذا اليوم وخرجتُ مساء مع ابنتي.

- وما كانت وجهتكما؟

- قاعة سينما بكنشيشو. سينما راكوتينشي.

- متى غادرتما البيت على وجه التّقريب؟ وأيّ فيلم شاهدتماه؟

- خرجنا حوالي السّادسة والنّصف وشاهدنا . . .

قدّمت عنوان فيلم يعرفه كوساناغي، ويُشكّل الجزء الثّالث من حكاية هوليوودية طويلة ذات شعبية غامرة.

- وعُدتما إلى بيتكما بعد مُشاهدة الفيلم؟

- تعشينا في مطعم المركز التّجاريّ الذي توجد السينما فيه، ثمّ ذهبنا إلى صالون موسيقى كراوكي.

- كراوكي؟ تقصدين صالوناً خاصّاً؟

- أجل. ابنتي ألحّت على ذلك.

- هكذا . . . وتذهبان إليه باستمرار؟

- مرّة في الشّهر أو ربّما في شهرين.

- كم تبقيان فيه؟

- حوالي ساعة ونصف، وإلّا فإنّ عودتنا إلى البيت تكون متأخّرة.

- ذهبتما إلى السينما وإلى مطعم ثمّ صالون كراوكي . . . في أيّ ساعة عدتما إلى البيت؟

- قد نكون عدنا في الحادية عشرة، أعتقد. ما عدت أتذكّر السّاعة بالضّبط.

أقرّ كوساناغي بحركة من رأسه. هو لم يكن مُقتنعاً كلّ الاقتناع بما قالته لتوّها لكنّه عاجز عن تحديد سبب شكّه.

سجّل المفتّشان اسم صالون الكراوكي وانصرفا.

- يبدو ألّا علاقة لها بالجريمة، وشوش كيشيتاني وهما يبتعدان عن الشّقة.

- لا يمكننا أن نكون متأكّدين من ذلك الآن.

- أجد من الرّائع الذّهاب مع العائلة للغناء في صالون كراوكي! يبدو أنّ التّفاهم قائم بينهما.

لم تكن لدى كيشيتاني رغبة في الاشتباه في ياسوكو هناووكا.

التقيا بشخصٍ يصعد السّلم، قصير بدين في حوالي الأربعين من عمره. فسح له كوساناغي وزميله ليمرّ. فتح باب الشّقة رقم 203 ودلف.

تبادل الشّرطيان نظرة وعادا أدراجهما.

قرآ اسم «إشيغامي» تحت زرّ الجرس الذي ضغطاه. ظهر بالعتبة الرّجل الذي التقياه لتوّهما. كان قد خلعَ معطفه، وهو يرتدي كنزة وسروالاً.

ظلّ وجهه على ثباته ونقّل بصره في البداية إلى كوساناغي ثمّ نحو كيشيتاني. عادة ما يُوجّه النّاس نحوهما نظرات شكّاكة وأحياناً قلقة، لكنّ محيا هذا الرّجل لم يحمل أيّ تعبير، فاندهش كوساناغي من ذلك.

- اغفر لنا إزعاجَك في مثل هذه السّاعة المتأخّرة. هل تجد لديك استعداداً لمساعدتنا؟ سأل بنبرة ودّية وهو يُقدّم له بطاقته.

لم يُبدِ الرّجل أيّ ردّ فعل، فتقدّم كوساناغي خطوة.

- لن يستغرق ذلك إلّا دقائق. نودّ أن نطرح عليك بعض الأسئلة.

ولمّا اعتقد أنّ مُخاطبه لم يرَ ربّما بطاقته، مدّها نحوه من جديد.

- حول ماذا تُريدان سؤالي؟

بدا أنّ الرجل كان قد فهم أنّهما شرطيان، لذلك لم يُلقِ على البطاقة نظرة.

أخرَجَ كيشيتاني من جيب سترته صورة لتوغاشي تعود إلى مرحلة بيعه السّيارات المستعملة.

- الصّورة قديمة، لكن هل حصلَ لكَ أن رأيت هذا الشّخص في الأيام الأخيرة؟

فحصَ الرّجل الصّورة بدقّة ورفَعَ بصره نحو كوساناغي.

- لا أعرف هذا الرّجل.

- كنت أشكّ في ذلك. لم يسبق لك أبداً أن رأيته؟

- في أيّ مكان قد أكون رأيته مثلاً؟

- في الجوار.

نظر الرّجل في الصّورة من جديد، عاقداً حاجبيه. لم يكُن لكوساناغي أمل كبير.

- لا أدري ما أقوله لك. ليس بإمكاني أن أتذكّر كلّ الأشخاص الذين ألتقي بهم في الشّارع.

- حسن! قال كوساناغي وهو يُفكّر في أنّه قد أخطأ إذ توجّه بالحديث إلى هذا الرّجل.. تعود عادة إلى بيتك في هذه السّاعة؟

- هذا يختلف من يوم إلى آخر. فأنا أعود أحياناً بعد هذه السّاعة بسبب النّادي.

- النادي؟

- أنا مسؤول عن نادي الجودو، وأضطرّ للتّأكّد من أنّ أبواب المحلّ مُحكَمَة الإغلاق.

- أنتَ مدرّس؟

- أجل، في ثانوية، قال الرّجل وهو يُعلمهما باسم المؤسّسة.

- نحن متأسّفان حقّاً على إزعاجك في هذه السّاعة المتأخّرة، قال كوساناغي مُنكّساً رأسه.

في اللّحظة نفسها لمح كتب رياضيات مكوّمة على أرضية المدخل. هو يُدرّس الرّياضيات، أسرّ لنفسه مُبدِياً امتعاضاً خفيفاً، لأنّ الرّياضيات لم تكن مادّته المفضّلة في الثّانوية.

- يُنطق اسمك «إشيغامي»؟ هو مكتوب هكذا تحت زرّ الجرس.

- نعم، إنّه إشيغامي.

- هل بإمكانك، سيد إشيغامي، أن تُخبرني في أيّ ساعة عدتَ إلى بيتك يوم 10 مارس؟

- 10 مارس؟ هل حصل شيء في هذا اليوم؟

- لا، لا شيء له ارتباطٌ بك، لكنّ لنا اهتماماً بهذا اليوم.

- حسن، يوم 10 مارس... وجّه إشيغامي نظرته بعيداً، ثمّ نظر في وجه كوساناغي. أعتقد أنّني كنت قد عدت مُباشرة إلى البيت، حوالي الحادية عشرة ليلاً.

- وعندما عدت، هل بإمكانك أن تقول لنا إن كان جيرانك...

- جيراني؟

- أريد أن أقول جارتكَ، السّيدة هناووكا، قال كوساناغي وهو يُخفت من صوته.

- هل أقدَمَت السّيدة هناووكا على شيء؟

- لا، لا. يدخل هذا في إطار تحقيق نُجريه.

بدا من ملامح إشيغامي أنّه يُفكّر، ولربّما كان آخذاً في طرح أسئلة على نفسه تخصّ جيرانه. وقد استطاع كوساناغي أن يستخلص من مظهر شقّته أنّه عازب.

- لا أتذكّر شيئاً له خصوصية ما. أعتقد أنّني لم أُلاحظ شيئاً.

- لم تسمع ضجيجاً أو أصواتاً تتبادل الحديث؟

- لا، قال وهو يُنكّس رأسه، لا شيء كان قد لفت انتباهي.

- حسن، وهل علاقتك جيدة بالسّيدة هناووكا؟

- نحن جاران، نتبادل التّحية عندما نتقاطع، ولا شيء أكثر من ذلك.

- حسن. أنا أشكركَ على تعاونكَ، وأكرّر اعتذاري على إزعاجنا لك.

- لا إزعاج.

مدّ إشيغامي كفّه إلى الباب المثّبتة عليه علبة البريد، فجحظت عينا كوساناغي الذي كان يُتابعه بنظره إذْ شاهد ظرفَ رسالة مكتوباً عليه اسمُ جامعة تايتو.

- معذرة... قال من جديد بصوت مُتردّد. هل درستَ بجامعة تايتو؟

- نعم، أجاب إشيغامي مُفاجأً على ما يبدو. آه، أنت رأيت مظروف جمعية قدماء الطّلبة. هل لذلك صلةٌ بتحقيقكما؟

- أبداً. فقط لي صديق درس في هذه الجامعة.

- آه، حقّاً؟

- معذرة على إزعاجك، كرّر كوساناغي وهو يُغادر المدخل.

- ألم تدرس أنت أيضاً في هذه الجامعة؟ لماذا لم تُخبره بذلك؟ سأله كيشيتاني وقد أصبحا على مسافة من الشّقة 203.

- لا أدري. بدا لي ذلك غير مناسب ما دام هو كان طالباً في كلية العلوم!

- يبدو لي أنّك تشعر بنفسك أدنى شأناً من الطّلبة العلميين، قال كيشيتاني باسماً.

- ذلك أنّ لي صديقاً لا ينفكّ يجعلني أستشعر ذلك، أجاب كوساناغي وهو يلمح أمامه خيال وجه يوكاوا.

انتظر إشيغامي ربع ساعة تقريباً بعد انصراف المفتّشين كي يُغادر شقّته. تأكّد أنّ في شقة جارتَيه نوراً ونزل السّلم.

مشى ما يقرب من عشر دقائق ليصل إلى هاتف عمومي هو متأكّد من أنّه لا يُثير فيه انتباه أحد. لم يكن يُريد استعمال هاتفه المحمول ولا الهاتف الثّابت لشقّته.

تذكّر حديثه مع الشّرطيين فحدثَ لديه اليقين من أمرٍ واحد، وهو أنّ لا شيء في كلامهما يوحي أنّهما يُقيمان علاقة بينه وبين الجريمة. لكن الحذر مع ذلك واجب، لأنّ من شأن الشّرطة أن تستنتج أنّ جارتَيه ما كان باستطاعتهما حملُ الجثّة من دون عون رجل، وستبحث بالتأكيد عمّن مِن أقاربهما له القدرة على المجازفة بمساعدتهما، ومن المرجّح جدّاً أن تهتمّ به ليس إلّا لأنّه جارهما.

نحّى جانباً فكرة زيارة جارتيه في شقّتهما، لأنّ عليه من الآن فصاعداً أن يتجنّب كلّ اتّصال بهما، كما عليه ألّا يستعمل هاتفهما الثّابت للسّبب نفسه، لأنّ المحقّقين لن يجدوا أدنى صعوبة في معرفة أنّه قد هاتف ياسوكو هناووكا اعتماداً على لائحة المكالمات المسجّلة.

لكن ما الشّأن مع مطعم بنتنيه؟

لم يكُن قد اتّخذ قراراً بعد، ويقتضي المنطق أن يتجنّب زيارته لمدّة معينة. لكنّ الشّرطة ستزوره عاجلاً أم آجلاً في إطار التّحقيق، وستعلم ربّما أنّه كان قد اعتادَ أخذ غذائه منه كلّ يوم تقريباً، وقد

يبدو لها غريباً أن يكون أستاذ الرّياضيات قد كفّ عن القيام بذلك منذ وقعت الجريمة.

وإن كان إشيغامي واعياً برغبته في مواصلة ارتياد المطعم كما فعَلَ دائماً حتّى الآن، لأنّه المكان الوحيد الذي يلتقي فيه بياسوكو، وأنّه إن كفّ عن ارتياده لن يعود لرؤيتها أبداً، فإنّه لا يجد من نفسه الثّقة الكاملة كي يُجيب منطقياً عن السّؤال الذي من المفروض أن يطرحه عليه المحقّقون في شأنه.

دخل المَخدَع وأدخَلَ في الآلة بطاقة هاتفية مُزيَّنة بصورةِ صبيٍّ زميلٍ له.

ركّب رقم محمول ياسوكو، لأنّ الشّرطة من المحتمل أن تتنصّت على رقم هاتفها الثّابت. السّلطات تُؤكّد دائماً أنّها لا تتنصّت أبداً على الأرقام الشّخصية للنّاس، لكنّ إشيغامي لا يُصدّق ذلك.

- ألو!

تعرّف صوتَ ياسوكو. كان قد أخبرها أنّه إن اضطرّ لمكالمتها سيفعل ذلك من مخدَع عمومي.

- طاب مساؤكِ، أنا إشيغامي.

- آه!

- زارني قبل قليل مُفتّشا شرطة، هل زاراكِ أنتِ أيضاً؟

- نعم.

- فيمَ سألاكِ؟

أنصَتَ إشيغامي لحكايتها وهو يُحلّل ما تقوله ويُخزّنه في ذاكرته. بدا له ممّا سمع أنّ المحقّقين لا يشكّان فيها إلى حدود هذه اللّحظة وأنّهما إذ مرّا إلى بيتها فإنّما ليتأكّدا شكلياً ممّا إذا كانت ثمّة

علاقة ما، وقد يكون الأمر الذي وُجّه إليهما هو أن يذهب أحدهما لسؤالها في إطار التّحقيق عندما يكون له وقت للقيام بذلك.

لكنّهما إن اكتشفا وهما يُعيدان تشكيل أحداث يوم توغاشي أنّ هذا الأخير قد زار ياسوكو، فإنّ موقفهما منها سينقلب من النّقيض إلى النّقيض. سيشرعان في طرح أسئلة على ياسوكو حول ما قالته لهما من قبل. وكان إشيغامي قد فسّر لها سلفاً كيف يجب أن يكون دفاعها.

- هل التقت ابنتُكِ بهما؟

- لا، هي كانت في الغرفة الثانية.

- حسن، لكنّهما سيسألانها آجلاً أم عاجلاً، فهل سبق لكِ أن حدّثتها عمّا يجب أن تقوله لهما؟

- أجل وبإسهاب. وقد أكّدت أنّها قادرة على القيام بذلك.

- اعذريني على إلحاحي، لكنّها ليست بحاجة إلى التّمثيل، يكفيها أن تُجيب بطريقة طبيعية.

- سأقول لها ذلك.

- هل أريتهما تذكرتَي السينما؟

- لا، ليس بعد. أنت قلت إنّه لا فائدة من ذلك ما لم يطلباهما.

- أحسنتِ، وأين وضعتِ التّذكرتين؟

- في درج.

- ضعيهما في المطويّ الدّعائي للفيلم، فلا أحد يحتفظ بعنايةٍ بتذكرتين مُستعمَلَتين. إنّ وضعَهُما في درجٍ بَدَل مطويّ الفيلم يُثير الانتباه.

- حسن.

- أُريد أن أسألك في شيء، قال إشيغامي وهو يحبس أنفاسه ويضغط بقوة على السّماعة، هل لاحظ العاملون في مطعم بنتنتيه أنّني غالباً ما آتي لأخذ وجبَتي من المحل؟

- عفواً؟

كان سُؤاله قد فاجأ ياسوكو.

- أُريد أن أعرف وجهة نظر مستخدمي بنتنتيه في ابتياع جارك بانتظام وجبة غدائه من محلّهم. أجيبيني بصراحة، فالأمر مهمّ.

- صاحب المحلّ سعيد بأن يكون له زبون جديد قارّ.

- هو إذاً على علم أنّنا جاران؟

- نعم... أتعتقد أنّ في هذا إشكالاً؟

- لا، لا تَشْغَلي بالكِ. اكتفي بالتّصرّف وفق الطّريقة التي حدّدناها، أتفهمين قصدي؟

- أفهم جيداً.

- حسن. إلى اتّصال آخر، قال إشيغامي وهو يُبعد السّماعة عن أذنه.

- سيد إشيغامي... نادت ياسوكو.

- نعم؟

- أنا أشكرك على كلّ شيء. أنا ممتنّة لك.

- لكن... إلى لقاء قريب، قال وهو يضع السّماعة.

أذهلته كلمات ياسوكو فارتفعت حرارة وجهه وأحسّ بالارتياح من مُلامسة الهواء البارد لوجنتيه وشعر بالعرق ينزّ تحت إبطيه.

تملّكه الفرح وهو ينتهج طريق العودة، لكنّ مشكل المطعم قصّر من زمن ابتهاجه.

انتبه أنّه قد ارتكب خطأ في أثناء حديثه مع المفتّشَين، فهما لمّا سألاه عن علاقته بياسوكو هناووكا أجابهما أنّهما يتبادلان التّحية عندما يلتقيان بوصفهما جارين، بيد أنّه كان عليه أن يُدقّق فيقول إنّه يذهب باستمرار لابتياع وجبة غدائه من المطعم الذي تشتغل فيه.

- هل تأكّدتما ممّا صرّحَت به ياسوكو هناووكا؟

كان ماميا يُقلّم أظفاره مُنتظراً إجابة كوساناغي وكيشيتاني اللّذين استدعاهما.

- أجل، تأكّدنا من ذهابهما إلى صالون الكراوكي، أجاب كوساناغي. هما غالباً ما ترتادانه، والعمّال يتذكّرون زيارتهما. وصلا الصّالون في التّاسعة مساءً وأربعين دقيقة، وظلّا فيه ساعة ونصف الساعة.

- وقبل ذلك؟

- من المحتمل أن تكونا قد حضرتا في السينما فرجة السّابعة مساءً والتي تنتهي في التّاسعة وعشر دقائق، ومن المفروض أن تكونا قد تناولتا عشاءهما بعد ذلك. يبدو هذا منطقيّاً، قال كوساناغي وهو ينظر في مفكّرته.

- أنا لا أسأل إن كان هذا منطقياً أم لا، وإنّما إن كنتما قد تثبّتّما منه.

أعاد كوساناغي إغلاقَ مُفكّرته.

- كلا.

- وتعتقد أنّ ما قلته يكفيني؟ سأل ماميا وهو يتفرّس في وجهه.

- أنت تعلم أيّها الرّئيس أنّ التّثبّت ممّا حصل في قاعة سينما أو في مطعم للمعكرونة أمر شديد الصّعوبة.

مدّ ماميا لكوساناغي، وهو يُنصت إليه يُبرّر ما أقدم عليه، بطاقة زيارة قرأ فيها المفتّش «نادي ماريان»، مع عنوان بكنشيشو.

- ما هذا؟

- النّادي الذي كانت تشتغل فيه ياسوكو من قبل. وقد زاره توغاشي يوم 5 مارس.

- أي... خمسة أيام قبل مقتله؟

- سأل عنها وعن ابنتها. ألا تريان أنّ حتّى البُلهَ من أمثالكما بإمكانهم فهم قصدي؟ قال ماميا وهو يُوجّه سبابته نحوهما. هيا، انصرفا وتثبّتا من ذلك! وإن لم تحصلا على ما تُريدان، عودا لرؤيتها.

5

عصاً طولها ثلاثون سنتيمتراً تقريباً أُدخِلَت فيها حلقة، موضوعةٌ في علبة مربّعة، فيبدو الأمر أشبه بلعبةِ الأطفالِ لقذف الحلقات، مع فارق وحيد هو أنّ حبلاً كهربائياً موصولاً بقاطعٍ للتيار يخرج من العلبة.

- ما هذا الشّيء؟ سأل كوساناغي وهو يستطلع ذلك بفضول.

- أنصحكَ ألّا تَمسسه، قال كيشيتاني محذّراً وهو يجلس إلى جانبه.

- أنا على يقين أنّه ليس خطيراً، ولو كان كذلك لما تركه هنا في مُتناول الجميع، أجاب كوساناغي وهو يضغط زرّ قاطع التيار، ما جعل الحلقة ترتفع ببطء مُحلّقةً.

فاجأه ما رأى فأطلق صرخة، في حين راحت الحلقة تطفو في الهواء.

- اجعل الحلقة تنزل الآن! قال صوتٌ من خلفه.

التفتَ كوساناغي في اللّحظة نفسها التي دخل فيها يوكاوا مُتأبّطاً حزمة ملفّات.

- طاب نهارك! كنتَ تُقدّم درساً؟ قال وهو يدفع الحلقة بطرف أصابعه.

لكنّه سرعان ما سحب كفّه.

- آي! إنّها حارقة!

- أنا لا أترك أموراً خطيرة هنا، أو على الأقلّ لا أتركها في متناول الأشخاص الذين ليست لهم معرفة حتّى بالأمور القاعدية للفيزياء. قال يوكاوا مُعلّقاً وهو يقترب من صديقه ليُطفئ الآلة. تُستعمل هذه الأداة في الثّانوية لإجراء تجارب في الفيزياء!

- أمّا أنا فلم أُجرِ تجارب في الثّانوية، عقّب كوساناغي وهو ينفخ على أصابعه.

ضحك كيشيتاني ملء فَمه.

- مَن هذا السّيد الذي نتشرّف بلقائه؟ لا أعتقد أنّنا سبق لنا أن تعارفنا، قال يوكاوا وهو ينظر إليه.

كفّ كيشيتاني عن الضّحك وقدّم نفسه.

- اسمي كيشيتاني، زميل كوساناغي الذي كثيراً ما حدّثني عنك. أنا أعلم أنّك قد ساعدته باستمرار في تحقيقاته. الجميع عندنا يعرفونك باسم البروفيسور غاليلي.

كشّر يوكاوا بوجهِه مُؤتياً إشارة نفي بيَده.

- لا تنادِني هكذا، فأنا لم أساعد كوساناغي رغبة منّي وإنّما كنت أجدني كلّ مرّة مضطرّاً للقيام بذلك عندما أرى افتقاره الشّديد إلى المنطق. وعليكَ أن تأخذَ حذركَ لأنّ انعدام المرونة الذّهنية قد يكون مُعدِياً.

ألقى كوساناغي نظرة قاتمة على زميله الذي رفع صوته مُقهقهاً.

- أيسلّيك هذا؟ أنت تُبالغ يا يوكاوا! لدي انطباع، بالأحرى، أنّك تتسلّى بحلّ الألغاز.

- أنت ترى أنّ هذا يُسلّيني؟ إنّني دائماً ما أُسلّم مقالاتي متأخّراً بسببك أنت. ثمّ لا تقُل لي إنّك هنا لتُحدّثني عن مُشكلٍ يُقلقك؟

- لا تُزعج نفسك. ليست تلك نيتي. لقد مررتُ لرؤيتك لأنّني وجدت نفسي في هذا الحيّ.

- بهذا تكون قد طمأنتني.

اقترب يوكاوا من المغسل وملأ الغلّاية ماءً ثمّ وضعها على الغاز، مُتأهّباً أن يُعدّ لنفسه مشروبه الأثير، قهوة سريعة.

- أخبرني، هل وصلتَ إلى هُويّة قاتل الرّجل الذي عثرتم عليه في ضفّة كيو-إدوغاوا؟ قال وهو يُفرغ مسحوقاً في فنجان.

- كيف علمتَ أنّني مُكلّف بهذه القضية؟

- فكّر! لقد تحدّث التّلفزيون عن القضية في اليوم نفسه الذي كنتَ أنتَ قد تلقّيت فيه تلك المكالمة، آخر مرّة كنت فيها معي هنا. وبالنّظر إلى حالكَ، أُخمّن الآن أنّ التّحقيق لا يتقدّم.

ميّز كوساناغي وجهه وحكّ أرنبة أنفه.

- التّحقيق يتقدّم لكن ببطء. هناك مُشتبه بهم كُثر، ولسنا إلّا في البداية.

- مُشتبه بهم كُثر، كرّر يوكاوا الذي بدا أنّ القضية لا تستأثر باهتمامه.

تدخّل كيشيتاني في الحديث.

- أمّا أنا فلديّ الانطباع بأنّنا لسنا في النّهج السّليم.

- هكذا! قال يوكاوا مُتعجّباً وهو ينظر إليه. أنت لا تنظر إلى الأمور بالطّريقة نفسها؟

- من المبالغة قول ذلك، لكن...

- أنت تُكثِر من الهذر! قال له كوساناغي ناهراً وهو يعقِدُ حاجبيه.

- آسف.

- لا داعي للاعتذار، قال يوكاوا مُلاحظاً. إنّه موقف جيد أن تُنفّذ الأوامر مع الاحتفاظ بعينٍ ناقدة. هو أمرٌ لا غنى عنه لجعل الإصلاحات تتقدّم.

- إنّه ليس سعيداً بسير التّحقيق لأسباب أخرى، قال كوساناغي مُفسّراً. كلّ ما في الأمر أنّ لديه رغبة في حماية النّاس الذين هم مَدار اهتمامنا.

- هذا ليس صحيحاً، قال كيشيتاني مُعقّباً بنبرة مُتردّدة.

- أنت لن تجعلني أُغيّر رأيي بقولك هذا. أنت تتعاطف مع هذه الأمّ التي تُربّي ابنتها وحيدة. وكي أكون صريحاً، فأنا أيضاً لا رغبة لي في الشّك فيهما.

- تبدو القضية مُعقّدة، لاحظ يوكاوا وهو ينظر إلى الرّجل، مُصدِراً بسمة متألّقة.

- ليس إلى تلك الدّرجة. كان القتيل مُطَلّقاً وكان قد حصَلَ لتوّه على عنوان زوجته السّابقة عندما اغتيل. علينا إذاً أن نتأكّد ما إن كانت لديها حجّةٌ تُخلي بها ذمّتها.

- واضح. وهل لديها حجّة ما؟

- نعم ولا، قال كوساناغي وهو يحكّ رأسه.

- أنت لا تُفصِح! قال يوكاوا مُتعجّباً وهو ينهض لأنّ البخار بدأ يخرج من الغلّاية. هل أُعدّ لكما قهوة؟

- نعم.

- أنا لا، شكراً. لديها حجّة لكنّ حجّتها تطرح مشكلاً.

- لا أعتقد أنّها تكذب.

- لا تتحدّث من دون دليل! فنحن لم نستطِعْ التّثبّت من كلّ شيء.

- وفي جميع الأحوال، ألم تقُل للرّئيس إنّ من المستحيل التّثبّت ممّا إن كان شخص ما قد ذهب إلى السينما أو إلى مطعم للمعكرونة؟

- قلت إنّ ذلك صعب ولم أقُل مستحيلاً.

- إن كنتُ أجدت الفهم فإنّ المرأة التي تشتبهان بها قد أكّدت أنّها كانت في السينما لحظة وقوع الجريمة، قال يوكاوا وهو مُقبلٌ حاملاً فنجانَي قهوة.

سلّم واحداً لكيشيتاني الذي شكَرَه وقد جحظت عيناه من قذارة الفنجان، في حين تمالَكَ كوساناغي ضحكته.

- من المفروض أن يكون إثباتُ وجود شخص ما في السينما أمراً معقّداً، قال يوكاوا مُلخّصاً وهو يعود للجلوس.

- بعد السينما ذهبتا إلى صالون كراوكي، وقد أكّد كثير من المستخدَمين حضورَهما، قال كيشيتاني بتصميم.

- من الواضح أنّ لا شيء مُؤكّد فيما يخصّ السينما، وقد تكونان ذهبتا إلى صالون الكراوكي بعد ارتكاب الجريمة.

- ياسوكو هناووكا وابنتها ذهبتا إلى السينما حوالي السّابعة، وهي ليست بالسّاعة المناسِبَة لارتكاب جريمة، حتّى ولو في مكانٍ لا يرتاده أُناس كثر. وعلاوة على ذلك، فإنّ الضّحية قد جُرّد من ملابسه بعد الإجهاز عليه.

- أنا أتّفق معك، لكن لا سبيل لتأكيد أيّ شيء ما لم نستنفد

كلّ الاحتمالات، أجاب كوساناغي وهو يُفكّر في أنّ من المستحيل إقناع ماميا إلّا بذلك.

- أنا لا يُمكنني تتبّع كلّ شيء، لكنّني إن كنت قد فهمت فأنتما على بيِّنة من ساعة وقوع الجريمة.

- يُقدّر الطّبيب الشّرعيّ أنّها ارتُكبت بعد السّادسة مساء من يوم 10 مارس.

- أنت لستَ بحاجة إلى قول هذا لشخصٍ خارج عن دائرة المحقّقين، قال له كوساناغي ناهراً.

- لكن صديقك البروفيسور كثيراً ما أعانك، أليس كذلك؟

- عندما تكون في القضية عناصرُ غير عقلانية، فإنّه لا يُفيد في شيء أن نستشير شخصاً لا ينتمي إلى المهنة.

- أنا حقّاً لا أنتمي إلى مهنتكما، لكنّني لا أُريدكما أنّ تنسيا أنّني أضَعُ تحت تصرّفكما مكاناً تتبادلان فيه النّقاش، قال يوكاوا وهو يتذوّق قهوته مُستعجَلَة الصّنع.

- وصلت الرّسالة. حسن، نحن لن نُزعجك أكثر من هذا، قال كوساناغي وهو يهبّ واقفاً.

- وماذا تقول هذه السّيدة؟ أليس لها شيء تُثبت به أنّها كانت مع ابنتها في السينما؟ سأل يوكاوا من دون أن يضع الفنجان من يده.

- هي تتذكّر الفيلم، لكن ليس من شأن ذلك أن يُحدّد لنا متى شاهدته.

- ألم تحتفظ بالجزء المتبقّي من التّذكرتين؟

لم يستطِعْ كوساناغي منع نفسه من تفرّس يوكاوا.

- بلى.

- أوه، وأين كانت هذه البقية من التّذكرتين؟

أنارت ومضةٌ نظّارتَيه فضحك كوساناغي بالرّغم منه.

- أنا أتبيَّن قصدك. لا أحد يحرص كلّ الحرص على الاحتفاظ ببقية تذكرة السينما كما لو كانت حياته مشروطة بها. لَكنتُ وجدتُ الأمر مدعاة للرّيبة لو كانت ياسوكو هناووكا قد أتَت بهما من على رفّ.

- أستنتج إذاً أنّ الأمر لم يكن كذلك.

- بدأت بالقول إنّها قد رمَتهما، ثمّ تذكّرت أنّ من الممكن أن تكونا في المطويّ الدّعائي للفيلم الذي اشترته، وكانتا فيه بالفعل.

- في المطوي؟ يبدو هذا مُقنِعاً، قال يوكاوا وهو يُشبّك ذراعيه. والتّاريخ المثبت على التّذكرتين هل هو التّاريخ المناسب؟

- بالطّبع. لكنّ هذا لا يُثبت أنّها قد ذهبت إلى السينما. بإمكاننا أن نحصل على تذاكر مُستعمَلَة من سلّة قمامة الورق، أو أن نبتاعها من دون أن نستعملها.

- وهذا يعني مع ذلك أنّ الشّخص الذي تشتبهان به قد ذهب إلى السينما أو اقترب منها.

- هذا بالضّبط هو السّبب الذي جعلنا نقضي نهارنا باحثين هناك. كان غرضنا العثور على شهود. وبما أنّ الحارسة كانت في عطلة يومئذٍ فقد ذهبنا لزيارتها في بيتها، الذي ليس بعيداً. وهو سبب مرورنا لرؤيتك.

- لدي انطباع أنّها لم تُقدّم لكما عوناً ذا بال.

- نعم، فقد حصل ذلك منذ أيّام عديدة وهي لا تتذكّر وجوه كلّ المتفرّجين. لم نكن ننتظر الشّيء الكثير من هذا اللّقاء، لذلك لم تكن خيبتنا كبيرة. حسن، سنترك السّيد البروفيسور يعود إلى عمله،

قال كوساناغي وهو يُربّت على ظهر زميله الذي كان يرشف آخر ما تبقّى من قهوته.

- حظّ سعيد، السّيد المفتّش. إنْ كان الشّخص الذي تشتبهان به هو مُرتكِب الجريمة فإنّه سيُصعّب عليكما المهمّة ربّما.

- ماذا تعني؟

- الشّيء نفسه الذي قلته قبل قليل. لن يذهب شخصٌ عادي إلى حدّ التّفكير في المكان الذي يحتفظ فيه بتذاكر السينما المعدّة كي تكون حجّة له. إن كانت قد تعمّدت دسّ التّذكرتين في مطويّ الفيلم، فإنّ الجولة لم تُربَح بعد.

كانت نظرته قد غَدَت حادّة.

وافَقَ كوساناغي بحركة من ذقنه وهو يتمثّل كلام صديقه.

- سأحتفظ بهذا في ذاكرتي.

كان على وشك مُغادرة المختبر عندما التفَتَ وقد تذكّر أنّه نسي إخباره بشيء.

- بالمناسبة، جارُ هذه المرأة هو أحد قُدامى طَلَبَة كُلّيتك.

- صحيح؟ تساءل يوكاوا وهو يميل برأسه بهيئة شكّاكة.

- اسمه إشيغامي، يُدرّس الرّياضيات بالثّانوية. دَرَسَ بتايتو في كلّية العلوم، على ما أعتقد.

- إشيغامي... كرّر يوكاوا بخفوت، ثمّ استدارت عيناه خلف نظّارته. إشيغامي الدهارمي؟

- دهارمي؟

دلف يوكاوا إلى الغرفة المجاورة بعد أن طلب منهما الانتظار لحظة. تبادل كوساناغي وكيشيتاني نظرة.

عاد يحمل ملفّاً غلافه أسود وفتحه أمام كوساناغي.

- أليس هذا هو إشيغامي؟

رأى صفحة رُتّبت فيها صور شبّان تحت عنوان: «الحاصلون على شهادة الماجستير من الفوج الثّامن والثّلاثين».

أشار يوكاوا إلى شابّ ذي وجهٍ مُستديرٍ ثابتٍ وعينين ضيقتين، وقد كُتب تحت الصّورة اسم تيتسويا إشيغامي.

- بلى، إنّه هو، أجاب كيشيتاني، لقد شاخَ كثيراً، لكنّني أتعرّفه.

رفع كوساناغي رأسه وهو يُخفي بإصبعه جبهة الصّورة وشعرها.

- أنا متأكّد من ذلك. لقد فقد اليوم الكثير من شعره، حتّى أنّني لم أتعرّفه على الفور، لكنّه هو. هل تعرفه؟

- نحن من الفوج نفسه، كنّا في تلك المرحلة نختار الاختصاص الذي نُحبّ انطلاقاً من السّنة الثّالثة. وكنت أنا قد اخترت الفيزياء في حين واصل إشيغامي دراسة الرّياضيات، قال مُفسّراً وهو يُعيد إغلاق الملف.

- بعبارة أُخرى، هو في سنّي نفسها، يا له من أمرٍ لا يُصدّق!

- كان دائماً يبدو أكبر من عمره، قال يوكاوا مع ابتسامة سُرعان ما حلّ محلّها تحيّرٌ. أقلتَ إنّه يُدرّس في الثّانوية؟

- نعم، في ثانوية قريبة من مسكنه، كما أضاف أنّه مسؤول عن نادٍ للجودو.

- أتذكّر أنّني سمعت بأنّه كان قد بدأ مزاولة الجودو طفلاً، وأعتقد أنّ عمّه كان يملك نادياً لهذه الرياضة، لكن، هل أنت مُتيقّن من أنّه يُدرّس بالثّانوية؟

- كلّ اليقين.

- حسن! ما دمتَ تقول ذلك، فهو صحيح. لقد انقطعَت عنّي أخباره منذ زمن طويل، لكنّني كنت أتصوره باحثاً في إحدى الجامعات الخاصّة، ولم أكُن أتخيّل قطّ إشيغامي مُدرّس ثانوي.

- أكان موهوباً؟ سأل كيشيتاني.

تنهّد يوكاوا.

- أنا أُحاول تفادي استعمال نعت نابغة في غير محلّه، لكن فيما يخصّه أعتقد أنّه يُناسبه. كان أساتذتنا يقولون إنّ الأشخاص مثله لا يظهر منهم سوى واحدٍ أو اثنين كلّ قرن. كان اختصاصانا مُختلفين، لكن ذِكرَهُ كان مُتواتراً حتّى بين طلبة الفيزياء. كان يرفض استعمال الحاسوب في عمله، وكان من النوع الذي يُغلق على نفسه في المختبر إلى ساعة متأخّرة قصد حلّ المسائل الأشدّ تعقيداً ليس مُسلّحاً إلّا بالأقلام والأوراق. كان مُمكناً تمييزه من بين ألفٍ، عندما يُنظر إليه من الخلف، وهو السّبب في تلقيبه بلقب الدهارما، الذي يعني من بين ما يعنيه الاحترام الذي كان يُكنّه له الجميع.

فكّر كوساناغي وهو يُنصت إلى صديقه الذي كان من وجهة نظره نابغة: «يا ماكراً، يا ماكراً».

- وكيف لا يكون شخص بهذه الموهبة كلّها قد غدا أستاذاً جامعياً؟ سأل كيشيتاني بإلحاح.

- الجامعة وسط خاصّ، قال يوكاوا بنبرة مُتردّدة غير معهودة عنده.

انتبه كوساناغي إلى أنّ الأدوار المتشابكة التي تلعبها العلاقات الشّخصية، والتي لا تحظى بأيّ اعتبار لدى يوكاوا، قد تكون هي السّبب في توتّر صديقه.

- أهو في صحّة جيدة؟ سأل يوكاوا.

- لا أدري، لكنه لا يبدو مريضاً على كلّ حال. فيه أمر يصعب سبره. هو بالأحرى بارد المشاعر.

- هو لا يُبدي مشاعره، قال يوكاوا مع إصدار بسمة.

- تماماً. فمن عادة الأشخاص الذين يزورهم رجال الشّرطة أن يُبدو بعض الاندهاش وأن يقعوا في بعض البلبلة، ويُبدون في نهاية المطاف ردّ فعل ما، لكنه هو ظلّ ثابتاً فأحدث لدي الانطباع بأنّه لا اهتمام له إلّا بنفسه.

- أنت مُخطئ. هو لا يهتمّ إلّا بالرّياضيات، لكنّ له جانباً مُبهراً. هلّا سلّمتني عنوانه، سأذهب للسّلام عليه عندما يُسعفني الوقت.

- لم يسبق لي أن رأيتك مُهتمّاً بشيء كما هي حالك الآن.

أخرَجَ كوساناغي المفكّرة كي يُسلّمه عنوان البناية التي تقطنها ياسوكو هناووكا، فسجَّل رجلُ الفيزياء العنوان وقد تخلّى كما بدا عن أيّ اهتمام بحكاية الجريمة.

عادت ياسوكو هناووكا إلى مسكنها بالدّراجة الهوائية في السّادسة مساءً وثمانٍ وعشرين دقيقة. كان إشيغامي يُراقبها من نافذة شقّته وقد امتلأت المائدة أمامه بأوراق مُترَعَة بالحسابات المعقّدة. كان قد اعتاد الجلوس إليها عندما يعود إلى بيته من العمل، لكنّه لم يستطع اليومَ الاستغراق في عمله بالرّغم من أنّه كان في حِلّ من الاهتمام بنادي الجودو. لقد بدأ يجد صعوبة بالغة في التّركيز خلال هذه الأيام الأخيرة، وقد اعتاد أن يتنصّت على ما يحدث في شقّة جارتيه ليتأكّد من أنّ رجال الشّرطة لم يزوروهما.

زارهما مساء الأمس مُحقّقان، وهما الرّجلان نفساهما اللّذان

تحدّثا إليه مُؤخّراً، فتذكّر اسم مَن كان قدّم له بطاقته، أي كوساناغي.

أخبرته ياسوكو بأنّهما أرادا التّأكّد من الجزء الخاصّ بالسينما من حجّتها، كما كان هو قد توقّع. سألاها إن كانت تتذكّر شيئاً حدث قبل عرض الفيلم أو بعده أو أثناء عرضه. ألم تلتقِ أو تتقاطع مع شخص تعرفه لحظة ولوج السينما أو عند مُغادرتها؟ هل احتفظَت ببقية التّذكرتين؟ أو بإيصال شيء اشترته من داخل القاعة؟ ما رأيها في الفيلم؟ مَن هم الممثّلون؟

لم يطرحا عليها أسئلة بخصوص صالون الكراوكي، من دون شكّ لأنّهما قد تأكّدا من ارتيادها له، وهو لم يتفاجأ بذلك لأنّه كان قد اختار المكان بعناية فائقة.

لقد سلّمَتهما بقيتَا التّذكرتين ومطوي الفيلم بالطّريقة التي وجّهها إليها، وأجابتهما عمّا طرحاه عليها من أسئلة تخصّ الفيلم مكتفية بالقول إنّها لا تتذكّر شيئاً خاصّاً غير ما ذكرت، امتثالاً للتّوجيهات التي قدّمها لها.

كان الشّرطيان قد انصرفا بعد ذلك، لكنّه لا يعتقد أنّهما قد وضعا نقطة نهاية لاهتمامهما بهذا الموضوع. لقد دلّت زيارتهما بوضوح على أنّ في حوزتهما معلومات تقودهما إلى الاشتباه بها، لكن ما هي هذه المعلومات؟

نهض إشيغامي وغادر مسكنه بعد أن حمل وزرته وبطاقته الهاتفية وحافظة أوراقه ومفاتيح شقّته.

سمع شخصاً ما قادماً لمّا بدأ نزول السّلم. أبطأ في نزوله وهو يميل قليلاً إلى الأمام.

إنّها ياسوكو التي لم تنتبه إليه على الفور. عندما تقاطعا توقّفت

بادٍ عليها أنّها تفاجأت من لقائه. احتفظ إشيغامي برأسه مُنكّساً، لكنّه حدس أنّ لها رغبة في أن تقول له أمراً.

- طاب مساؤُكِ، قال قبل أن تنبس هي.

أجهَدَ نفسه في أن تكون نبرة صوته عادية كما لو كان يُحدّث أيّ شخص من سكان البناية. لم يسعَ لالتقاء بصره ببصرها، كما لم يُبطئ من سرعته وواصَلَ نزول السّلم.

كان أحد توجيهاته لياسوكو أن تتصرّف معه كما تتصرّف مع باقي القاطنين، لأنّ الشّرطة قد تكون تُراقبها. وقد اتّضح أنّها تتذكّر هذا التّوجيه إذْ أجابت «طاب مساؤك» بصوتٍ خفيض وهي تُواصل تسلّق السّلم.

مشى إشيغامي حتّى أدرك المخدع الهاتفي فأمسك بالسّماعة وأدخلَ بطاقته الهاتفية في الآلة. الشّخص الوحيد الظّاهر أمامه هو صاحب البازار الصّغير الذي يقع على بُعد ثلاثين متراً تقريباً من المخدع الهاتفيّ، منهمكاً في إقفال محلّه.

- أجل، هذه أنا، ردّت ياسوكو على الفور تقريباً.

بدا أنّها قد خمّنت على الفور مَن يُهاتفها، وكانت سعيدة بذلك.

- طابَ مساؤكِ، أنا إشيغامي. ألم يحصل شيء ذو طبيعة خاصّة؟

- أوه... زار رجلا شرطة المحلّ.

- تقصدين مطعم بنتنتيه؟

- نعم، وهما المفتّشان نفساهما اللّذان زاراني سابقاً.

- ما الذي سألاكِ عنه هذه المرّة؟

- إن لم يكن توغاشي قد زار محلّ بنتنتيه.

- وبماذا أجبتهما؟

- أنّه لم يأتِ طبعاً. قالا إنّه قد يكون زار المحلّ في غيابي وذهبا إلى المطبخ. وقد حكى لي صاحب المحلّ أنّهما أرياه صوراً لتوغاشي سائلين ما إن كان قد زار المحلّ. إنّهما يشتبهان بي.

- نحن نتوقّع ذلك! لا داعي للخوف. ألم يسألا عن شيء آخر؟

- سألاني أيضاً عن الحانة التي كنت أشتغل فيها من قبل والتي تقع في كنشيشو. أرادا أن يعرفا ما إن كنتُ أزورها من حين إلى آخر، وإن كانت لا تزال لي اتّصالات بزملاء هناك. أجبتُ بالنّفي كما طلبتَ منّي. وقد طرحتُ عليهما أنا بدوري سؤالاً. استفسرتهما عن سبب سؤالهما لي عن الحانة فأجاباني أنّ توغاشي كان قد زارها منذ زمن قريب.

- آه! مفهوم، علّق إشيغامي وهو يُحرّك رأسه، السّماعة مُلصقة بأذنه. كان توغاشي قد ذهب إلى الحانة للسّؤال عنك.

- تماماً. وبهذه الطّريقة كان قد علم أنّني أشتغل عند بنتنتيه. قال أحد الشّرطيين ما دام توغاشي يعرف مكانَ عملي، فمن المفروض أن يكون زارني فيه. وقد أجبته أنّ ذلك لا يغيّر شيئاً من أنّه لم يأتِ.

تذكّر إشيغامي الانطباع الطّيب الذي كان المفتّش كوساناغي قد خلّفه لديه. هو لطيف ويتحدّث بنبرة ودودة، لا ضغط في كلامه. لكنّه إن كان يمتهن هذه المهنة فلأنّه يُجيد القيام بها. هو لا يسعى إلى إرهاب الأشخاص الذين يسألهم وإنّما إلى نفحهم الثّقة حتّى يستدرجهم ويجعلهم يعترفون بما يُريد. تذكّر أنّ كوساناغي كان قد

انتبه إلى رسالة جمعية قُدماء طلبة تايتو ورأى أنّ عليه أن يأخذَ حذره.

- هل سألاكِ في أمر آخر؟

- لم يسألاني أنا في شيء آخر، لكن ميساتو...

ضغَطَ إيشيغامي السّماعة أكثر.

- سألاها؟

- أجل، فقد أخبرتني للتّو أنّهما التقيا بها عند خروجها من الإعدادية، وهما الشّرطيان نفساهما اللّذان قاما بزيارتي.

- هل هي في المنزل الآن؟

- نعم، هي ذي.

يبدو أنّ ميساتو كانت بجوار أمّها لأنّه سُرعان ما سمع صوتها.

- عمّاذا استفسركِ الشّرطيان؟

- أرياني صورته وسألاني ما إن كان زارنا في البيت.

لم تكُن ترغب في ذكر اسم توغاشي.

- وأجبتهما أنّه لم يفعل؟

- نعم.

- هل طرحا أسئلة أخرى؟

- نعم، سألاني عن رأيي في الفيلم، وما إن كنت قد شاهدته حقّاً يوم 10 مارس. أرادا التّأكّد ممّا إذا لم أكُن مُخطئة. وقد قلتُ لهما إنّني متأكّدة من ذلك.

- هل سألا عن شيء آخر؟

- أرادا معرفة ما إن كنت قد تحدّثت عن الفيلم لإحدى صديقاتي، أو إن كنتُ قد بعثتُ رسالة نصّية لشخصٍ ما بخصوصه.

- وما كان جوابك؟

- أنّني لم أبعث رسالة، لكنني حدّثت عنه إحدى صديقاتي، فسألاني مَن تكون.

- أخبرتهما بذلك؟

- قدّمت لهما اسم ميكا.

- أليست هي التي حدّثتها عن الفيلم يوم 12 مارس؟

- بلى.

- ممتاز، أحسنتِ. وهل طرحا أسئلة أخرى؟

- لا شيء ذا طبيعة خاصّة، سألاني إن كنت أحبّ الإعدادية وما إن كانت إدارتها صارمة... أنا أتساءل كيف عرف الشّرطيّ أنّني ألعب البادمنتون، لأنّني لم أكُن أصحب معي مضربي.

- ما رأيكَ فيما سمعت؟ سألت ياسوكو وهي تستعيد السّماعة.

- كلّ شيء يمشي وفق ما نبغي، صرّح إشيغامي باقتناع كي يُطمئنها. حصل كلّ شيء كما توقّعت، وأتصور أنّ المحقّقين سيعودان لزيارتكما، لكن كلّ شيء سيمرّ كما نشاء إن التَزَمْتما بتوجيهاتي.

- أشكركَ. إنّك الشّخص الوحيد الذي بإمكاني الاعتماد عليه.

- تحلّي بالشّجاعة! وبرهني على تمتّعك ببعض الصّبر. حسن، إلى الغد!

وضع إشيغامي السّماعة واسترجع بطاقته نادماً على مُحادثتها بهذه الطّريقة ولامَ نفسه على أنْ قالَ لها: «برهني على تمتّعك ببعض الصّبر» هو يجهل كم ستدوم القضية، وبما أنّ هذا المعطى ليس في حوزته فلقد أخطأ.

بيد أنّ كلّ شيء مرّ كما توقّعه. وقد تبيَّن له الآن أنّ الشّرطة سُرعان ما ستكتشف أنّ توغاشي قد بحث عن ياسوكو، لذلك هي في

حاجة إلى حجّة من أجل ذلك، ومن المنتظَر فوق هذا أن تشكّ الشّرطة فيما ستقول.

لم يتفاجَأ أيضاً من علمه بأنّ المحقّقين قد التقيا بميساتو، فهُما يريان بالتأكيد أنّ من السّهل عليهما أن يُقوّضا حجّة الأمّ اعتماداً على ابنتها. هو كان قد اتّخذ كلّ هذه الاحتياطات، لكن أليس أجدى له ربّما أن يُعيد النّظر من جديد في هذا الموضوع برمّته؟!

كان يُفكّر في ذلك وهو في طريق عودته إلى بيته فرأى رجلاً واقفاً أمام بابه. التفَتَ الرّجل نحوه وهو يسمعه يقترب، فلمَعَ زجاج نظّارته.

افترضَ في البداية أنّه رجل شرطة، لكنّه سُرعان ما استبعَدَ ذلك. كان حذاء الغريب يلمع كأنّه جديد.

- هذا أنت يا إشيغامي؟ سأله الرّجل وهو يقترب.

رفع إشيغامي بصره تُجاهه وهو يسمع صوته، فابتسم له الغريب وذكّرته بسمته بأمر.

فغَرَ فاه فجأة وجحَظَت عيناه.

- مانابو يوكاوا؟

وتذكّر مشهداً حدثَ منذ أكثر من عشرين سنة.

6

مكتبة
t.me/t_pdf

لم يحضر الدّرس ذلكَ اليومَ، كما هي العادة، إلّا عدد قليل من الطّلبة. ففي مدرّج يتّسع لمئة شخص لم يكن حاضراً سوى قرابة العشرين، وقد اختار مُعظمهم الجلوس في مكان بعيد عن كرسي الأستاذية، ما يُيسّر لهم الانصراف ما إن يُثبتوا حضورهم أو الاهتمامَ بأمور أخرى غير الدّرس.

كان طلبة الرّياضيات بخاصّة نادرين بين الحضور وربّما كان إشيغامي هو طالب المادّة الوحيد الذي يحضر هذا الدّرس حول تاريخ الفيزياء التّطبيقية، وهو موضوع لا يحظى بتقدير الطلاب.

ورغم قلّة اهتمام إشيغامي بهذا الموضوع فقد جلس في مكانه المعهود، في الصّف الأول، على المقعد الثّاني من جهة اليمين. كان يجلس هناك في الدّروس كلّها، عالماً أنّ عليه أن يتفادى الجلوس وسط الصّف كي يحظى بزاوية النّظر الأكثر موضوعية، تماماً كعلمه أنّ حتّى أمهر الأساتذة لا يقولون الأمور المضبوطة وحدها.

عادة ما يكون وحدَه في الصّف الأول، لكن طالباً آخر جلس هذه المرّة خلفه. لم يُعِرْه اهتماماً لأنّه كان يملك ما يشغَل به نفسه قبل مَقْدَم الأستاذ. أخرَجَ كرّاسة وجَعَلَ يُفكّر في مسألة.

- هل أنتَ أحد مُريدي إيردوس؟

لم يعِ إشيغامي على الفور أنّ السّؤال موجّه إليه. وبعد لحظات رفع رأسه لأنّ اسم إيردوس أثار انتباهه، والتفَتَ.

كان شعرُ الطّالب الجالس خلفه يتدلّى على كتفيه، تبرق سلسلة مُذهّبة على جيده، وقد ارتدى قميصاً حُلّت أزراره إلى حدود الصّدر مُمسكاً ذقنَه بكفّه. كان إشيغامي يراه في الكلّية ويعلم أنّه قد اختار اختصاص الفيزياء.

في الوقت الذي أسرّ فيه إشيغامي لنفسه بأنّ هذا الطّالب ليس هو مَن تحدّث، واصل الآخر كلامه من دون أن تترك كفُّه ذقنه:

- هناك حدود لما يُمكننا القيام به بالورقة والقلم، لكن المهمّ هو أن نُحاول.

اندهَشَ إشيغامي من سماع الصّوت نفسه.

- وهل فهمتَ ما أقوم به؟

- إنّما ألقيتُ عليه نظرة. أنا لستُ هنا للتّجسّس عليك، قال مُفسّراً وهو يُشير إلى كرّاسة إشيغامي بإصبعه.

أعاد إشيغامي بصره إلى عمله في الورقة المملوءة بحسابات لا تُشكّل سوى جزءٍ بسيط ممّا كان يقوم به. وإن كانت نظرة وحيدة قد كَفَت مُخاطِبَه ليفهم الموضوع، فإنّ من واجبه هو أن يحلّ هذه المسألة. سأل الطّالبَ:

- هل سبقَ لك أن توصّلت إلى حلّ لهذه المسألة؟

أزاحَ الطّالب ذو الشّعر الطّويل كفّه عن ذقنه، فبدَت على وجهه بسمة مُضطربة.

- من مبادئي ألّا أقوم إلّا بالضّروري. وفضلاً عن ذلك فأنا قد

اخترت الفيزياء. أنا أُوظّف النّظريات التي اخترعها علماء الرّياضيات، هذا كلّ ما في الأمر، وأترك لك ولأمثالكَ العناية بالبرهنة عليها.

- لكن هل تهمّك هذه المسألة؟ سأل إشيغامي وهو يُمسك بكرّاسته.

- نعم، لأنّ البرهنة عليها تمّت سلفاً، ولن تُزعجني معرفتها في شيء، أجاب وهو ينظر مُباشرة في عينيه. إنّ مشكل الألوان الأربعة قد حلّ. من الممكن الآن تلوين أيّ خارطة بألوان أربعة.

- لا، ليست كلّها.

- أصَبت. الخرائط المسطّحة والكروية فقط.

إنّها إحدى المشكلات الرّياضية الذّائعة الصّيت، ابتدعها أرثور كايلي سنة 1879. «هل يُمكننا أن نُلون بألوانٍ أربعة أيّ خارطة مُسطّحة أو كروية؟» وكي يتمّ إثبات أنّ هذا ممكن، كان يجب إمّا البرهنة على ذلك أو تخيّل خارطة حيث يستحيل وجودُها. وقد اقتضى الأمر ما يقرب من قرن من الزّمان لحلّ هذه المسألة. ففي سنة 1976 أثبت كينيث آبل وولفغانغ هاكن، وهما عالما رياضيات من جامعة إلينوا، اعتماداً على الحاسوب، أنّ جميع الخرائط هي تنويعات على مئة وخمسين نموذجاً من الخرائط الأساسية، فدلّلا على أنّ بالإمكان تلوين الخرائط كلّها بأربعة ألوان.

- الاستدلال غير كامل، من وجهة نظري، قال إشيغامي.

- قولك لا يُدهشني. وإن كنتُ أجدتُ الفهم فإنّك تُحاول أن تحلّ المسألة اعتماداً على ورقة وقلم.

- هما اختارا طريقة ثقيلة جدّاً على الكائن البشريّ. لقد قادهما عملهما إلى استعمال الحاسوب، كما أنّه ليس ثمّة من وسيلة مضمونة

للحُكم ما إن كان الاستدلال صحيحاً أم لا. إنّ البرهنة التي لا يمكن أن تتمّ إلّا بالحاسوب ليست برهنة رياضية حقيقية.

- أنت حقّاً مُريدٌ لإيردوس، قال الطّالب ذو الشّعر الطّويل وهو يُصدِرُ بسمةً ماكرة.

بول إيردوس هو عالم رياضيات مَجَرِي سافر عبر العالم وتعاون حيثما حلّ مع باحثين آخرين. كان مُقتنعاً بأنّ النّظريات الجيدة هي التي يكون بالإمكان البرهنة عليها بطريقة جذّابة وواضحة. كان يقول عن برهنة آبل وآكين إنّ من المرجّح أنّها صحيحة، لكنّها ليست جذّابة.

فهم الطّالب ذو الشّعر الطّويل أنّ إشيغامي هو مريدٌ لإيردوس، فواصل الحديث مُغيراً الموضوع:

- لقد ذهبت أوّل أمس للقاء أستاذ التّحليل الرّقميّ كي أطرح عليه سؤالاً عن مسألة ورَدَت في امتحانه الفصلي. لم يكُن في السّؤال خطأ، لكن الجواب الذي نتوصّل إليه يفتقر إلى الرّشاقة، ومن المرجّح أنّ لذلك صلةً بخطأ وقَعَ لحظة طبع موضوع الامتحان. لقد اندَهَشت عندما قال لي إنّ طالباً آخر سبق له أن أبدى هذه الملاحظة. وكي أَصدُقكَ القول، فإنّني قد تكدّرت من قوله، لأنّني كنت فخوراً لاعتقادي بأنّني الوحيد الذي انتبه لذلك...

- لم يكن يقول أيّ كلام... أجاب إشيغامي.

- قال لي البروفيسور: ليس بدعة في شيء أن يكون إشيغامي قد انتبه لذلك، فعرفتُ حدودي. أنا لا ميلَ لي للرياضيات.

- ألم تقل إنّك قد اخترتَ الفيزياء؟

- بالمناسبة، اسمي يوكاوا. أتشرّف بمعرفتك، قال وهو يمدّ له كفّه.

رأى إشيغامي أنّ هذا الشّخص غريبُ الأطوار، وقد حَدَته رغبة في الضّحك لأنّ ذلك بالفعل ما كان يقوله عنه زملاؤه.

لم يُصبحا بعد ذلك صديقين حميمين لكنّهما اعتادا على تبادُل بضع كلمات عندما يلتقيان. كان يوكاوا مَنْجَماً ثرّاً للعلوم، لا تقتصر معارفه على الرّياضيات والفيزياء، وإنّما كانت له دراية أيضاً بالأدب والفنّ، وهما مجالان كان إشيغامي يعتبرهما غير مُفيدين. لم يكن بمستطاع إشيغامي بطبيعة الحال أن يقول إلى أيّ درجة تصل دراية رفيقه بالأدب والفنّ، لأنّه لم يكُن يعرف عنهما الشّيء الكثير كي يحكم، وسرعان ما كفّ يوكاوا عن الحديث عن أمور أخرى غير الرّياضيات، ربّما لأنّه كان قد لاحظ ألّا شيء آخر يحظى باهتمام إشيغامي غير الرّياضيات.

كان يوكاوا بالنّسبة إلى إشيغامي هو الرّفيق الأوّل الذي اكتسبه في الجامعة، والشّخصَ الوحيد الذي أضحى على بيِّنة من قدراته.

وبما أنّ مادّتي الرّياضيات والفيزياء مسلَكان دراسيّان مُختلفان، فقد كانا كلّما تقدّما في دروسهما أصبحَت فرص اللّقاء بينهما قليلة. كان بإمكان الطّلبة أنّ يُغيّروا توجيههم إن رغبوا في ذلك، شريطة أن يكون مُستواهم كافياً للقيام بذلك، لكن لا أحد منهما حَدَته الرّغبة في تغيير توجيهه. اعتبر إشيغامي أنّ من الجيد أن يكون لهما الشّغف نفسه ببناء العالم من طريق المنطق، لكن اعتماداً على مُقاربتين تقعان على طرفَي نقيض. فإشيغامي يسعى للوصول إلى ذلك اعتماداً على لبنات تتشكّل من الحساب، بينما كان كلّ شيء عند يوكاوا يبتدئ بالملاحظة، وعندما يكتشف لغزاً يسعى إلى حلّه. كان إشيغامي يُحبّ المماثلات، بينما يُحبّ يوكاوا التّجارب.

نادراً ما كانا يلتقيان، لكن إشيغامي كانت تصله أخبار عن

يوكاوا. وقد شعر بتقدير حقيقيّ تُجاه يوكاوا عندما علم أنّ مُقاوَلَة أميركية ترغب في الحصول على ترس مغناطيسي وضع تصوّره رفيقُه في سنة دراسته الأخيرة في الماجستير.

بعد أن حصَلَ إشيغامي على الماجستير هو بدوره غادرَ الجامعة وفَقَد الاتّصال بيوكاوا. وها عشرون سنة قد مرّت على ذلك.

- أرى أنّك لم تتغير! قال يوكاوا مُتعجّباً وهو ينظر إلى رفوف الشّقة.

- كيف؟

- لقد استمررت على الحال نفسها من شغفك بالرّياضيات على ما أرى، وسيُدهشني أن تكون لأحد أساتذتنا في الرّياضيات مكتبة تُعادل مكتبتك.

لم يُجِبْ إشيغامي بشيء. لم تكن الرّفوف مليئة فقط بكتب الرّياضيات وإنّما أيضاً بملفات مليئة بمجلّات الرّياضيات المستقدَمَة من مُختلف أرجاء العالم. لقد حصَلَ عليها عن طريق الإنترنت إذ كان يبذل من الجهود للبقاء على صلة بمستجدّات مجاله أكثر ممّا يبذله باحث محدود الجدّية.

- اجلِسْ من فضلك، سأُعدّ قهوة لنا نحن الاثنين.

- أنا أُحبّ القهوة، لكنّني أحضرت أيضاً هذه، قال يوكاوا وهو يُخرج من الكيس الورقيّ الذي يُمسك به في يده علبة تحوي قنّينة ممتازة من شراب السّاكي.

- ما كان عليكَ أن تفعل. . . .

- لم نلتقِ مدّة طويلة ولم أُرد المجيء بيدين فارغتين.

- أنت تُحرجني! سأطلب بعض السّوشيات، فأنا أتصوّر أنّك لم تتعشّ بعد.

- لا داعي للقيام بذلك من أجلي.

- أنا أيضاً لم أتعشّ بعد.

أمسك بالهاتف وفتح السّجل الذي رُتّبت فيه عناوين المطاعم التي تُوصل الوجبات إلى المنازل. تردّد وهو يقرأ لائحة وجبات مطعم السّوشي الذي اعتاد أن يطلب منه وجباته البسيطة.

لكنّه ركّب الرّقم وطلب تشكيلة سمك نيئ ووجبتين رئيستين. أبدى الموظف مُفاجأته ممّا سمع، وتساءل إشيغامي في سرّه عن تاريخ آخر مرّة استقبل فيها شخصاً في بيته.

- لم أكُن أنتظر أبداً لقاءك! قال مُتعجّباً وهو يجلس.

- أخبرني مُصادفةً شخصٌ أعرفه بأنّك تقطن هنا، فأجّج لديّ الرّغبة في المجيء لرؤيتك.

- شخص تعرفه؟ أأعرفه أنا أيضاً؟

- نعم، إنّها مُصادفة غريبة، قال يوكاوا مُفسّراً وهو يحكّ أرنبة أنفه، بادٍ عليه انزعاج خفيف. ألم يمرّ عندك هنا مفتّش شرطة يُدعى كوساناغي؟

- مفتّش شرطة؟

ارتعش إشيغامي في داخله، لكنّه التفَتَ نحو رفيق دراسته مُجاهداً نفسه ألّا يترك شيئاً يبدو على ملامحه. هل عليه أن يستنتج بأنّ يوكاوا على علم بشيء ما؟

- هو في عمرنا.

بدا إشيغامي مُندهشاً من ذلك.

- من عمرنا؟

- كنا نُزاول معاً الرياضة في نادي البادمنتون. لا يبدو من عمرنا، لكنّه تابع دراسته في جامعة تايتو مثلنا، في شعبة العلوم الإنسانية.

- آه... اتّضح لي الأمر الآن، قال إشيغامي وهو يشعر بتبدّد موجة القلق التي كانت تضغط صدره. أتذكّر أنّه كان قد أبدى مُلاحظة على رسالة لجمعية قدامى الطّلبة، وكنت قد تساءلت ما إن كان له ارتباط بجامعة تايتو. كان بإمكانه أن يقول لي ذلك، فلمَ لم يفعل؟

- هو يرى أنّ خرّيجي كلية العلوم لا علاقة لهم به، كما لو كنّا ننتمي إلى فصيلة أخرى.

هزّ إشيغامي رأسه، مُشاطراً صديقه هذا الإحساس، وبدا له غريباً أن يُصبح شخصٌ ما مُفتّش شرطة وقد درس معه في الجامعة نفسها وفي الوقت نفسه.

- أخبرني كوساناغي أنّك تُدرّس في الثّانوي، قال يوكاوا وهو ينظر في عينيه مُباشرة.

- نعم، في ثانوية قريبة من البيت.

- هذا ما علمته.

- وأنت، أتدرّس في تايتو؟

- أجل، وأنتمي إلى المختبر رقم 13، قال بنبرةٍ لا مبالية.

رأى إشيغامي أنّ كلام صديقه ليس من باب التّواضع الكاذب، فهو يعلَم علم اليقين أنّه مُنزّه عن الزّهو بذاته.

- تشتغل أستاذاً؟

- لا، ليس بعد، أنا لا أزال أنتظر شغور منصب، أجاب يوكاوا بنبرة مُنطلقة.

- بعد التّرس المغناطيسي، كان لدي اليقين أنّك غدوت أستاذاً جامعياً.

رفع يوكاوا صوته مقهقهاً ثمّ مرّر كفّه على وجهه.

- ربّما كنتَ الوحيد الذي لا يزال يتذكّر هذا الموضوع. فتصميم تلك الماكينة لم يحظَ قطّ بالتّطبيق فغدا نموذجاً للنّظرية الخائبة، قال مُفسّراً وهو ينزع فلّينة القنّينة التي أتى بها.

نهض إشيغامي وأتى بكأسين وضعهما على المائدة.

- كان لدي اليقين أنّك قد أصبحت أستاذاً جامعياً وأنّك قد أخذت على عاتقك تحدّي فرضية ريمان، قال يوكاوا. ما الذي حصل لك يا إشيغامي الدهارمي؟ أيكون حبّك لإيردوس قد جعل منك عالمَ رياضياتٍ هائماً؟

- كلا، الأمر ليس كذلك، قال إشيغامي مع إطلاق تنهيدة.

- لنشرب، اقترح يوكاوا من دون إلحاح وهو يملأ الكأسين.

كان إشيغامي قد قرّر طبعاً نذر حياته للرّياضيات، كما أنّ يوكاوا كان يعتزم الشّروع في إعداد الدكتوراه ما أن يُنهي الماجستير.

لكنّ إشيغامي لم يستطِعْ القيام بذلك لأنّه كان يتحمّل مسؤولية والديه العجوزين وقد ساءت صحّتهما. كان يعمَل ليُغطّي مصاريف دراسته، لكنّ الأجر لم يكُن يكفيه للاضطلاع بمصاريفهما.

حدّثه أحد أساتذته عن جامعة جديدة تبحث عن أستاذ مُساعد في الرياضيات. وبما أنّها لم تكن تقَع بعيداً عن بيته، فقد تقدّم للوظيفة ظنّاً منه أنّ عمله فيها سيُمكّنه من مواصلة أبحاثه. لكنّ هذه الوظيفة خرّبت حياته.

اتّضح له أنّ مواصلة الأبحاث في هذه الجامعة أمر مستحيل، لأنّ الأساتذة الرّسميين الذين كانوا يقصرون جهودهم على الصّراع

من أجل النّفوذ لم يكن لهم شغفٌ بإعداد طلبة مُتفوقين ولا رغبةٌ في النّهوض بالعلوم. كان الأستاذ المكلّف بإبداء الرّأي في التّقرير الذي أعدّه إشيغامي بعد تضحيات جسام، قد أقفل عليه في دُرْج لِكيلا يعود لاستخراجه أبداً. علاوة على أنّ مُستوى الطّلبة كان من الضّعف بحيث لم يعودوا قادرين حتّى على التّحكّم في المعارف التي من المفروض أن يكونوا قد حصّلوها في الثّانوي، فطفح الوقت الذي كان على إشيغامي قضاؤه في مساعدتهم في حين لم يعُد يجد منه ما يكفي لإجراء بحوثه. هذا فضلاً عن أنّ هذا العمل المتطلّب لم يكُن يُجازَى إلّا براتبٍ مثيرٍ للسّخرية.

كان من المفروض أن يبحث عن منصب آخر في جامعة أخرى لكنّه كان يعرف أنّ هذا الأمل لا نصيب له من التّحقّق. فالجامعات التي فيها شعبة للرياضيات نادرة، والتي تملكها لا حظّ لها إلّا من ميزانية محدودة لا تسمح بتوظيف أستاذٍ مساعد. فهي لا تحظى بمساعدات الشّركات والمقاولات، كما هي الحال في مدارس المهندسين.

وبما أنّه لم يستطِعْ تحقيقَ ما كان يُريده قرّر أن يعيش بفضل شهادة التّدريس بالتّعليم الثّانوي التي حصل عليها عندما كان طالباً، ما يعني ترك مشوار دراسة الرّياضيات جانباً.

عرض هذا كلّه على يوكاوا موضّحاً أنّه لم يكُن له خيار. إنّ غالبية مَن يجدون أنفسهم مُضطرّين للتّخلي عن البحث يقومون بذلك للأسباب نفسها. وكان إشيغامي يعرف أنّ حالته ليست بدعاً في شيء.

شرب الرّجلان نبيذ السّاكي وأكلا من السّوشي ومن السّمك، وعندما فرغت الزّجاجة التي أتى بها يوكاوا أخرج إشيغامي قنينة

ويسكي كان نادراً ما يشرب منها، لكنّه كان يُحبّ أنّ يتذوّق شراب الويسكي كي يسترخي عقب حلّه لمسألة رياضية عسيرة.

لم تكُن مُحادثتُهما متأجّجة، لكنّ إشيغامي استلذّ الحديث عن الرّياضيات وهو يستحضر ذكريات عن حياتهما الطّلابية. انتبه إلى أنّ فرصة إقامة نقاش مثل هذا لم تُواته منذ زمن طويل. لا، بل أليست هذه بالأحرى هي المرّة الأولى بعد مُغادرته للجامعة؟ لربّما كان يوكاوا هو الإنسان الوحيد الذي يفهمه كأنّه قرينه، فكّر إشيغامي وهو ينظر إليه.

- نسيت أمراً مهمّاً، قال يوكاوا فجأة وهو يضع أمام إشيغامي ظرفاً ضخماً بني اللّون. انظر ما فيه، قال مع إيتاء بسمة.

كانت فيه أوراق عديدة من حجم A4، مُمتلئة حساباً. نظر إشيغامي في الورقة الأولى فعلم بحقيقتها.

- كنتَ قد انطلقت في دحض نظرية ريمان؟

- أكَفَتكَ نظرة سريعة كي تفهم ذلك؟

نظرية ريمان هي إحدى المشكلات التي لم يُوجد لها حلّ في عالم الرّياضيات. لم يستطِعْ أحد بعدُ البرهنَةَ على صحّة هذه النّظرية التي أقامها هذا العالِم.

كان التّقرير الذي أعدّه يوكاوا يسعى إلى الاستدلال على أنّها خاطئة، وكان إشيغامي يعلم أنّ العديد من علماء الرياضيات عبر العامل حاولوا القيام بذلك سدىً.

- لقد سمح لي أستاذ الرّياضيات بالحصول على نسخة من هذا العمل الذي لم يُنشر. الدّحض غير تامّ لكنّه يمشي على ما يبدو في الاتّجاه الصّحيح، أضافَ يوكاوا.

- أتكون نظرية ريمان خاطئة؟

- كلّ ما أقوله هو أنّ هذه المحاولة تمشي في الاتّجاه الصّحيح، وإن كانت النّظرية صحيحة فمن المفروض أن يكون ثمّة خطأ في مكان ما.

ظهر تعبير ماكر في عينَي يوكاوا، فانتبه إشيغامي لذلك وفهم أنّ صديقه يضعه أمام تحدّ. إنّه يُريد أن يعرف إلى أيّ حدّ قد يكون «إشيغامي الدهارمي» تراجَع في مستواه.

- هل يُمكنني إلقاءُ نظرة؟

- لهذا الغرض أتيتكَ بها.

شرع إشيغامي في قراءتها، وبسرعة نهض ليجلس إلى مكتبه. أخرج كرّاسة وأمسَكَ بقلم.

- ألست على علم بالمسألة NP ≠ P؟ سأل يوكاوا من خلفه.

التفَتَ إشيغامي.

- أي معرفة ما الأصعب، البحثُ عن حلّ لمسألة أم التّأكّدُ من صحّة هذا الحلّ، بمعنى آخر أن يتمّ التأكّد من درجة الصّعوبة. إنّها إحدى المشكلات التي يُقدّم معهد كلاي للرّياضيات جائزة لمن يحلّها.

- أنت هو إشيغامي الذي أعرفه، قال يوكاوا ضاحكاً وهو يُفرغ كأسه.

عاد إشيغامي للجلوس إلى جانبه.

الرّياضيات، كما يراها إشيغامي، شبيهة بعملية البحث عن كنز. يجب البدء بتحديد المكان الذي سنقصده ثمّ التّركيز على النّهج الذي علينا سلكُه للوصول إلى الكنز واستخراجه، بمعنى آخر على طريقة تُؤدّي إلى الجواب. من المفروض أن يؤدّي تكدّس الحسابات وفقاً لهذا التّصميم إلى السّماح باكتشاف مُؤشّرات جديدة. أمّا إن لم نعثُر

على شيء، فيجدر بنا تغيير النّهج. وإذا ما تمّ القيام بذلك بعناد وصبر وتصميم فإنّ بإمكاننا العثور على الكنز، أي على حلّ دقيق لم يسبق لأحد من قبل أن عَثَرَ عليه.

هذه الاستعارة نفسها تجعلنا نُفكّر في أنّه أسهل لنا أن نتثبّت من حلّ وصل إليه شخصٌ آخر من أن نعثر نحن أنفسُنا على نهج جديد للحلّ. بيد أنّ الأمر في الحقيقة ليس كذلك، لأنّ اتّباع سبيل خاطئ والوصول إلى كنزٍ مزور، أي البرهنة على أنّ هذا الكنز مزور، هو في بعض الأحيان أصعب من البحث عن الكنز الحقيقيّ. ومن ثمّة تبدو فائدةُ المسألة الخارقة للعادة $P \neq NP$.

نسي إشيغامي مرور الوقت. الرّغبة في المواجهة وإرادةُ البحث والاعتزازُ بالنّفس، كلّ ذلك كان يملأه إثارة، فاستنفر كلّ خلية من خلايا دماغه مُسلّطاً عينيه على الحسابات أمامه.

نهض فجأة والتفت وهو يُشهر كرّاسته. كان يوكاوا يغطّ في نومه مُنكفئاً على نفسه وهو يُغطّي رأسه بمعطفه، فرجّه إشيغامي من كتفه.

- أفِقْ! لقد فهمت.

نهض يوكاوا ببطء وهو يفتح عينيه النّعستين وفَرَكَ وجهه ونظر إلى إشيغامي.

- ماذا يحدث؟

- لقد فهمت. وأنا آسف أن أقول لك إنّ هذا الدّحض خاطئ. المحاولة جيدة لكنّ فيها خطأً مركزياً يخصّ توزيع الأعداد الأولية...

- انتظر قليلاً من فضلك، قال يوكاوا وهو يضع كفّه بالقرب من

وجه إشيغامي. كيف تُريدني أن أفهم شروحك وأنا إنّما استيقظت لتوّي من النّوم؟ ثمّ إنّني لن أقدر على ذلك حتّى ولو كنت في كامل يقظتي. علي أن أعترف لك أنّني لا علم لي بشيء من نظرية ريمان، وقد أتيتك بهذا العمل فقط لأنّني رأيت أنّه قد يُهمّك.

- ومع ذلك فقد قلت لي إنّه يمشي في الاتّجاه الصّحيح.

- هذا ما أخبرني به أستاذ الرّياضيات، وقد اكتشف أنّ الدّحض يحوي خطأ، ولذلك لم يُنشر.

- من الطّبيعيّ إذاً أن أعثر على هذا الخطأ، قال إشيغامي خائباً.

- أنا أجد ما قمتَ به رائعاً. لقد قال لي زميلي إنّك ربّما لن تعثر على الخطأ فوراً، أجاب يوكاوا وهو ينظر في ساعته. لكنّه لم يلزمك إلّا ستّ ساعات. هذا مُبهر.

- ستّ ساعات؟ قال إشيغامي مُتعجّباً وهو ينظر إلى الخارج.

كانت السّماء آخذة في اكتساء البياض، يُشير مُنبّهه إلى الخامسة صباحاً تقريباً.

- أنت لم تتغيّر، وهذا يُطمئنني. إشيغامي الدهارمي لم يمُت. هذا ما أسررتُ به لنفسي وأنا أراك جالساً إلى مكتبك.

- اعذُرْني، فقد نسيتُ أنّك هنا.

- لا تحمل همّي، ويجدر بك أن تنال قسطاً من النّوم. أليست لك دروس اليوم؟

- بلى، لكنّني لن أستطيع النّوم ما دمت في هذه الحالة. لقد مرّ عليّ زمن طويل لم أصِلْ فيه إلى هذه الدّرجة من التّركيز. شكراً لك، قال وهو يمدّ له كفّه مُحيياً.

- أنا سعيد بمجيئي لرؤيتك، أجابَ يوكاوا وهو يضغط كفّ إشيغامي.

استغرق إشيغامي في نوم مُريح حتّى السّابعة، لأنّ دماغه كان مُتعباً ولأنّه كان أيضاً راضياً عن نفسه فكرياً، وعندما استيقظ أحسّ بذهنه أوضح ممّا يكونه في العادة.

- تستيقظ جارتُك باكراً، لاحظ يوكاوا وهو يستعدّ للمغادرة.

- جارتي؟

- سمعتها تنصرف قبل قليل. كانت السّاعة قد تجاوزت السّادسة بقليل عندما استيقظَت.

كان يوكاوا مُستيقظاً لحظتها.

- هي واحدة من المشتبه بهم بحسب كوساناغي الذي حدّثتك عنه بالأمس. لهذا السّبب كان قد أقبل لرؤيتك، واصل القول بينما كان إشيغامي يتساءل في سرّه عن الطّريقة التي يردّ بها.

ارتدى سترته من دون تعليق.

- هل يُحدّثك عن عمله؟

- يأتي ليراني وليحدّثني في أمور مُختلفة. وعادة ما ينصرف وهو يتذمّر من عمله، أو وهو يتظاهَر بذلك.

- لكن ما طبيعة هذه القضية؟ هل حدّثك عنها هذا المفتّش كوساناغي، إن كان هذا هو اسمه؟

- هي جريمةُ الضّحيةُ فيها هو الزّوج السّابق لجارتكَ.

- هكذا... قال إشيغامي ثابت الملامح.

- هل أنت على اتّصال بها، هذه الجارة؟

فكّر إشيغامي بسرعة مُفرطة. لا شيء في نبرة يوكاوا يدفعه للتّفكير في أنّه قد طرح هذا السّؤال لتحقيق هدفٍ معين، لذلك فإنّ

الإجابة لن تحظى عنده بأهمية كبيرة. لكن الصّداقة التي تجمع بين يوكاوا والمفتّش تشغَله، وقد يُحدّث كوساناغي عن هذا اللّقاء الذي تمّ بينهما بعد انقطاع دام زمناً طويلاً، لذلك يلزم تقديم إجابة لا لبس فيها.

- لا اتّصال لي بها، لكنّني أبتاع باستمرار وجبتي من المطعم الذي تشتغل فيه جارتي، السّيدة هناووكا. وقد نسيتُ إخبارَ المفتّش كوساناغي بهذا عندما أتى لرؤيتي.

- هي تشتغل في مطعم؟

- أنا لا أذهب إلى المحل لأنّها تشتغل فيه، وإنّما انتبهت أنّها تشتغل فيه لأنّني أرتاده. المحلّ قريب من الثّانوية.

- واضح. ألا يُزعجك أن تكون الشّرطة تشتبه بها حتّى ولو لم تكُن معرفتكَ بها تزيد عن هذا الحدّ؟

- ليس إلى تلك الدّرجة، فهذه القضية لا تعنيني في شيء.

- بالتأكيد.

لم يحصل لديه انطباع بأنّ يوكاوا قد استغرَبَ ردّه.

غادرا الشّقة معاً في السّابعة والنّصف. رافق يوكاوا إشيغامي حتّى الثانوية تقريباً بدل أن يستقلّ الميترو من المحطّة الأقرب، محطّة موريشيتا، فيتفادى كثرة التّبديلات.

لم يُحدّثه لا عن الجريمة ولا عن ياسوكو هناووكا. تساءل إشيغامي لحظة إن لم يكن يوكاوا قد زاره بطلب من كوساناغي، لكنّه أسرّ لنفسه أنّه مُخطئ في ذلك. وفضلاً عن هذا فإنّه لا داعي لكوساناغي كي يشتبه في أيّ شيء.

- طريق مُهمّ هذا الذي تسلكه، وربمّا تسلكه بسبب أكواخ المشرّدين، قال يوكاوا معلّقاً وهما يمشيان على ضفّة السّوميدا.

كان الرّجل الذي يُصفّف شعره الأبيض بالكلّية على شكل ذيل الفرس يغسل ملابسه، بينما كان رجل العبوات، أبعد منه قليلاً، مُنهمكاً كعادته في السّحق.

- يتكرّر الأمر هكذا كلّ صباح، حتّى غدا ممكناً ضبطُ السّاعة على أنشطتهم.

- الأشخاص الذين ما عادت لهم حاجة إلى احترام الوقت أصبحت لهم نزعة متزايدة للدّقة في المواعيد.

- ما تقوله صحيح.

صعدا السّلم مباشرة قبل جسر كيوسو، على مقربة من بناية خاصة بالمكاتب. رفع إشيغامي رأسه وهو يرى صورتيهما تنعكسان في باب زجاجيّ.

- أنت لا تزال شابّاً، ليس كمثلي أنا. لا تزال تحتفظ بشعرك كلّه.

- ربّما كان شعري لا يزال غزيراً، لكنّني أنا أيضاً ما عدتُ كما كنت. ذهني ما عاد يشتغل بالقوة نفسها.

- أنت تُبالغ!

تلفّظ إشيغامي بالتّعقيب في نبرة خفيفة لا تتناسب مع قلقه المتصاعد. هل سيُرافقه يوكاوا حتّى محلّ بنتنتيه؟ هو لم يكُن متأكّداً بشكلٍ كامل من أنّ هذا الفيزيائي الألمعي، بما عرف عنه من قوة في الملاحظة، لن يستكْنِه أمراً ما في شأن موضوع علاقته بياسوكو هناووكا. كما أنّه خشي من أن تتفاجأ ياسوكو من رؤيته مع شخص لا تعرفه.

- هو ذا المطعم الذي حدّثتكَ عنه.

- أوه، بنتنتيه؟ إنّه اسم غريب.

- سأدخل.

- حسن، أمّا أنا فسأودّعك، قال يوكاوا وهو يتوقّف.

بدا الارتياح على إشيغامي الذي لم يكُن ينتظر منه التّخلّف عن مصاحبته إلى داخل المطعم.

- أنا آسف على عدم توفيري لك استقبالاً أحسن.

- ما كان لاستقبال أن يكون أحسن ممّا خصَّصته لي، قال يوكاوا مُتبسّماً. أما عادت لك رغبة في العودة من جديد إلى الجامعة لمتابعة أبحاثكَ؟

أجاب إشيغامي بالنّفي برأسه.

- يمكنني أن أقوم بمفردي بما يُمكن القيام به فيها، كما أنّني أشكّ في إمكانية اهتمام جامعة بي وأنا في هذه السّن.

- أنا لستُ متأكّداً ممّا تقول، ولا أعتقد أنّ ذلك مستحيل. ليحالفك الحظ فيما ستُقدِم عليه.

- وأنت أيضاً.

- لقد سعدتُ بلقائك.

تصافحا وتابعه إشيغامي ببصره وهو يبتعد، ليس لأنّه حزين على فراقه وإنّما لأنّه لم يكن يُريد أن يراه يدخل محلّ بنتنيه.

ولمّا اختفى يوكاوا من مدى بصره عادَ على عقبيه مُسرِعاً في خطوه.

7

أحسّت ياسوكو بالاطمئنان عندما رأت وجه إشيغامي هادئاً، لأنّها سمعت بالأمس مساء شخصاً ما يقوم بزيارته، وهو ما لم يسبق أن حصل إلّا في النّادر القليل. كان الحديث قد امتدّ بينهما إلى ساعة متأخّرة من اللّيل، فأزعجتها فكرة أنّ الزّائر قد يكون من الشّرطة.

- وجبتي من فضلكِ، قال كالعادة بصوته الخافت المعهود من دون أن يرفع بصَرَه إليها.

- حسن، شكراً لكَ، أجابت قبل أن توشوش في اتّجاهه: زاركَ شخص ما أمس مساء؟

- أوه... نعم.

رفَعَ رأسه وغمز بعينه كما لو أنّ سؤالها فاجأه. ألقى نظرة حوله.

- من الأحسن عدم تبادل الحديث بيننا، قد تكونين مُراقَبَة.

- معذرة، أجابت وهي تُدخل عنقها بين كتفيها.

انتظرا معاً طَلَبَه صامتين.

نظرت ياسوكو إلى الخارج لكنّها لم ترَ أحداً يمكن أن يكون في مراقبتها. بيد أنّه لم يكن بإمكانها طبعاً أن ترى شيئاً حتّى ولو كان المطعم مُراقَباً.

عندما هُيئت الوجبة سلّمته ياسوكو العلبة.

- إنّه صديق دراسة، وشوش لها في أثناء الأداء.

- ماذا؟

- زارني صديق دراسة. أنا أعتذر عن الإزعاج، قال لا يكاد يُحرّك شفتيه.

- لا داعي للاعتذار، أجابت وهي تتبسّم فجأة قبل أن تواصل مُحتاطةً من أن يكون فمها مرئياً من الخارج: نادراً ما يأتيك ضيوف.

- إنّها المرة الأولى، ولم أكُن أنتظره.

- أنا سعيدة من أجلك.

- شكراً، قال وهو يُمسك بالكيس الذي يحوي علبة الوجبة. حسن، إلى المساء.

قوله هذا يعني أنّه سيُهاتفها.

- حسن، أجابت.

تابعت ببصرها شكلَه القصير البدين وهو يبتعد، مُبدِية اندهاشها من أن يكون لناسِكٍ مثله أصدقاء يزورونه.

بعد زحمة الصّباح ذهبت كما تفعل دائماً لترتاح لحظات في المطبخ برفقة سايوكو وزوجها. أتَت زميلتها القديمةُ الأكولُ بفطائر مُحلّاة محشوة بالفاصوليا الحمراء، بينما راح زوجها يحتسي الشّاي غير ملتفتٍ إليهما، أمّا كانيكو عامل توصيل الوجبات فكان يقوم بجولته.

- ألم يُزعجكِ أحد أمس بعد انتهائك من عملك؟ سألت سايوكو بعد أن رشَفت من الشّاي.

- مَن تقصدين؟

- أنت تعرفين ذلك! الشرطة، ومَن غيرهم؟ فسّرت سايوكو وهي تُقطّب بوجهها. لقد أمطرونا هنا بالأسئلة حتّى قلنا إنّ من المفروض أن يكونوا قد ذهبوا للقائكِ، واصلت القول، مُستدرّة موافقة زوجها الذي أكّد قولها برأسه من دون أن ينبس بكلمة.

- آه! كلّا، لم يأتوا.

كان رجال الشّرطة قد طرحوا في الحقيقة أسئلة على ميساتو، لكنّ ياسوكو قدّرت أنّه ليس من الضّروري إخبارُ صاحبَي المطعم بذلك.

- لحسن حظّك، فالنّاس جميعاً يعلمون أنّ الشرطة عنيدون.

- كلّ ما في الأمر أنّهم يتأكّدون من الأمور، قال يونيزاوا. هم لا يفعلون ذلك لأنّهم يشتبهون بياسوكو وإنّما لأنّهم يقومون بعملهم الرّوتينيّ المعهود.

- أصبتَ. علينا ألّا ننسى أنّ رجال الشّرطة هم قبل أيّ شيء موظّفون. ثمّ إنّ من حسن الحظّ أنّ توغاشي لم يزرنا البتّة هنا، ولو كان فَعَل لأصبحَت ياسوكو عندهم بكلّ تأكيد واحدة من المشتَبَه بهم.

- كيف يكون الأمر كذلك؟ هذا لا معنى له، قال يونيزاوا مع بسمة مُضطربة.

- بلى، الأمر ممكن جدّاً. فتوغاشي ما سأل عُمّال ماريان عن مكان عمل ياسوكو إلّا لأنّه كان ينوي رُؤيتَها. وهذا هو السّبب الذي جعل رجال الشّرطة يَبدُون غير مصدّقين ما قلناه لهم.

كانت حانة كينشيشو حيث اشتغلت ياسوكو وسايوكو من قبل تُدعى حانة ماريان.

- ربّما، لكنّ ما حصل هو أنّ توغاشي لم يأتِ محلّنا.

- وذلك من حسن الحظّ، كما قلتُ من قبل. تصور كيف كان رجال الشّرطة سيُزعجون ياسوكو لو كان قد زار محلّنا!

- أتعتقدين؟ سأل يونيزاوا وهو يُميل رأسه جانباً، بادٍ من محياه أنّ هذه القضية لا تُقلقه في شيء.

أحسّت ياسوكو بانزعاج لا يكاد يُحتمل وهي تتساءل في سرّها عن ردّ الفعل الذي سيُبديانه إنْ عَلما أنّ توغاشي كان قد زارها في المحلّ.

- هذه لحظة سيّئة تجتازينها بالتّأكيد يا ياسوكو، لكنّها لن تلبث أن تنقضي، قالت سايوكو بنبرة خفيفة. لقد مات طليقكِ في ظروفٍ غريبة، ومن الطّبيعيّ أن تأتي الشّرطة لتراكِ هنا. لكن هوِّني عليك فهُم لن يُزعجوك لمدّة طويلة، وستنعَمين بعد ذلك بالهناءة، فلطالما سمّم توغاشي عليكِ حياتك.

- أجل... على أيّ حال... أجابت ياسوكو وهي تُجهد نفسها في إبداء بسمة.

- الحقّ أنّني سعيدة بأن أَجْهَزَ عليه أحدهم.

- أوه، ماذا تقولين!

- أليس بإمكاني أن أقول ما أُريد؟ أنت لا تعرف كم كان يُعذّب ياسوكو!

- يبدو أنّه كان يُعذّبكِ أنت أيضاً.

- ليس بطريقة مُباشرة، لا. لكنّ ياسوكو حكَت لي أموراً كثيرة. وقد تعارفنا تحديداً لأنّها أتت لتشتغل في حانة ماريان فراراً منه. إنّني لأرتعش عندما أُفكّر في أنّه كان بالإمكان أن يزور محلّنا! أنا لا أعرف مَن قتله، لكنّني أشكر مَن فعل ذلك، بكلّ صدق.

نهض يونيزاوا كأنّه مندهش ممّا سمع. تابعته سايوكو ببصرها

من دون أن تُخفي اشمئزازها وقرّبت رأسها من رأس ياسوكو لتنفث في أذنها:

- أنا أتساءل عن الكيفية التي قُتل بها؟ أيكون قاتلُه شخصاً مديناً له بمال...

- ربّما... أجابت ياسوكو مُميلَة رأسها جانباً.

- أهمّ شيء عندي هو ألّا ينقلب هذا كلّه عليك أنت، قالت مُتحدّثة بسرعة، قبل أن تبتلع في لقمة واحدة ما تبقّى من الفطيرة المحلّاة المحشوة.

عندما عادت ياسوكو من المطبخ أحسّت أنّها غير قادرة على التّخلّص من قلق مكتوم. آل يونيزاوا لا يشتبهان بها أبداً، بل بالعكس، هما قلقان جدّاً ممّا قد يُصيبها جرّاء العواقب الوخيمة لعملية القتل هذه. كانت تتألّم من فكرة أنّها تخدعهما، وإن تمّ إلقاء القبض عليها فإنّ ذلك سيُسبّب لهما إزعاجاً كبيراً سيكون له أوخم الآثار على محلّ بنتنتيه. انتهت إلى خلاصة مفادها أنّه لا خيار آخر لها إلّا النّجاح في طمس آثار كلّ شيء.

شَغَلَتها هذه الأفكار وهي تقوم بعملها حتّى أنّ ذهنها شرَدَ فوبّخت نفسها: كيف بإمكانها الخلاص من مشكلها إن كانت عاجزة حتّى على التّركيز في عملها؟ ثمّ أجهدت نفسها في قصر اهتمامها على زبائنها.

في السّادسة مساءً، وبينما غدا المحلّ فارغاً منذ لحظة، إذا الباب ينفتح بغتة. استقبلت الشّخص القادم بتحية مسموعة قبل أن ترفع إليه بصرها. جحظت عيناها وأطلقت صرخة من مفاجأتها:

- سلام! قال الرّجل مع بسمة ضيّقت عينيه.

- كونياكي! أجابت مع بسمة واسعة. يا لها من مفاجأة!

- لا داعي للدّهشة. أنا أتيت لشراءِ وجبة. يا لها من خيارات مُبهرة يُوفرها محلّكم! قال مُتعجّباً وهو ينظر في لائحة الأطعمة المُزينة بالصّور.

- هل أخبرك أحد من محلّ ماريان بمكان عملي؟

- أوه... نعم. ثمّ تبسّم من جديد. لقد عدت إليه أمس مساء لأولّ مرّة بعد زمن طويل.

غادرت ياسوكو الكونتوار قاصدة خلفية المحل.

- سايوكو! أنا بحاجة إليك، هلّا أتيت لحظة.

- ماذا يحدث؟ سألت سايوكو وهي تفتح عينيها واسعتين من الدّهشة.

- كونياكي كودو أتى لزيارتنا، أجابت ياسوكو ضاحكة.

- كودو!

غادرت المطبخ وهي تخلع وزرتها، وعندما رأته صاحت:

- كودو!

- تبدوان معاً في صحّة جيدة. أليس صعباً حقّاً أن تكون للمرء مُقاولته الخاصّة به؟ يبدو أنّ الأمر لا يطرح صعوبة البتّة، إن حكمت اعتماداً على ما أرى.

- لا نشكو شيئاً، لكن ما غرضك من هذه الزيارة؟

- لا شيءَ على التحديد. حَدَتْني الرّغبة في رؤيتكما أنتما الاثنتين.

وجّه بصره نحو ياسوكو وهو يحكّ أنفه فتعرّفت على الحركة التي كان يُؤتيها عندما يكون مُنزعجاً. كان كودو زبوناً يرتاد باستمرار حانة أكاساكا التي كانت تشتغل فيها قديماً. كان يستدعيها دائماً إلى مائدته ويَصْحَبها أحياناً إلى المطعم قبل أن تبدأ شغلها، وعندما

كانت تفرغ من عملها، غالباً ما كانا يذهبان لتناول كأس معاً. ولمّا انتقلت للعمل في ماريان هروباً من توغاشي، كان هو الزّبون الوحيد الذي أخبَرَتْه بانتقالها، فجعَل يرتاد الحانة الجديدة، وعندما قرّرت مُغادرة ماريان كان هو أوّل مَن حدّثته في ذلك، فأبدى بعض الحزن وتمنّى لها الحظّ السّعيد فيما كانت مُقبِلَة عليه.

التحَقَ بهم يونيزاوا فانخرطوا في حديث عن الماضي. كان الرّجلان قد تعارَفا في حانة ماريان.

وفي ساعة مُتأخّرة قليلاً اقترحت سايوكو بلطف على كودو أن يصحب ياسوكو لتناول قهوة، فشجّعه زوجُها على ذلك بتحريك رأسه.

- ألديكِ وقت؟ سأل كودو ياسوكو التي رفَعَت بصرها نحوه.

جعلها وقت زيارته تُفكّر في أنّ تلك كانت نيته منذ البداية.

- أجل، لكن ليس في وسعي البقاء مدّة طويلة، أجابت باسمة.

غادرا بنتنتيه ومشيا في اتّجاه شارع شين-أوهاشي.

- كان بودّي أن أتناول عشائي معك، لكن لنترك هذا إلى فرصة أخرى، فابنتكِ تنتظرك على ما أظن؟

كانت ياسوكو قد أسرّت له في أثناء اشتغالها في أكاساكا أنّ لها طفلة.

- وابنكَ أهو في صحّة جيدة؟

- نعم، شكراً لك. هو الآن في سنته الدّراسية الأخيرة. يُؤلمني دماغي عندما أُفكّر فيما سيفعله بعد ذلك، قال وهو يُكشّر بوجهه.

يُسيّر كودو مطبعة صغيرة، وتعلَم ياسوكو أنّه يقطن حيّ أوساكي مع زوجته وابنه.

دخلا مقهىً صغيراً يقع على الشّارع. لم تكن لدى ياسوكو رغبة في العودة إلى المطعم العائلي الذي كانت قد قابلت فيه توغاشي.

- ذهبتُ إلى ماريان لأعرف مكان عملك. أنا أتذكّر أنّك كنت قد غادرتِ الحانة لتلتحقي بسايوكو وزوجها، لكنّني لم أكن أعرف مكان محلّهما.

- تذكّرتني فجأة؟

- أجل، إن شئتِ قول ذلك، أجاب وهو يُشعل سيجارة. لقد تحدثت الأخبار في التّلفزيون عمّا حدث فساورتني مشاعر قلق حيالك. رهيب ما وقع لزوجكِ السّابق.

- آه... أتذكّرته؟

أبرز كودو بسمة مُضطربة وهو ينفث الدّخان.

- بالطّبع. توغاشي ليس اسماً مغموراً بالنّسبة لي.

- لقد التبَسَ عليّ...

- لا داعي للاعتذار! عقّب وهو يُؤكّد اعتراضه على اعتذارها بحركة من كفّه.

هي على بينة من أنّها تروق له، وتعي من جهتها أنّها تحمل له مشاعر خاصّة. لم يكونا في يوم عشيقين، وقد وقفت بلطف في وجه محاولاته سَوقَهَا إلى الفندق لأنّها لم تكن ترغب في الارتباط برجل متزوّج، بيد أنّها هي أيضاً كانت قد أخفَت عنه أنّ لها زوجاً.

كان كودو قد التقى في نهاية المطاف بتوغاشي عندما أعادَها ذات مساء إلى بيتها. كانت قد نزلت من التّاكسي كعادتها عند اقترابها من بيتها ونسيت علبة سجائرها فركض كودو في أثرها ليُسلّمها إياها ورآها تدخل شقّة. توغاشي هو مَن فتح له الباب لمّا رنّ الجرس.

كان زوج ياسوكو ثملاً فرأى في كودو زبوناً يتجرّأ على زوجته. ومن دون أن يترك له فرصة لفتح فمه بتفسيرٍ استشاط غضباً وضربه. كانت ياسوكو قد خرَجَت مُسرعة من الحمّام إذ كانت تستعدّ للاستحمام، فوجدت توغاشي يكاد يغرس سكّيناً في بطن كودو.

ذهبت ياسوكو صباح اليوم التّالي لتقديم اعتذارها لكودو، وقد تصرّف زوجها الذي رافقها بحكمة، على الأرجح خوفاً من أن يرفع به كودو دعوى قضائية.

عندئذٍ نبّه كودو توغاشي، بهدوء، إلى أنّه لا يحسن به أن يترك زوجته تشتغل في حانة، فوافق صامتاً على رأيه وإن كان امتعاضُه من هذه الملاحظة قد انعكس على محياه.

كان كودو قد واصلَ ارتياد الحانة التي تشتغل فيها ياسوكو، إذ لم يُغيِّر موقفه منها، لكنّه كفّ عن لقائها خارج الحانة.

وعندما كان يطمئنّ إلى أنّ لا أحد باستطاعته سماع ما سيقول كان يطرح عليها أسئلة تخصّ توغاشي، وأكثرُ ما كان يشغله هو معرفةُ ما إن كان زوجها قد عثر على عمل. كانت دائماً ما تُجيبه بالنّفي بحركة من رأسها.

كان كودو هو أوّل مَن لاحظ عنف توغاشي تجاه زوجته، وكانت هي تُحاول إخفاء آثار اللّكمات بأصباغها، لكنّ كودو لم يكُن غبياً.

كان قد اقترح عليها استشارة محامٍ، مُضيفاً أنّه هو من سيُؤدّي أتعابَ الاستشارة.

- بالمناسبة، كنت أُريد أن أسألكِ عمّا إن كنتِ قد تعرّضت لمضايقات.

- مُضايقات؟ زارني مُحقّقان، أمّا سوى ذلك. . .

- هذا ما كنت أخشاه، أو بالأحرى ما كنت أشكّ فيه، قال كودو مُعلّقاً بادٍ عليه القلق.

- لا داعي للانزعاج، قالت ياسوكو باسمة.

- أمتأكّدة أنتِ أنّهم رجال شرطة حقّاً وليسوا صحافيين؟

- نعم.

- أنا أُفضّل أن يكونوا رجال شرطة على أن يكونوا صحافيين. كنتُ قد اعتقدت بالفعل أنّ الجريمة لن تحظى باهتمام إعلاميّ كبير لأنّ المقتول ليس معروفاً، لكنّني أُريدك أن تعرفي أنّني مستعدّ لمساعدتك متى احتجتِ إلى ذلك.

- شكراً لك، هذا من كَرَمك المعهود فيك.

بدا الانزعاج على محيا كودو فمدّ كفّه لفنجان قهوته التي بَرَدَت.

- أتريدين القول إنّ هذه الحكاية لا تُهمّك؟

- نعم، لا تُهمّني! وهل لك أنت رأيٌ آخر؟

- فكّرتُ فيكِ على الفور عندما سمعتُ حديثاً عن الجريمة فقلقتُ عليكِ. إنّها جريمة. أنا لا أدري لمَ قُتل، لكنّني قلت لنفسي إنّ الشّرطة ستشتبهُ بكِ.

- مثل سايوكو. يبدو أنّ لكما معاً الفكرة نفسها.

- الآن وأنا أراكِ مُتبسّمة أعلم أنّني قد أخطأتُ إذ انزعجت. وعلى أيّ حال فأنتما كنتما قد انفصلتما منذ سنوات عديدة، وكنتِ كففتِ عن لقائه على ما أعتقد.

- به هو؟

- نعم بتوغاشي.

- بالطّبع، أجابت وهي تشعر بوجنتيها تتشنّجان بطريقة غريبة.

حدّثها كودو بعد ذلك عن نفسه وعن وضعيته الاقتصادية المتأزّمة، لكنّ مُقاولته استطاعت مع ذلك المحافظة على رقم معاملاتها. قال لها بضع كلمات عن ابنه. لم يكن يتحدّث فيما مضى عن عائلته، وكانت ياسوكو تجهل كيف يتفاهم مع زوجته لكنّها تصورت أنّه لم يكن شقياً معها. هي تعلم، بحُكم عملها الطّويل في الحانات، أنّ الرّجال الذين يكون لهم ميل إلى نساء مثلها تكون لهم بعامّة علاقة طيبة بزوجاتهم.

جعل المطر يهطل عندما غادرا المقهى.

- معذرة. فلو كنت عدتِ مباشرة بعد عملك إلى بيتك لما كنتِ تبلّلتِ، قال كودو وهو يلتفت نحوها.

- كُفَّ عن ترّهاتك!

- تقطنين بعيداً عن هنا؟

- تلزمني تقريباً عشر دقائق على الدّراجة الهوائية.

- درّاجة هوائية؟ لم أكن أعلم أنّك تتنقّلين بالدّراجة.

نظر إلى المطر وهو يعضّ شفتيه.

- لا تشغَل بالك بي. لدي مظلّة في حقيبتي وسأترك الدّراجة في المحل على أن أُغادر البيت غداً قبل الوقت المعتاد. ليس هذا بشيء.

- سأصحبكِ.

- لا داعي لذلك.

لكنّ كودو كان قد نادى سلفاً على تاكسي.

- يُمكننا أن نتعشّى معاً ذات يوم إن لم يكن لديك مانع، قال

كودو مقترحاً ما أن انطلق التّاكسي. ويُمكنك أن تصحبي ابنتكِ إن شئتِ.

- أنا أشكركَ على تفكيركَ فيها، لكن هل أنت متأكّد من قدرتك على ذلك؟

- بالطّبع، فأنا لا شغل لي الآن.

- هكذا!

لم تُلحّ ياسوكو التي كانت قد طرحت عليه السّؤال وهي تُفكّر في زوجته. لديها الانطباع أنّه قد فهم قصدها لكنّه تعمّد الإجابة بغير قصد السّؤال.

طلَبَ منها رقم محمولها فأملَتْهُ عليه، لأنّها لم ترَ سبباً معقولاً لإخفائه عنه.

توقّف التّاكسي قريباً جدّاً من مسكنها، وبما أنّها كانت قد صعدت أولاً، نَزَل كودو ليُفسح لها.

- اصعَد بسرعة وإلّا تبلّلتَ، قالت له ناصحة ما إن أضحَت خارج السيارة.

- إلى لقاء قريب!

- نعم، أجابت ياسوكو مع حركة من رأسها.

صعد كودو التّاكسي ووجّه بصره إلى مكان خلف ياسوكو. التفتَت هي فرأت رجلاً بيده مظلّة مفتوحة، واقفاً أسفل سلّم العمارة. كان المكان مُظلماً فلم تتبيَّن وجهه، غير أنّها تعرّفت شكل إشيغامي.

صعد الأستاذ السّلم ببطء. كانت ياسوكو على يقين من أنّ كودو قد لمَحَ إشيغامي ولاحظ أنّه يُراقبهما.

- سأهتفُ لكِ، قال كودو فانصرف التّاكسي مبتعداً.

تابعته ياسوكو وهو ينطلق، تشعر بوجيب قلبها المتسارع. متى كانت آخر مرّة ولّدت فيها صُحبةُ رجل شعوراً مثل هذا؟

كانت ميساتو تُشاهد التّلفزيون عندما دخَلَت أمّها.

- ألم يحدُث شيء ذو طبيعة خاصّة اليوم؟

لم يكن سؤالها مُوجّهاً لحدث بعينه، لكنّها تعلم أنّ ابنتها ستَفهَم قصدها.

- كلّا. وبما أنّ ميكا لم تُخبرني بشيء، فمن المفترض أنّ الشرطة لم يذهبوا بعد لرؤيتها.

- أترَين ذلك؟

رنّ هاتفها لحظات بعد ذلك. رأت على الشّاشة رقم مخدعٍ هاتفي.

- ألو.

وكما كانت تنتظر تناهى إلى سمعها صوت حادّ.

- أنا إشيغامي. هل طرأ شيء اليوم؟

- لا، لا شيء مهمّاً، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى ميساتو.

- حسن، لكن واصلي تحوّطكِ. ليس هناك سبب يجعلنا نفكّر أنّ الشّرطة قد كفّت عن الاشتباه بكِ. هم لا شكّ مُنخرطون الآن في أبحاثٍ معمّقة.

- حسن.

- أليس لديكِ شيء آخر تُخبرينني به؟

- أوه... ثمّ تردّدت. لا، لا شيء ذا طابع خاصّ كما قلتُ لك.

- أجل، صحيح لقد قلتِ لي ذلك، اعذريني. حسن، إلى الغد.

وضعت ياسوكو هاتفها المحمول وقد استولت عليها مشاعر مُتداخلة. لقد لمحت أمراً غير مُعتاد في صوت إشيغامي، شبيهاً بالتّردّد.

قد يكون سبب ذلك هو رؤيته كودو، أسرّت لنفسها متفكّرة. من المفروض أن يكون قد تساءل مع نفسه عن هوية هذا الرّجل الذي رآه يُحدّثها بطريقة طبيعية وعادية. وربّما كان سُؤاله الأخير يعكس على الأرجح رغبته في أن يعرف عنه أكثر.

ياسوكو تعرف لمَ يُساعدها إشيغامي، هي وابنتها. فهو له ضُعف تجاهها كما كانت سايوكو وزوجها قد خمّنا. تُرى ما سيكون ردّ فعله لو عَلِمَ أنّ لها علاقة برجلٍ آخر؟ هل سيُواصل نفحَها عونَه وتشغيل ذهنه من أجلها؟

ألن يكون من الخير لها ألّا تعود لرؤية كودو، أو على الأقلّ ألّا تراه إلّا بعيداً عن إشيغامي!

ما إن راودتها هذه الفكرة حتّى شعرت بغضبٍ شديد يجتاحها.

إلى متى سيدوم هذا الوضع؟ هل عليها أن تبقى آخذة حَذَرها من أن يراها إشيغامي حياتها كلّها؟ أم ربّما كان خيراً لها أن تتفادى إقامة علاقة مع رجل آخر غيره إلى أجَلٍ غير مسمّى؟

مكتبة
t.me/t_pdf

8

حفيف النّعل الرّياضي الخفيف على أرضية القاعة الرّياضية والطّقطقةُ الخفيفة التي تصدر في الآن نفسه تقريباً تملآن كوساناغي حنيناً.

كان يقف على مدخل القاعة الرياضية وهو يُراقب ما يجري بداخلها. رأى يوكاوا، مضربُه في يده، آخذاً أُهبتَه. بَدَت عضلات فخذه أقلّ امتلاءً ممّا كانت عليه في صباه، لكنّ استعداده البدني ممتاز.

كان يلعب ضدّ طالب شديد البأس فيجد صعوبة في صدّ قذفاته العنيفة.

ضرب الطّالب ضربة قاصمة فجلس يوكاوا على الأرض مُحاوِلاً التّظاهر بالتّبسّم وهو يُدمدم بأمر.

وقَعَ بصره على كوساناغي فقال شيئاً لشريكه في اللّعب وأقبَلَ في اتّجاه صديقه.

- ما أتى بكَ اليوم؟

انتفض كوساناغي.

- لماذا تُكلّمني بهذه الطّريقة؟ رأيت أنّك هاتفتني فمررتُ معتقداً أنّ لكَ أمراً تُريد إخباري به.

كان كوساناغي قد رأى في هاتفه المحمول أنّه تلقّى مكالمة من يوكاوا.

- آه، حسن. أنا لم أترك رسالة لأنّني رأيت الأمر لا يستحقّ. كان هاتفك مُغلَقاً فقلت قد تكون مشغولاً.

- كنت في السينما.

- في السينما؟ في وقت العمل؟ هذا جيد!

- ذهبت للتثبّت من حجّة تلك التي على بالك. أردتُ أن أرى حقيقة الفيلم كي أُراقب مدى صدقية كلام المشتبه بها.

- لكنّك قضيت مع ذلك لحظات طيبة.

- عندما تكون للأمر صلة بالعمل لا تكون الفرجة ممتعة. ولو كنتُ علمت أنّ ما أردتَ إخباري به ليس له أهمية ما كنت أتيت. لقد اتّصلتُ بكَ في المختبر وأخبروني أنّك هنا.

- ما دمتَ قد أتيت، هيا بنا إلى الغذاء معاً! لقد أردتُ حقّاً أن أقول لكَ أمراً، قال يوكاوا وهو ينتعل حذاءه الذي كان قد ترَكَه بمدخل القاعة.

- في أيّ موضوع؟

- تلك القضية، قال يوكاوا مُفسّراً، وهو ينطلق ماشياً.

- القضية؟

توقّف يوكاوا ووجّه مِضْرَبَهُ نحو كوساناغي.

- قضية السينما.

دَخَلا حانة قريبة من الجامعة لم تكُن موجودة لمّا كان كوساناغي طالباً. اختارا مائدة في عمق القاعة.

- تقول المرأة وابنتها إنّهما ذهبتا إلى السينما يوم 10 مارس،

أي يوم وقوع الجريمة. وقد حدّثَت الفتاةُ يوم 12 مارس إحدى زميلاتها عن الفيلم، قال كوساناغي وهو يُفرغ الجعة في كأس صديقه. لقد تأكّدتُ من ذلك قبل قليل. وما كنت ذهبت إلى السينما إلّا إعداداً لهذا اللّقاء.

- لقد أفرَطتَ في التّبرير. وما الذي علمته من هذه الرّفيقة؟

- لم أحظَ بأيّ شيء مؤكّد، لأنّها لم تُلاحظ شيئاً ذا طبيعة خاصّة.

اسم تلميذة الإعدادي هو ميكا أوينو، هي أيضاً شاهدت الفيلم وقد تحدّثت عنه مطوّلاً مع ميساتو.

- يبدو لي غريباً أن تكونا قد انتَظَرتا يوم 12 مارس لتتحدّثا عن الفيلم، قال يوكاوا.

- تماماً. كان مُمكناً تفهّم الأمر لو كانت ميساتو قد حدّثتها عنه في اليوم الموالي، ما يجعلني أتساءل ما إذا لم تكن ميساتو قد شاهدت الفيلم يوم 11 مارس.

- أممكنٌ أن يكون الأمر كذلك؟

- إنّه ليس مُستحيلاً. لقد أنهت أمّها عملها في السّاعة السّادسة، وإن كانت الفتاة قد عادَت إلى بيتها فور انتهاء حصّة تدريبها على البادمنتون، من الممكن أن تكونا قد ذهبَتا إلى السينما في السّابعة من يوم 11، كما تُؤكّدان أنّهما قد فعلتا يوم 10 مارس.

- هل تنتمي هذه الفتاة إلى نادي البادمنتون في الإعدادية؟

- لقد فهمت ذلك عندما زرتُ بيتهما أوّل مرّة ورأيت مِضرباً. حكاية البادمنتون هذه تُبلبلني، وأنت في موقع جيد كي تعرف ما إن كانت ممارسة هذه الرياضة مُتعِبَة. ألا ترى أنّ تلميذة إعدادي قد تشعُر بالتّعب عقب حصّة تدريبية على هذه الرّياضة؟

- خَلاَ أن يُمارسها شخص مثلي يعرف كيف يقتصد من جهده، قال يوكاوا مُلاحظاً وهو يلتقم قطعة من الكونجاك[1] المجمّد المدهون بالخردل. إن أجدتُ فهم قصدك فأنت تستغرب أن تجد تلميذة إعدادي نفسها مُستعدّة بعد حصّة من لعب رياضة البادمنتون، ليس فقط للذّهاب إلى السينما وإنّما أيضاً للغناء في صالون للكراوكي إلى غاية ساعة متأخّرة من اللّيل.

ألقى كوساناغي عليه نظرة ملؤها المفاجأة، لأنّ صديقه قد خمّن تماماً ما قصده هو.

- لكن لا أحد بإمكانه أن يقول إنّ ذلك مُستحيل. فبعض تلميذات الإعدادي يتمتّعن بقدرة على التحمّل.

- طبعاً، لكنّ هذه التي نتحدّث عنها هزيلة، ولا تتمتّع بجسد رياضيّ.

- ربّما كانت حصّتهم التّدريبية في ذلك اليوم خفيفة، ثمّ إنّك قد تثبّتّ، كما أكّدتَ، من أنّهما ذهبتا حقّاً إلى صالون الكراوكي في ذلك المساء.

- في السّاعة التّاسعة وأربعين دقيقة.

- ألا تُنهي الأمّ عملها في السّادسة؟ يوجد المطعم الذي تشتغل فيه بشينوزاكي، فإنْ خصمنا زمن التنقّل بقي لنا ما يقرب من ساعتين لارتكاب الجريمة. الأمر إذاً ليس مستحيلاً من وجهة نظر زمنية، قال يوكاوا الذي شبّك ذراعيه من دون أن يضع عصَوَيْ الأكل.

نظر كوساناغي إليه وهو يتساءل في سرّه ما إن كان قد سبَقَ له أن أخبر صديقه باشتغال أم ميساتو في مطعم.

---

(1) نبات يوجد بالجنوب الشرقي من آسيا، له فوائد غذائية وطبية معروفة.

- لكن أخبرني ما الذي طرأ حتّى تشغل بالك بهذه القضية؟ أنت لم تعتَد سؤالي عن سير تحقيقاتي.

- لا أقول إنّني أهتمّ بالقضية. أنا أُفكّر فيها قليلاً، لا أدري لمَ. كما أنّني أحبّ الحجج القوية.

- ولأنّ حججهما قوية، أو على الأقل يصعب التحقّق منها، يغدو هذا التحقيق صعباً للغاية.

- أنت تشتبه بهذه المرأة وبابنتها؟

- ربّما، كما أنّه ليس لنا مشتبه بهم آخرون حتّى الآن. ويبدو لي ذهابُهما إلى السينما ثمّ إلى صالون الكراوكي في مساء وقوع الجريمة أمراً يدعو للرّيبة.

- أنا أفهم ما تقول، بيد أنّك مُلزم بأن تُحافظ على عقلانيتك، وربّما كان عليك أن تهتمّ بأمر آخر غير هذه الحجّة.

- أنا لم أنتظر نصيحتك لأفعل، قال كوساناغي.

وأخرج ورقة من جيب معطفه وبسطها على المائدة، فبَدَت صورة لرجلٍ واقف.

- ما هذا؟

- صورة الضّحية مساء يوم مقتله. لقد استعملها زملاء لي للبحث في ضواحي محطّة شينوزاكي.

- ألم يسبق لك أن قلت لي إنّ ملابسه لم تكن قد احترقت بالكامل؟ كان يرتدي معطفاً أزرق وكنزة رمادية وسروالاً أسود، وهو ما يرتديه الكثير من النّاس.

- هو ذاك، وكثير من النّاس قالوا لنا إنّ لديهم انطباعاً بأنّهم قد رأوه حتّى أنّ الأمر غدا مُثيراً للأعصاب، فأُحبط الفريق الذي يقوم بتجميع الشّهادات.

- ألم تحصلوا على أيّ معلومة ترونها ذات نفع حتّى هذه اللّحظة؟

- في المجمل لا، باستثناء شهادة شخص قال إنّه يتذكّر رجلاً يتزيّا بهذه الشّاكلة بدا له مُريباً. هي شهادة امرأة كانت قد رأته يحوم بلا هدف، وبما أنّ هذه الصّورة كانت معلّقة في المحطّة فقد ذهبت إلى مركز الشّرطة لتُخبرهم بذلك.

- هي ذي شخصية ذات إرادة طيبة! وتعتزم أن تطرح عليها أسئلة إضافية؟

- مرة أُخرى، لم ننتظر نصيحتك للقيام بذلك. لكن المفروض أنّ الذي تحدّثت عنه هذه المرأة لم يكن هو الضّحية.

- وكيف عرفت ذلك؟

- لقد رأت ما رأت ليس في محطّة شينوزاكي وإنّما في التي تقع قبلها على الخطّ نفسه، أي محطّة ميزوي، كما أنّ الوجه الذي تحدّثت عنه ليس هو المقصود. عندما أريناها صورة للضّحية قالت إنّ الرّجل الذي رأته كان له وجه أكثر استدارة.

- وجه أكثر استدارة، أوه...

- صَبُّ الماء في الرّمل يُشكّل جزءاً من واقعنا اليومي. إنّ عالمنا ليس له أيّ علاقة بعالمكم الذي يكفي فيه أن تكون الأمور منطقية حتّى يتمّ الاعتراف بها.

أمسك كوساناغي قطعة بطاطس بعصَوَيه ونظر إلى صديقه المحدّق في الفراغ مُشبّكاً ذراعيه. كان لسان حال رجل الفيزياء يُوحي أنّه مستغرق في تفكير عميق.

شيئاً فشيئاً غدت نظرة يوكاوا أكثر تدقيقاً ووقعت من جديد على كوساناغي.

- ألم يكُن وجه الضّحية قد تشوه؟

- بلى، واحترقت أطراف أصابعه، على الأرجح بقصد تأخير التّعرّف على هويته.

- ما الأداة التي استعملها القاتل لتشويه وَجهه؟

تأكّد كوساناغي من أنّ لا أحد بإمكانه سماع حديثهما فمال على المائدة.

- في غالب الظّن مطرقة، لكنّنا لم نعثُر عليها بعد. الظّاهر أنّ القاتل وجّه عدّة ضربات للوجه حتّى أنّ العظام تهشّمت. الفكّ والأسنان مهروسة.

- مطرقة... تمتم يوكاوا وهو يقسم قطعة فجل أبيض نصفين.

- لكن فيمَ تُهمّك هذه القضية؟

وضع رجل الفيزياء عصَوَيه واتّكأ على المائدة بمرفقَيه.

- إن كنت تشتبه في المرأة التي تشتغل في المطعم، فمن المفروض أن تكون قد فكّرتَ فيما صنعته ذلك اليوم. وأنت تعتقد أنّها قد كذبت عندما زعمت أنّها ذهبت إلى السينما.

- لم أستطِعْ بعد التّوصّل إلى خلاصة بهذا الشّأن.

- لا قيمة كبيرة لذلك. فسّر لي استدلالك، قال يوكاوا وهو يدعوه لذلك بكفّ ويرفع بالأخرى كأسه.

كشّر كوساناغي بوجهه ومرّر لسانه على شفتيه.

- لا أجرؤ على القول إنّه استدلال، لكن هذه هي الطّريقة التي أرى بها الأمور. السّيدة التي تشتغل... ولنسمها السّيدة أ، للاختصار.

- غادرت السّيدة أ عملها على السّاعة السّادسة، وذهبت راجلة إلى محطّة هاماشو فتطلّب منها ذلك عشر دقائق. ثمّ لزمها، في

المترو، ما يقرب من عشرين دقيقة لتصل إلى شينوزاكي. توجّهت إلى مكان الجريمة في الحافلة أو في التّاكسي انطلاقاً من المحطّة، ما يعني أنّها قد وصلت حوالي السّابعة مساء.

- وخلال ذلك، ما الذي كان الضّحية يفعله؟

- كان في طريقه إلى المكان نفسه. قد تكون السّيدة أ وعدته باللّقاء، لكنّ الرّجل قطع المسافة بين شينوزاكي ومكان الجريمة على الدّراجة الهوائية.

- على الدّراجة؟

- أجل. فقد عثرنا على درّاجة بجوار الجثّة، رفعنا منها بصماته.

- هكذا! لكنّني كنت أعتقد أنّ أطراف أصابعه مُحترقة.

أكّد كوساناغي ما قاله يوكاوا.

- علمنا ذلك عندما حدّدنا هوية الضّحية. وجدنا بصمات الدّراجة متطابقة مع تلك التي عثرنا عليها في غرفة الفندق التي كان ينزل به. أنا أعرف ما ستقوله! ستقول إنّ هذا التّطابق يعني أنّ الشّخص الذي نزل تلك الغرفة هو نفسه الذي استعمل الدّراجة الهوائية وليس الذي قُتل، كما أنّ هذا التّطابق بإمكانه أن يدلّ أيضاً على أنّ نازل الغرفة هو المجرم. لكنّنا استطعنا أن نتبيّن أنّه كان في الغرفة شُعيرات متطابقة مع شعر الضّحية. ونحن ننتظر نتائج الحمض النّووي كي نُؤكّد بصفَة نهائية أنّ الأمر كذلك.

تبسّم يوكاوا ساخراً.

- أنا لا أضع موضع شكّ قدرةَ الشّرطة على عدم الوقوع في الخطأ، لكنّ حكاية الدّراجة هذه تُحيرني. وهل كان الضّحية قد ترك درّاجته الخاصّة به في المحطّة؟

- لا، الأمر ليس كذلك...

وفسّر له كوساناغي ظروف سرقة الدّراجة الهوائية.

جحظت عينا يوكاوا خلف نظّارتيه المعدنيّتين.

- بمعنى آخر، كان للضّحية ما يكفي من الوقت ليسرق درّاجة من المحطّة عوض أن يستقلّ الحافلة أو التّاكسي.

- بالضّبط. فنحن على علم بأنّ هذا الرّجل كان عاطلاً، لا مال له تقريباً، فلم تكن لديه الرّغبة في صرف مالٍ باستقلال الحافلة.

شبّك يوكاوا ذراعيه بادٍ عليه عدم الاقتناع وزفَرَ بعمق.

- ليكن. هذه إذاً من وجهة نظرك هي ظروف التقاء السّيدة أ بالضّحية في مكان وقوع الجريمة. واصِل.

- أتصوَّر أنّها حدّدت له موعداً فطفِقت تنتظره مُختفية في مكان ما. وعندما رأته مُقبِلاً اقتربت منه خفية من الوراء ومرّرت حول عنقه الحبل الذي كانت قد أعدّته لهذا الغرض وضغطت بكلّ ما أوتِيَت من قوة.

- انتظر! قال يوكاوا وهو يُفرد يديه. أيّ قامة كانت للضّحية؟

- متر وسبعون سنتيمتراً تقريباً، أجاب كوساناغي مُبلبلاً لأنّه يُخمّن ما سيقوله له صديقه.

- والسّيدة أ؟

- لا تكاد تصل متراً وستّين سنتيمتراً.

- يعني تقلّ عنه على الأقلّ بعشرة سنتيمترات، قال يوكاوا وهو يُمسك ذقنه بكفّه اليمنى. هل أدركتَ قصدي؟

- أنا أعرف أنّ من الصّعب خنق شخص أطول قامة منّا. كما أنّ الآثار التي عثرنا عليها في عنق الضّحية تدلّ على أنّ الشّخص

الذي خنقه كان أطول منه، لكن من الممكن أنّ الضّحية كان جالساً أو على دراجته.

- ما يُهمّك أنت هو العثور على تفسير يُلائمك.

- البتّة، قال كوساناغي مُعقّباً وهو يضرب على المائدة.

- وماذا بعد؟ جرّدته السّيدة أ من ملابسه وأخرجت المطرقة التي أحضرتها لتشويهه ثمّ أحرقت أطراف أصابعه بقدّاحة وأشعلت النّار بعد ذلك في ملابسه وانصرفت. أهذا ما تراه؟

- ألم يكن لها ما يكفي من الوقت لتصل في التّاسعة إلى كنشيشو؟

- إن أخذنا الأمور على وجه العموم، قلنا بلى، لكن استدلالك يبدو لي غير واقعيّ، وأنا لا أتصور أنّ زملاءك كلّهم سيقتنعون به.

قطّب كوساناغي وأنهى كأس جعته وطالب بأخرى قبل أن يلتفت إلى صديقه.

- كثير منهم يجدون صعوبة في تصور أنّ امرأة يُمكنها أن تقوم بهذا كلّه.

- وأنا أتفهم وجهة نظرهم. فحتّى لو قبلنا أنّها هاجمته من الخلف فإنّني لا أرى كيف كان بإمكانها أن تخنقه لو حاول الدّفاع عن نفسه، ومن المفروض أن يكون قد فعل. كما أنّني أجد صعوبة في تخيّل أن تكون امرأة قد أخضَعَت الجثة لما وصفته أنت. أنا آسف أن أعلن أنّني لست مُتفقاً مع فرضيتك أيها المفتّش كوساناغي.

- أنا نفسي أشكّ في ذلك! أنا نفسي لستُ مقتنعاً أنّها الفرضية الأجود، وأعتقد أنّها واحدة من بين أخريات ممكنة.

- أنت تقول إنّك تتصور فرضيات أخرى، هيّا أخبرني بكلّ شيء ولا تتلكّأ!

- أتعتقد أنّني حقّاً أتلكّأ! إن افترضنا أنّ الضّحية لاقت حتفها في المكان الذي عُثر فيه على الجثة، فإنّني أجد فرضيتي مُناسبة. لكنّني لست متأكّداً من أنّ هذه هي الحال. وفي جميع الأحوال فإن غالبية زملائي يشكّون في ذلك، بغضّ النّظر عن أن تكون السّيدة أ هي القاتلة أو ليست القاتلة.

- أنا أيضاً أشكّ في ذلك، لكنّ المفتّش كوساناغي لم ينطلق من الشّك في أنّ الضّحية لم تُقتل حيث عُثر عليها، لماذا؟

- الأمر بسيط. فإنْ كانت السّيدة أ هي القاتلة فإنّ نقلَها الجثّةَ أمرٌ مستحيل. هي لا تملك سيارة ولا حتّى رخصة قيادة، فهي إذاً لا تستطيع نقل الجثّة.

- أفهم ما تقول، وهو أمر لا يجب إهماله.

- ثمّ هناك هذه الدّراجة الهوائية التي عُثر عليها في عين المكان. يُمكننا أن نرى فيها عنصراً هدفه جعل المحقّقين يعتقدون أنّ الجريمة ارتُكِبت حيثُ تمّ العثور على الجثّة، لكن في هذه الحالة يكون ترك بصمات الضّحية عليها بلا معنى، ما دامت أطراف الأصابع محترقة.

- أنا أتّفق. هذه الدّراجة لغزٌ بمعنىً من المعاني، قال يوكاوا مُعلّقاً وهو ينقر بأصابعه على المائدة قبل أن يكفّ عن ذلك. ألا ترى أنّ الواقعي حقّاً هو أن يكون مُرتكبُ هذه الجريمة رجلاً؟

- هذا رأي غالبية زملائي، لكنّهم يستمرّون مع ذلك في الاشتباه بالسّيدة أ.

- أيكون لها شريك ذكر؟

- تركيزنا الآن مُنصبّ على علاقاتها. هي كانت تشتغل قديماً

في حانة، ومن المستحيل ألّا تكون قد ارتبطت البتّة بعلاقة مع رجال.

- سيجلب لك تصريحٌ مثل هذا متاعب تُحدِثُها لك النّساء المشتغلات في الحانات إن سمِعْنَك تتلفّظ بهذا!

وتألّق وجه يوكاوا ببسمة وشرب من جعته.

- أيُمكن أن تُريني الصّورة ثانية؟ واصل قائلاً وقد اكتسى وجهه طابع الجدّية.

- هي ذي، قال كوساناغي وهو يمدّها له.

- أتساءل عن السّبب الذي جعل القاتل يُقدّر أنّ من المهمّ تجريد الضّحية من ثيابه، تمتم يوكاوا وهو ينظر في الصّورة.

- ليُؤخّر التّعرّف على هوية القتيل. وللسّبب نفسه على الأرجح هُشِّمَ وجهه وأُحرقت أصابعه.

- في هذه الحال، لماذا لم يحمل الجاني الملابس معه؟ واكتفى بإضرام النّار فيها فلم تحترق بالكلية، ما مكّنكم من تركيب هذه الصّورة.

- لم يكن له بالتأكيد ما يكفي من الوقت.

- نفهم ونقبل أن يتمّ تحديد هوية شخص من حافظة أوراقه أو من رخصة قيادته، لكن لا أن يتمّ ذلك اعتماداً على ملابسه! إنّ تجريد الضّحية من ملابسه فعل محفوف بالمخاطر، وقد كان الجاني ربّما على عجلةٍ من أمره.

- إلامَ ترمِي؟ أترى سبباً آخر معقولاً لنزع ثيابه؟

- لا يُمكنني أن أكون متأكّداً من شيء، لكنّه يبدو لي أنّكم ما لم تُجيبوا عن هذا السّؤال لن يُمكنكم إلقاء القبض على مرتكب

الجريمة، قال يوكاوا مُفسّراً وهو يخطّ بإصبعه علامة استفهام كُبرى على الصّورة.

كانت نتائج الفرض الأخير لتلاميذ القسم الثّالث من المستوى الأول تدعو للخيبة، مثلها مثل نتائج مجموع تلاميذ المستوى الأول. وكان لدى إشيغامي انطباع بأنّ التّلاميذ جعلوا يستعملون، سنة عقب سنة، عقولَهم بطريقة سيئة للغاية.

أعادَ أوراق الفروض للتّلاميذ وأعلن عن تاريخ الفرض الاستدراكيّ. ذلك أنّ التّلاميذ في هذه الثّانوية ليس بإمكانهم الانتقال إلى المستوى الأعلى إلّا بحصولهم في كلّ مادّة على نتيجة تتجاوز مُستوىً تحدّده المؤسّسة. لذلك كان الأساتذة يُجرون الفروض الاستدراكية التي يرونها ضرورية لتحقيق هذا الهدف، ولم تكُن حالات التّكرار إلّا استثناءً.

ارتفعت أصواتٌ محتجّة على إعلان الأستاذ، بَيْدَ أنّ احتجاجهم لم يكُن مُستغرباً فلم يُعِرْهم إشيغامي اهتماماً، لكن تلميذاً عانَدَ.

- سيدي، لا توجد في بعض الجامعات اختبارات للرّياضيات في امتحان الدخول، لذلك ليس لمن سيختارون من بيننا هذه الجامعات حاجةٌ في دراسة الرّياضيات، ألا توافقني الرأي؟

تفرّس إشيغامي في التّلميذ المُسمّى موريوكا والذي راح يحكّ قفاه باحثاً عن تأييد رفاقه. لم يكُن إشيغامي هو الأستاذ الرّئيس لهذا القسم لكنّه على علمٍ بأنّ لموريوكا تأثيراً كبيراً على مُجمل تلاميذ القسم رغم قصر قامته. ومع تعرّضه لعقوبات كثيرة فإنّه ما زال يأتي إلى الثّانوية على متن درّاجة نارية، ما كان غيرَ مسموح به.

- أهذا ما ستختاره أنت يا موريوكا؟ سأله الأستاذ.

- نعم، إن قرّرتُ مواصلة دراساتي العليا، فأنا حتّى الآن لا نية لي في ذلك. وفي جميع الأحوال سأتوقّف عن دراسة الرياضيات السّنة المقبلة، لذلك فأنا لا حاجة لي بنتائج فرض الرياضيات. إنّني لأُعاتبك سيدي على تدريسك الرّياضيات لأغبياء مثلي. ولربّما كان بإمكاننا، لنقل، أن نتفاهم ما دمنا معاً راشدَين حتّى نيسّر عملنا.

جعل التّلاميذ كلّهم يضحكون عندما تلفّظ بـ«ما دمنا راشدَين»، وقد تبسّم إشيغامي بدوره.

- لا تعتقد أنّني أجد ما تقوله غريباً. لكن تصرّف كي تحصل على المعدّل في الفرض الاستدراكي الذي سيكون موضوعه هو الحساب التفاضلي. هذا كلّ ما أستطيع قوله لك.

أصدر موريوكا حركة اعتراض ووضَع فخذاً على فخذ بتعاظُم.

- الحساب التفاضلي. وفي ماذا سيفيدنا هذا الحساب، عدا أن يكون مضيعة للوقت؟

التفت إشيغامي نحوه وهو يقف أمام السّبورة استعداداً لتصحيح الفرض، فاغتنَم هذه الفرصة وقد سنحت.

- ألا تُحبّ الدّراجات النّارية يا موريوكا؟ هل سبق لك أن حضرت سباقاً لها؟

أجاب التّلميذ بالإيجاب، غيرَ متبيّنٍ غايةَ الأستاذ.

- المتسابقون لا يجرون بسرعة واحدة ثابتة، وإنّما يُغيرونها وفقاً لطبيعة الميدان ووفقاً لاتّجاه الرّيح أو وفقاً لاستراتيجيتهم. والرّابح هو الذي يعرف ما إن كان عليه أن يزيد من سرعته أم لا. أتُتابع ما أقول؟

- نعم، لكن ما علاقة هذا بالرّياضيات؟

- مستوى إسراع كلّ متسابق هو تفاضلية السّرعة في تلك

اللّحظة. وعلاوة على ذلك فإنّ المسافة الواجب قطعها تُحدَّد بالسّرعة التي لا تكفّ عن التّغير. أتستمرّ بعد هذا في التّفكير في أنّ الحساب التفاضلي لا أهمية له؟

بدا موريوكا مُبلبلاً، ربّما لأنّه لم يفهم شرح الأستاذ.

- المتسابقون لا يُفكّرون في هذا كلّه، وإن ربحوا فبفضل تجربتهم وغريزتهم، من وجهة نظري.

- أنت على حقّ. لكن فكّر في فريقهم. إنّه يُحدّد الاستراتيجية الواجب اتّباعها بوضع تماثلات لا تنتهي قصد تحديد اللّحظة التي يكون على المتسابق فيها أن يُسرّع من جريه، وللقيام بذلك يكون الفريق في حاجة إلى الحساب التفاضلي. لا يكون المتسابقون أنفسهم ربّما على وعي بذلك، لكن الواقع هو أنّ البرامج المعلوماتية التي يستعملونها تلتجئ إليه.

- وبالنّتيجة، فإنّه يكفي الأشخاص الذين يصنعون هذه البرامج المعلوماتية أن يكونوا على معرفة بالرّياضيات.

- ربّما. وما أدراك، فلربّما أصبحتَ أنت أيضاً من صانعي هذه البرامج المعلوماتية.

آتى موريوكا حركة نفيٍ من رأسه.

- كيف يكون بإمكاني أنا أن أُصبح مُبرمِجاً؟

- قد لا تُصبح أنتَ كذلك، لكنّ تلاميذ آخرين من هذا القسم قد يفعلون، ومن أجلهم وُضعت دروس الرّياضيات. عليكم أن تعلَموا أنّ ما أُدرّسكم إياه ليس سوى مدخلٍ إلى عالم الرياضيات. لذلك سيستحيل عليكم دخول هذا العالم إن لم تعرفوا موقع هذا المدخل. طبعاً مَن لا يُحبّون هذا لا حاجة لهم في سَبر عالم

الرّياضيات. والفروض التي أُخضعكم لها تستهدف التّحقّق ممّا إذا كنتم قد تعرّفتم موقع هذا المدخل.

كان إشيغامي يتحدّث وهو يُجيل بصره في الفصل. يوجد دائماً، وفي كلّ سنة، تلميذٌ يتساءل عن جدوى الرّياضيات، وكان دائماً ما يُجيب المتسائل بالطّريقة نفسها. وإن كان قد اعتمد اليوم مثال سباق الدّراجات النّارية فلعلمه أنّ موريوكا يُحبّ هذا النّوع من المَركبات، أمّا السّنة الماضية فكان قد التجأ إلى مثال دور الرّياضيات في عمل مهندسي الصّوت لأنّ رغبة التّلميذ الذي سأله كانت أن يَصير موسيقياً. لم يكن إشيغامي يترك هذا النّوع من التّلاميذ يستصغرون مهمّته.

عندما عاد إلى قاعة الأساتذة وجدَ رسالة على مكتبه مفادُها أنّ «السّيد يوكاوا قد هاتفك»، إضافة إلى رقم هاتف محمول. وقد تعرّف كتابة أحد زملائه.

ما الذي يُريده منه رجل الفيزياء؟ ساوره شعور مُسبَق سيّئ.

خرج إلى الممرّ محموله في يده، فأجابه مُخاطبُه بعد الرّنة الأولى.

- آسف على إزعاجك، قال يوكاوا بصوتٍ واضح.

- هل الأمر مستعجل إلى هذه الدّرجة؟

- نعم. هل يُمكن أن نلتقي اليوم؟

- اليوم؟ ما زال لدي شغل أقوم به، لكنّني أعتقد أنّ اللّقاء ممكن بعد الخامسة.

كان إشيغامي قد أنهى دروس اليوم، وهو ليس أستاذاً رئيساً فليس عليه إذاً أن يُراقب تلامذة قسمه خلال ساعة إنجازهم

لواجباتهم التي تُنهي اليوم، ويُمكنه أن يعهد بمفتاح قاعة الجودو لأحد زملائه.

- في هذه الحال سآتي إلى الثّانوية لأخذك. أيُناسبك هذا؟

- نعم. أين أنت الآن؟

- ليس بعيداً عن ثانويتك. حسن، إلى اللّقاء!

- إلى اللّقاء.

بعد أن أقفل إشيغامي الخطّ، احتفظ بالهاتف في يده. ما الدّاعي الذي يجعل يوكاوا يأتي لرؤيته في مقرّ عمله؟

كان في السّاعة الخامسة قد أنهى تصحيح أوراق الفرض فغادَرَ قاعة الأساتذة مُتوجّهاً نحو المدخل الرّئيس عابراً ملعب الرّياضات.

لمَحَ يوكاوا المرتدي معطفاً أسود أمام ممرّ الرّاجلين قبالة الثّانوية. ابتَسَمَ رجل الفيزياء ولوّح له بحركة من كفّه.

- معذرة على إزعاجك، قال يوكاوا.

- ما بُغية هذه الزّيارة المفاجئة؟ سأل إشيغامي بمودّة.

- سأُخبركَ بذلك في الطّريق، اتّفقنا؟

توجّها نحو شارع جسر كيوسو.

- لا، لنذهب بالأحرى من هنا، قال إشيغامي وهو يُشير إلى شارع جانبيّ. هكذا سنصل منزلي في وقت أقلّ.

- أريدك أن تأخذني إلى ذلك المطعم، صرّح يوكاوا من دون مقدّمات.

- المطعم... لكن لماذا؟ سأله إشيغامي وهو يشعر بوجهه يتشنّج.

- لابتياع وجبة جاهزة طبعاً. لا يزال لدي شغل كثير اليوم

وأريد تأمين عشائي. وما دُمتَ تذهب إليه كلّ صباح قلت إنّه قد يكون محلّاً جيداً.

- آه... فهمت. سآخذك إليه، قال إشيغامي وهو يُغير الاتّجاه.

مشى الرّجلان جنباً إلى جنب على طول الشّارع الذي يكثر فيه عُبور الشّاحنات.

- التقيت بكوساناغي منذ أيام. أنت تعرفه طبعاً، فقد حدّثتكَ عنه. أقصد مُفتّش الشّرطة الذي سبق له أن زارَكَ في بيتك.

شعر إشيغامي بارتفاع ضغطه وأضحى شعوره القبليّ أسوأ.

- ثمّ؟

- لم يكن له شيء خاصّ يُخبرني به. هو عادة ما يأتي ليحكي لي عن سوء حظّه عندما يجد نفسه أمام الباب المسدود في عمله. إنّها عادةً ما تكون مشاكل مُزعجة لا تُحلّ بسهولة. ولقد طلب منّي في يوم مُساعدته على حلّ لغز تورّطت فيه ذهنية فذّة، فلاقيت عناءً ما بعده عناء في فكّ لغز تلك القضية.

ثمّ راح يوكاوا يحكيها له. هي لم تكن بلا فائدة، لكن ليس ممكناً أن يكون أتى لزيارته فقط لإخباره بهذا.

ساور إشيغامي ضرب من القلق وهو يهمّ بدخول المطعم برفقة يوكاوا. فهو غير قادر على التّنبّؤ بردّ فعل ياسوكو لأنّه لا يأتي المحلّ أبداً في هذا الوقت، كما أنّه لم يأته قطّ برفقة صديق، وقد تستخلص من ذلك أموراً خاطئة. لكنّه أمّل أن يكون ردّ فعلها عادياً.

دفع يوكاوا باب المطعم الزّجاجيّ من دون أن يعير اهتماماً لمزاج صاحبه، فلم يجد إشيغامي من خيار أمامه إلّا أن يدلف في أثره. كانت ياسوكو تُحدّث زبوناً.

تبسّمت في وجه يوكاوا وهي تُحييه قبل أن تحطّ ببصرها على مُرافقه. طفا تعبير اندهاش وانزعاج خفيف على مُحيّاها وتجمّدت بسمتها.

- هو... يُزعجك؟ سأل يوكاوا الذي كان قد فطن لتبدّل حال ياسوكو.

- أوه... كلّا، قالت مُحرّكة رأسها مع بسمة بريئة، إنّه جاري وزبونٌ وفيّ...

- أجل، أخبَرَني بذلك. وتحديداً لأنّه حدّثني عن محلّكم حَدَثْني الرّغبة في تذوّق لذائذ مطبخكم.

- هذا لطفٌ منك، أجابت ياسوكو وهي تُنكّس جفنيها.

- لقد درسنا معاً، قال يوكاوا مُفسّراً وهو يلتفت نحو إشيغامي، وقد زرته في بيته مُؤخراً.

- آه! صوّتت مُتعجّبة وهي ترفع رأسها.

- هل حدّثكِ عن ذلك؟

- أجل، في بضع كلمات.

- هكذا! أخبريني، أيّ وجبة تقترحينها عليّ؟ ما الوجبة التي يأخذها هو في العادة؟

- السّيد إشيغامي يأخذ دائماً وجبة اليوم، لكنّ وجبة هذا اليوم نفَدَت.

- يا للأسف. وما الذي تقترحينه عليّ في هذه الحالة؟ فكلّ شيء يبدو لذيذاً.

وبينما راح يوكاوا يختار وجبته، جعل إشيغامي يُراقب الجهة الأخرى من الواجهة. قد يكون المطعم مُراقباً من الشّرطة لذلك كان يُفضّل تحاشي أن يُرى مُنخرطاً في محادثة ياسوكو بطريقة حميمة.

ثمّ إنّ المشكل لا يُحدّ هنا، فكّر وهو يرمق يوكاوا بطرفِ عينه. هل بإمكانه وضع ثقته في رجل الفيزياء هذا أم عليه أن يَحتاط منه؟ وبالنّظر إلى علاقته مع المفتّش كوساناغي، فإنّه ليس مُستَبْعَداً أن تكون الشّرطة على علم بزيارته.

اختار يوكاوا بُغيته فقصَدَت ياسوكو المطبخ لنَقل طلبه.

في اللّحظة نفسها، دفع زبون الباب ودخل. وما إن رآه إشيغامي حتّى زمّ شفتيه.

هذا الرّجل المرتدي بذلةً بنية اللّون هو بلا أدنى شكّ الرّجل الذي سبق له أن رآه منذ أيام أمام البناية التي يسكنها. إنّه الرّجل الذي كان قد رافَقَ ياسوكو في التّاكسي. فإشيغامي كان قد راقَبَهما تحت مظلّته وهما يُثرثران كما لو كانا على معرفة حميمة بعضهما ببعض.

بدا أنّ هذا الرّجل لم يتعرّف عليه ومكثَ مُنتظراً عودة ياسوكو من المطبخ.

عادت للظّهور لحظات بعد ذلك، فبدت المفاجأة على مُحياها من رؤية القادم الجديد.

أصدر المجهول بسمة وحيّاها بحركة خفيفة من رأسه من دون أن ينبس بكلمة. هو ينوي على الأرجح مُحادثتها بعد انصراف باقي الزّبائن.

تساءل إشيغامي في سرّه عمّن يكون ومتى عرفها؟

هو ليس ينسى هيأة ياسوكو عندما كانت قد ترجّلت من التّاكسي ذلك المساء، بادٍ عليها ابتهاج لم يسبق له أن رآها فيه، يعكس وجهها تعبيراً لا هو بتعبير الأمّ ولا بتعبير بائعة تستقبل زبوناً. أتكون

ربّما تلك هي اللّحظة الوحيدة التي رآها على طبيعتها الحقيقية، فرأى وجهها الأنثويّ؟

هي تكشف له عن حالٍ من نفسها تُخفيها عنّي أنا، قال في سرّه.

تنقّل بصره من الرّجل الغريب إلى ياسوكو. حصل لدى إشيغامي شعورٌ بأنّهما يوجدان في فقاعة هوائية تتأرجح أمام ناظريه، فاجتاحه شعور قريب من الغيظ.

كانت علبة وجبة يوكاوا جاهزة، وبعد أنّ أدّى ثمنها انقلب نحو إشيغامي مُعتذراً له عمّا سبّبه له من تأخير.

لمّا خرج الرّجلان من المحلّ نزلا إلى ضفّة نهر السّوميدا، يمشيان جنباً إلى جنب.

- ذاك الرّجل، هل تُؤاخذه بشيء؟

- ماذا؟

- أتحدّث عن الذي دخلَ المطعم بعدنا. حصل لديّ الانطباع أنّه أزعجك.

ارتعدَ إشيغامي وقد شعَرَ رغماً عنه بإعجابٍ كبير بنَباهة صديق دراسته.

- هل بَدا لكَ الأمر كذلك؟ أنا لا أعرف مَن هو، أجاب مُدّعياً عدم الاهتمام.

- صحيح! الأمر هكذا أحسن، قال يوكاوا مُعقّباً من دون أن يُبدي شكّه فيما سمع.

- لكن لماذا كنت تُريد لقائي على عجل؟ أعتقد أنّ ذلك لم يكن فقط كي أُرافقك لابتياع وجبة جاهزة!

- أنت على حق، فأنا لم أشرَح لكَ بعد، قال يوكاوا مُفسّراً

وهو يُقطّب. قلت لك قبل قليل إنّ هذا المفتّش كوساناغي قد اعتاد المجيء كلّما استعصى عليه الأمر للقائي ولأخذِ وجهة نظري في أمور تُزعجه. ويومئذٍ كان مرّ ليراني لأنّه علم أنّك جار هذه السّيدة، فطلب منّي شيئاً لم يَرُقْني أبداً.

- ماذا طلبَ منك؟

- يبدو أنّ الشّرطة ما زالت تشتبه بها، لكنّهم لم يعثروا على شيء يُثبِتُ تورّطها، ويودّون مُراقبتها من قرب. وبما أنّ ذلك ليس سهلاً فكّروا فيكَ أنت.

- هم على أيّ حال لن يصل بهم الأمر أن يطلبوا منّي أمراً مثل هذا؟

حكّ يوكاوا رأسه.

- بلى، هم يودّون أن تقوم بذلك بشكلٍ من الأشكال. لا يُريدونك أن تُراقِبَها أربعاً وعشرين ساعة على أربع وعشرين، ولكن أن تُخطِرَهم متى لاحظتَ أمراً غير مُعتاد. على أيّ حال، يُريدونك جاسوساً لهم! أنا أعتبر هذا مُثيراً للتّقزّز لكن الشّرطة معروفة بسلوكياتها الشّاذة.

- وقد أتيتَ لتطلب منّي هذا؟

- هم لن يتخلّفوا عن التّقدّم لك بهذا الطّلب رسمياً، وهم إنّما أرادوني أن أجسّ رغبتك في الموضوع. أعتقد أنّ بإمكانك أن ترفض، بل عليكَ أن ترفض، لكنّ الأمر لك.

بدا يوكاوا مُضطرباً، ووجَدَ إشيغامي صعوبة في تصديق أن تكون الشّرطة راغبة في عون مُواطنٍ بسيط من أجل هذا.

- وكانت لزيارتك محلّ بنتنتيه علاقةٌ بهذا؟

- بكلّ صدق، نعم. كنت بحاجة إلى أن أرى مُباشرة هذه

السّيدة. وقد حصل لدي شعور بأنّها أعجزُ من أن تقتل شخصاً.

وأنا كذلك، كادَ إشيغامي أن يقول لولا أنّه عدل عن ذلك.

- ربّما، لكن يجب ألّا نضع ثقة عمياء في المظاهر، أليس كذلك؟ قال إشيغامي.

- بالتأكيد. ما رأيك؟ ألديك الاستعداد لقبول عرض الشّرطة؟

آتى إشيغامي حركة رفض من رأسه.

- صراحة، لا. لا تروق لي فكرة التّجسّس على شخص. وفي جميع الأحوال لا وقت لي للقيام بهذه المهمّة. قد لا يبدو الأمر كذلك، لكن الواقع أنّني مشغول جدّاً.

- بإمكاني تصوّر موقفك. حسنٌ، سأخبر كوساناغي بردّك، ولنكفّ عن الحديث في هذا. اعذرني على تعكيري صفوَك.

- أبداً، على الإطلاق.

كانا قريبين من جسر شين-أوهاشي ومن أكواخ المتشرّدين، فواصل يوكاوا الحديث:

- أعتقد أنّ هذه الحكاية حصلت يوم 10 مارس، وقد أخبَرَني كوساناغي أنّك كنتَ قد عدت باكراً إلى مسكنكَ يومئذٍ.

- أجل، لأنّه لم يكن لي شيء أفعله وأعتقد أنّني كنت قلت لرجال الشّرطة إنّني عدت في السّابعة.

- فتفرّغتَ على التّو لمسائلك الرياضية؟

- نعم، إنْ جازَ قول ذلك.

كان إشيغامي يُجيب وهو يتساءل مع نفسه إن كان يوكاوا يسعى إلى معرفة ما إن كانت لديه حُجّة قوية. وإن كان الأمر كذلك فهو يعني أنّه يشتبه به في أمر ما.

- لم أسألك إن كانت لديك انشغالات أخرى غير الرّياضيات.

فضحك إشيغامي.

- لا، لا اهتمام آخر لي، والرّياضيات تكفيني.

- ألا تسعى أبداً للرّاحة والاسترخاء؟ كأن تقوم بجولة في السّيارة مثلاً، سأل يوكاوا وهو يقوم بحركة وكأنّه مُمسكٌ بمقود.

- حتّى لو كانت لدي الرّغبة، يستحيل عليّ ذلك، فأنا لا سيارة لي.

- لكن لك رخصة قيادة.

- وهل ستُفاجأ إن قلت لك لا؟

- كلا. لكن حتى لو كنت كثير الأشغال بإمكانك أن تعثر على وقت لأخذِ دروس في القيادة.

- عندما كنت قرّرت مغادرة الجامعة، اجتزتُ امتحان القيادة بسرعة مفرطة. كنت أتصوّر أنّ من شأن ذلك أن يُساعدني في الحصول على عمل، لكنّ الحقّ أنّه لم يُفدني في شيء. ثمّ توقّف ونظر إلى وجه يوكاوا من الجانب، وواصل قائلاً: كنتَ تُريد التأكّد من أنّني أعرف القيادة؟

أطرف رجل الفيزياء برموشه كما لو أنّه مُفاجأ ممّا سمع.

- لا، لماذا تقول هذا؟

- حصل لدي الانطباع بذلك.

- لم تكن لي نيّة بعينها. قلت إنّك ربّما تكون تُحبّ قيادة السيارات، كما أنّني كنت أرغب في الحديث عن شيء آخر غير الرّياضيات.

- الرّياضيات وهذه الجريمة، تُريد أن تقول.

فاجأه يوكاوا برفعه عقيرته بالضّحك، بينما كان هو قد تحدّث بنبرة تهكّميّة.

- أنت على حقّ تماماً.

توقّفا تحت تسقيف الجسر. كان رجل ذو شعر أبيض يطبخ شيئاً في آنية موضوعة على مِدفأ، وقد وُضعت قنينة كحول إلى جانبه، بينما كان مُتشرّدون آخرون يتجوّلون في الجوار.

- حسن، سأتركك. أعذرني على مُحادثتك في أمور مُزعجة، قال يوكاوا وقد أدركا أعلى سلّم الجسر.

- أخبِر المفتّش كوساناغي بأسفي على عدم استطاعتي مُساعدته وعلى عدم قدرتي على التّعاون معه.

- لا حاجة لك بالاعتذار. أتسمح لي بأن آتي لزيارتك ذات يوم؟

- بالطّبع، لكن...

- سنتحدّث عن الرّياضيات ونتناول كأساً...

- ألن يدور حديثنا بالأحرى عن هذه الجريمة وعن الرّياضيات؟

رفع يوكاوا كتفيه وحكّ أنفه.

- قد لا يخلو الأمر من ذلك. وبالمناسبة، لديّ فكرة عن مسألة رياضية جديدة يُمكنك أن تُفكّر فيها إن سمح لك وقتك.

- ما هي؟

- ما الأصعب: وضع مسألة لا يُمكن لأحدٍ حلّها أم حلّ هذه المسألة؟ مع افتراض أنّ الإجابة موجودة حتماً. ألا ترى هذه الفكرة مهمّة؟

- مهمّة جدّاً، أجاب إشيغامي وهو ينظر إلى صديقه. سأُفكّر في الأمر.

هزّ يوكاوا رأسه وأدار له ظهره.

9

كانت زُجاجة النّبيذ قد نفدَت عندما أنهيا تناول طبق جراد البحر. رشفت ياسوكو آخر ما تبقّى في كأسها وأطلقت تنهيدة صغيرة. هي لا تتذكّر متى كانت آخر مرّة تناولت فيها وجبة إيطالية.

- أتريدين شرب شيء آخر؟ سأل كودو الذي اكتسى وجهه بعضُ الحمرة.

- لا شكراً، لكن ربّما كانت لكَ أنت رغبةٌ في ذلك.

- لا، لا داعي. قد أتناول بعض التّحلية، أجاب مُتبسّماً وهو يمسح شفتيه بمنديله.

غالباً ما كان كودو وياسوكو يتعشّيان معاً في مطعم إيطاليّ أو فرنسيّ عندما كانت بعد مُستخدَمَةً في الحانة، لكنّ هذه هي المرّة الأولى التي يكتفي فيها كودو بزجاجة نبيذ واحدة.

- يبدو أنّكَ ما عدت تشربُ بمقدار ما كنتَ تفعل من قبل.

جعلته هذه الملاحظة يَهيم بذهنه مُفكّراً.

- أنتِ على حقّ. صرتُ أشرب أقلّ قليلاً ممّا مضى. يبدو أنّني بدأت أشيخ، قال وهو يهزّ رأسه.

- هكذا أحسن. عليكَ الانتباه لصحّتكَ.

- شكراً لكِ، أجاب ضاحكاً.

كان كودو قد دعاها في اليوم نفسه فتساءلت إن كان عليها قبول دعوته. كان تردّدها ناتجاً بطبيعة الحال عن الوضعية التي تعيشها، إذ لم يكُن الوقت مناسباً أن تقبل مُنشرحةً دعوة للعشاء. كما أنّها كانت تشعر بالذّنب تجاه ميساتو التي تخاف التّحقيق البوليسيّ أكثر ممّا تخافه هي، فضلاً عن انشغالها بموضوع إشيغامي الذي يُساعدها من دون قيد أو شرط على طمسِ آثار الجريمة.

بيد أنّه كان من الضّروريّ، من جهة ثانية، أن تتصرّف بطريقة طبيعية الآن، وما كان لرفضِ دعوةٍ للعشاء يُقدّمها لها زبون قديم مخلص أن يكون «طبيعياً» بالنّسبة إلى امرأة سبق لها أن اشتغلت في حانة. كان مُمكناً أن تنقدح في ذهن سايوكو بدايةٌ للشّك في براءتها إن كانت علمت أنّ ياسوكو رفضت دعوة كودو.

غير أنّها انتبهت، مع ذلك، إلى أنّ تبريراتها لم تكن تسير إلّا في اتّجاه واحد. إنّ السّبب الأهمّ، من دون منازع، الذي قادها إلى قبول الدّعوة هو رغبتها في أن تراه.

لم تكن ياسوكو تدري إن كانت مُغرَمَة أم لا، فهي قبل أن تراه المرّة الفائتة لم تكن تكاد تُفكّر فيه. وحقيقة أمرها الآن على الأرجح أنّها تشعر نحوه بتعاطف، لكن لا شيء أكثر من ذلك.

والحال أنّه ليس بإمكانها أن تنفي أنّها بعد قبولها الدّعوة شعَرَت بإثارة هيّجت لديها شعوراً قريباً من حالة الاضطراب التي عادة ما تنتاب امرأة قبل الذّهاب إلى موعد ضربته لشخص عزيزٍ عليها. شعرت أنّ حرارتها أكثر ارتفاعاً ممّا تكون في العادة، وكان بلبالها من القوة حتّى إنّها طلبت من سايوكو الإذن بالانصراف أبكر قليلاً ليتسنّى لها إعداد نفسها لموعدها.

لقد كان لهذا الاضطراب ربّما ارتباطٌ برغبتها في الهروب من

وضعيتها ولو مُؤقّتاً، ومن الضّغطِ الذي يخنقها، وبالرّغبة في نسيان ما يُوترها. أم أنّ ذلك علامة على أنّ غريزة الأنثى فيها قد استيقظت بعدما خملَت مدّة طويلة؟

شيء واحد مُؤكّد هو أنّها لم تندَم على هذا العشاء. فقد مكّنها من أن تترك جانباً ضميرها المؤنّب وأن تقضي لحظة سعيدة لأوّل مرّة منذ زمن طويل.

- وما الذي تنوين تقديمه عشاءً لابنتك هذا المساء؟ سألها كودو وهو يَرشف من قهوته.

- تركتُ لها رسالة قلتُ لها فيها أن تطلب ما تشاء، وأنا على يقين أنّها ستطلب بيتزا، فهي تعشقها.

- هكذا إذاً! يا للمسكينة! تطلب بيتزا بينما نأكل نحن أطايب لها قيمتها.

- أنا متأكّدة أنّها تُفضّل تناول بيتزا وهي تُشاهد التّلفزيون على أنّ تتعشّى في مطعم مثل هذا. هي لا تُحبّ الأماكن التي يسودها التّكلّف.

أقرّ كودو كلامها برأسه وهو يعقد حاجبيه ويحكّ أحد منخريه.

- أنتِ محقّة بلا شكّ. ما كان لميساتو أن تكون على سجيّتها وتتلذّذ بوجبتها وهي تجلس إلى المائدة نفسها مع رجل لا تعرفه. الأمر إذاً مُؤجّل إلى فرصة قادمة، وسيكون بإمكاننا أن نذهب إلى مطعم للسوشي يخدم فيه الزّبائن أنفسهم بأنفسهم.

- شكراً لك، فأنت من طيبتك تفكّر فيها.

- هذا طبيعيّ. أنا أحبّ أن أُقابلها لأنّها ابنتكِ.

أنهى قهوته ناظراً إلى ياسوكو من أعلى.

كان قال لها عندما هاتفها إنّه سيكون سعيداً إن أتَت برفقة

ابنتها. وكان قالَ ذلك بنبرة بدت جادّة في مسمع ياسوكو، فابتهجت لذلك.

هي لم تكُن قد تصوّرت لحظة واحدة أن تأتي لموعده مصحوبة بميساتو، ولم تكن تكذب عندما قالت إنّ ابنتها لا تُحبّ هذا الضّرب من المطاعم، لكنّها كانت تحرص أشدّ ما تحرص على تحاشي تعريضها للقاءات لن يكون من ورائها طائل حتّى الآن. كما أنّ ياسوكو لم تكُن متأكّدة من أنّ ميساتو ستفلح في قمع اضطرابها إن انساق الحديث، من دون نية مُسبقة، إلى جريمة القتل. هذا فضلاً عن أنّها لم تكن تتمنّى أن تراها ابنتُها تتصرّف مع كودو وكأنّها امرأة.

- وأنتَ، أليس لك مشكل في أن تتناول عشاءَك خارج البيت؟

- أنا... قال كودو وقد اتّكأ بمرفقيه على المائدة بعد أن وضع عليها فنجان قهوته. أنا دعوتكِ للعشاء هذا المساء تحديداً كي أحدّثك في هذا.

تفرّست فيه ياسوكو مُبلبلة.

- أنا في الواقع وحيدٌ الآن.

لم تستطِعْ ياسوكو التّحكّم في صرخة مُباغتة، وجحظت عيناها.

- أُصيبت زوجتي بسرطان البنكرياس فأُجريت لها عملية، لكن الوقت كان قد فات فماتت الصّيف الفائت. كانت شابّة وقد مرّ كلّ شيء بسرعة، بسرعة فائقة.

لم تستطِعْ ياسوكو تصديق ما سمعته لتوّها، ربّما لأنّه كان قد تحدّث بطريقة لا توتّر فيها. قضَت لحظات تتفرّس فيه، مندهشة.

- أصوابٌ ما تقول؟ نجَحَت في الأخير أن تسأل.

- لو كنتُ أمزح لكانت مزحة مُقزّزة، أجاب مع ابتسامة.

- أجل، بالطّبع. معذرة، قالت وهي تُطرق برأسها.

مرَّرَت لسانها على شفتيها وقالت:

- أوه... تعازيَّ الصّادقة. من المفروض أنّ الأمر كان رهيباً.

- نعم، لم يكن ما حصل سهلاً. لكن، أتدرين! لقد حصل كلّ شيء بسرعة فائقة. ذهبت زوجتي لتستشير الطّبيب بعد أن أحسّت بألم في ظهرها، فاستدعاني وأخبرني بسبب معاناتها. دخلت المستشفى وأجروا لها عملية ولم تستعِدْ عافيتها بعدها... كان الأمر شبيهاً ببساط آليّ للعدو فمرّت الأيام كأنّها كابوس، ثمّ ماتت. وأنا لا أدري إن كانت قد تبيَّنَت سبب مُعاناتها.

صمَتَ وشَرِبَ جرعة ماء.

مكتبة
t.me/t_pdf

- متى علمتَ أنّها مريضة؟

فكّر كودو مُميلاً رأسه جانباً.

- ستُنهي السّنتين في شهر ديسمبر المقبل.

- كنت عندها ما زلت أشتغلُ في حانة ماريان. كنتَ غالباً ما ترتادها.

رفع كودو كتفيه مُصدِراً بسمة.

- لم يكُن يليقُ أن أُحدّثكِ حينها عن مرضها، فقد جرت العادة ألّا نذهب إلى الحانة مستمتعين مُخلّفين الزّوجة في البيت تُحتضر.

تضرّجت ياسوكو ولم تعرف ما تقول. عادت إلى ذاكرتها بسمة كودو لمّا كان يحلّ بالحانة.

- يُمكنني القولُ، دفاعاً عن نفسي، إنّني كنت أعيش لحظات عسيرة فآتي بحثاً عن بعض التّسرية بالقرب منكِ.

عقد حاجبيه ومرّر أصابعه في شعره، بينما ظلّت ياسوكو

صامتة. تذكرّت يومها الأخير بالحانة عندما كان كودو قد سلّمها أُضمومة ورد مُتمنّياً لها حظّاً سعيداً فيما هي مُقبلة عليه.

ما طبيعة المشاعر التي كانت تتلبّسه آنئذٍ؟ كان يعيش لحظات رهيبة جدّاً بيد أنّه كان شجّعها على الانطلاق في عملها من جديد من دون أن يبدو عليه أثرٌ لتلك المشاعر.

- لقد اتّخذ حديثنا بالأحرى منحىً حزيناً! قال وهو يُخرج سيجارة ليُخفي أثر انزعاجه. وإن كنتُ قد حكيتُ لكِ قصّة زوجتي فلكي تفهمي أنّه ليس عليكِ أن تقلقي من موضوع حياتي العائلية.

- وابنكَ؟ ألن يجتاز هذه السّنة امتحانات دخول الجامعة؟

- يعيش مع أبوَي. منزلهما أقرب إلى الثّانوية، وما كنت أنا لأستطيع تهييء أكلٍ ساخن له في الأمسيات التي يستمرّ في العمل خلالها إلى ساعة متأخّرة. ناهيكِ عن أنّ أمّي سعيدة جدّاً باهتمامها بحفيدها.

- تعيش إذاً الآن وحيداً.

- أعود إلى البيت لأنام، لا غير.

- لم تقُل لي شيئاً من هذا في لقائنا السّابق.

- اعتقدت ألّا جدوى من ذلك. إنّما كنت أتيت لِما أحسستُ به من قلق عليكِ. بيدَ أنّني قرّرت أن أحكي لكِ كلّ شيء لعلمي بما ستُحدِثُه لديكِ دعوتي للعشاء من انشغالٍ بعائلتي.

- حسن... تمتمت ياسوكو وهي تُنكّس بصرها.

لقد فهمَت النّية الحقيقية لكودو، إذ يُريد ربط علاقة جدّية معها، وربّما كان يُفكّر في مستقبلٍ مُشتَرَك بينهما، وهذا ما يُفسّر رغبته في لقاء ميساتو.

صَحِبَها في التّاكسي إلى غاية مسكنها.

- أنا أشكركَ على دعوتك لي هذا اليوم، قالت وهي تنزل من السّيارة.

- أتأذَنين لي بإعادة الكرّة؟

انتظَرَت لحظةً قبل أن تُجيب بالإيجاب باسمة.

- حسن، إلى لقاء قريب إذاً! أبلِغي تحياتي لابنتك نيابة عنّي.

- إلى اللّقاء، أجابت ياسوكو.

قالت في سرّها إنّ نقل هذه التّحية إلى ميساتو ليس بالأمر الهين، لأنّها أخبَرَتها في الرّسالة التي تركتها لها أنّها ستتناول عشاءها مع سايوكو وزوجها.

تابَعَت التّاكسي ببصرها وهو يبتعد قبل أن تصعد السّلم. كانت ميساتو تدسّ ساقيها تحت الغطاء الصّوفيّ للمائدة المُدفئة وهي تُتابع التّلفزيون، وقد وُضعت علبة كارتونية للبيتزا أمامها.

- مساء الخير أمّاه! قالت ابنتها مُحيية وهي ترفع رأسها نحوها.

- مساء الخير! اعذريني لأنني تركتكِ وحدكِ.

لم تجرُؤ ياسوكو على النّظر في وجهها مُباشرة لأنّها تشعر في داخلها بذنبِ تناول العشاء رأساً لرأس مع رجل غريب.

- هل اتّصل بكِ هاتفياً؟

- عمّن تتحدّثين؟

- الجار... السّيد إشيغامي، قالت ميساتو مُوضّحةً بصوتٍ خافت.

كانت خلفية سؤالها هي اتّصالاته اليومية.

- أطفأتُ محمولي.

- آه! قالت ميساتو وقد بدا على مُحياها عدم الرّضا.

- هل طرأ أمرٌ غير منتَظر؟

- لا، أبداً... ثمّ صمَتَت ميساتو وألقَت نظرة على السّاعة الحائطية. لقد غادر السّيد إشيغامي شقّته مرّات، ورأيته يمشي في الشّارع. من المفروض أن يكون قد حدّثك عدّة مرّات.

- آه...

لم تتفاجأ ياسوكو ممّا سمعَت لأنّها فكّرت فيه أثناء تناولها عشاءها بصحبة كودو. كما أنّها كانت أيضاً منشغلة بتقاطع إشيغامي مع كودو في المطعم، حتّى وإن لم يكُن كودو قد رأى في إشيغامي إلّا زبوناً من زبائن بنتنيه العاديين.

ثمّ، لماذا كان جارها قد زار محلّ عملها في تلك السّاعة غير المعتادة؟ وفوق ذلك، برفقة صديق له، ما يُعدّ أمراً جديداً آخر.

هي متأكّدة من أنّ إشيغامي قد تعرّف كودو. وربّما كان قد خمّن أنّ ظهور الرّجل الذي سبَقَ له أن رافَقَها في التّاكسي ذاك اليوم يعني أمراً ما. أحبَطَتْها هذه الفكرة ففقَدَت كلّ رغبة في الإجابة عن مُكالمته التي لن تتأخّر.

ولحظة تعليقها معطفَها على مشجب مُتفكّرة في ذلك، دقّ جرس الباب. التقى بصر ياسوكو ببصر ابنتها التي انتفضَت من سماع صوت الجرس. ظنّت للحظة أنّ القادم إشيغامي، لكنّ الأمر لم يكن كذلك.

- مَن بالباب؟ سألت وهي تقترب من المدخل.

- معذرة على إزعاجكم في هذا الوقت المتأخّر. هل تأذنون لي لحظة؟ قال صوت رجلٍ لم تتعرّفه.

أفرجت البابَ من دون أن تُزيح سلسلة الأمان، فرأت الرّجل واقفاً أمامها. أخرج بطاقة الشّرطة من جيب سترته.

- اسمي كيشيتاني، من شرطة العاصمة. سبق لي أن زرتُكما من قَبل رفقة زميلي كوساناغي.

- آه...

تذكّرته ياسوكو، لكنّه اليوم بمفرده.

أغلَقَت الباب وغمَزَت بعينها لميساتو التي غادرت المائدة المدفئة وانسحَبَت من دون ضجيج إلى الغرفة الثانية. بعد أن تأكّدت ياسوكو من أنّ الباب المنزلق قد أُغلق بإحكام أزاحَت سلسلة الأمان وفتحت الباب من جديد.

- ما المطلوب منّي؟

أطرَقَ كيشيتاني برأسه.

- أُريد أن أطرح عليكِ بضعة أسئلة أخرى عن السينما...

عقدت ياسوكو حاجبيها بالرّغم منها. لقد سبقَ لإشيغامي أن حذّرها بأن الشرطة سيطرحون عليها أسئلة كثيرة في موضوع السينما، ولم يكن قد أخطأ في تحذيره.

- ما الذي تُريد معرفته بالضّبط؟ سبق لي أن أخبرتكم بكلّ شيء عن هذا الموضوع.

- نحن نعرف ذلك، لكنّني أتيتُ اليوم لأستلم منكم البطاقتين اللّتين احتفظتِ بهما.

- البطاقتان؟ تقصد تذكرتا السينما؟

- نعم. يبدو لي أنّ زميلي كان قد طلب منكما الاحتفاظ بهما بعناية، ذاك اليوم عندما كنتِ أريتنا إياهما.

- لحظة من فضلك.

فتحت دُرجاً من المكتبة حيث كانت قد وضعت التّذكرتين اللّتين كانت قد أخرجتهما من مطوي الفيلم أمام المفتّشين.

سلّمت البطاقتين لرجل الشّرطة فأمسَكَ بهما شاكراً وقد ارتدى قُفّازين أبيضين.

- هل عليّ أن أفهم من هذا أنّني المشتبَه بها الأولى؟

- أبداً، أجاب كيشيتاني مع إبداء حركة نفي من كفّه. تحقيقنا لا يتقدّم، وهو ما يُزعجنا. هذا هو السّبب الذي يجعلنا نُجهد نفسنا حالياً كي نُقصي من التّحقيق كلّ الأشخاص الذين يبدون لنا غير مشبوهين. لهذا الغرض نطلب منك هاتين البطاقتين.

- ستحتاجونهما في أيّ شيء؟

- لا يُمكنني أن أُقدّم لك تدقيقات في هذا الجانب، لكنّهما ستكونان ربّما مُفيدتين. وأهمّ شيء أن يكون بإمكانهما إثباتُ أنّك وابنتك كنتما قد ارتدتما السينما حقّاً... ألم تتذكّرا شيئاً بهذا الخصوص؟

- كلا، لا شيء أكثر ممّا قلته لكما يومئذٍ.

- هكذا إذاً! قال كيشيتاني مُتعجّباً وهو يمسح الغرفة ببصره. لا يزال الحال بارداً، أتستعملان دائماً مائدة مُدفئة في الشّتاء؟

- مائدة مُدفئة؟ نعم...

التفَتَت ياسوكو يحدوها الأمل في ألّا يكون المفتّش قد لاحظ ارتعاشها. هي مُتأكّدة من أنّه لم يتحدّث عن هذا عبثاً.

- هل يُمكنكِ إخباري بالمدّة التي استعملتم فيها هذه المائدة؟

- أوه... قد تكون أربع سنوات أو خمساً. لماذا تُريد معرفة ذلك؟

- ليس لسببٍ بعينه، أجاب وهو يُميل رأسه جانباً. كنت أودّ سؤالك... هذا المساء، هل خرجت من البيت بعد مُغادرتك عملك؟ لقد عدتِ إلى شقّتكِ متأخّرة جدّاً.

فاجأها سؤاله فتردّدت لحظة. استخلصت على الفور أنّ الشّرطي قد انتظرها أمام مسكنها، فاستطاع إذاً رؤيتها تترجّل من السّيارة.

من الأحسن تفادي الكذب.

- تعشّيت صُحبة شخص أعرفه.

سعَت إلى الاختصار في الحديث عن هذا الموضوع، لكنّ مُخاطبها لم يكتفِ بجوابها.

- عدتِ في تاكسي مع رجل، ما علاقتكِ به؟ أُحبّ أن تُجيبيني عن سُؤالي إن لم يكن في ذلك ما يُضايقكِ، قال مُفسّراً بادٍ عليه الانزعاج.

- أمِنَ الضّروري فعل ذلك؟

- إن لم يكُن فيه ما يُضايقك، كما قلتُ لك. أنا أعرف أنّ هذا سؤال له علاقة بخصوصياتك، لكنّني إن لم أطرحه آخذَني رئيسي. أنا أضمَن لكِ ألّا نُزعج هذا الشّخص، فهل ستُجيبين؟

تنهّدت ياسوكو بعمق.

- كنت رفقة السّيد كودو. كان غالباً ما يأتي إلى الحانة التي كنت أشتغل فيها من قبل، ولمّا عَلِمَ بما حصل قلق عليّ فأتى للقائي.

- ما وظيفته؟

- يُشرف على مطبعة، لكن لا علم لي بأكثر من ذلك.

- أتعرفين كيف يُمكننا الاتّصال به؟

عقدت ياسوكو حاجبيها وانتبه الشّرطي إلى ذلك فنكّس رأسه حائراً.

- لن نتّصل به إلّا إن رأينا لذلك فائدة. وتأكّدي أنّنا إن اتّصلنا به فَعَلْنا ذلك في سرية كاملة.

أخرجت هاتفها المحمول مُبدية انزعاجها وسلّمته رقم كودو مُسرعة. سجّله المفتّش على عجل.

واصل كيشيتاني سُؤالها عن كودو وقد ظهر عليه بعض الانزعاج، فحكَت له على غير سجيتها عن زيارته المباغتة التي سبق له أن قام بها لمحلّ بنتنتيه.

لمّا انصرف، أغلقت الباب وجلست على درجة المدخل. أحسّت بتعب شديد يغزو أعصابها.

- يبدو أنّ لهم شكوكاً حول مسألة ارتيادنا السينما. كلّ شيء يمرّ وفق ما تنبّأ به السّيد إشيغامي. هذا الأستاذ قوي حقّاً!

- أجل، ما تقولينه صحيح، أجابت أمّها وهي تنتصب واقفة.

عادَت إلى الغرفة وهي تُمرّر كفّها في شعرها.

- ألَم تقولي في رسالتك إنّك ستتناولين عشاءَك مع مالكي مطعم بنتنتيه؟

رأت ياسوكو مُندهشة ابنتها تُكشّر بوجهها.

- سمعتِ ما قلناه؟

- بالطّبع.

- هكذا...

أدخَلَت ياسوكو ساقيها تحت الغطاء الصّوفيّ للمائدة المُدفئة، فتذكّرت أنّ المفتّش تحدّث عنها.

- لماذا ذهبتِ للعشاء صُحبتَه في لحظة مثل هذه؟

- لم يكُن بوسعي الرّفض. أياديه البيضاء عليّ كثيرة منذ زمان، وقد مرّ قبل أيام إلى المحلّ لأنّ القلق انتابه حيالي. كان عليّ أن أُخبركِ.

- أنا لا أُؤاخذكِ بشيء، لكن...

في اللّحظة نفسها سمعا باب الشّقة المُجاورة يُغلق، ثمّ وقعَ خطوات تمشي في اتّجاه السّلم. تبادَلا نظرة.

- شغّلي هاتفك المحمول، قالت ميساتو.

- إنّه مُشغّل، أجابت أمّها.

لحظات بعد ذلك رنّ الهاتف.

كان إشيغامي في المخدع الهاتفيّ المعهود نفسه، وهي المرّة الثّالثة التي يزوره فيها منذ بدأ المساء. كان محمول ياسوكو مُغلقاً في المرّتين الماضيتين، ما لم يسبق له أن حصل من قبل، فخشي أن يكون طرأ لها مشكل، لكنّ رنّة صوتها أعادته إلى اطمئنانه.

لقد سمِعَ صوت جرس باب جارتيه في ساعة متأخّرة من هذا المساء، ولم يُفاجئه أن كان الطّارق شرطياً. أخبرته ياسوكو أنّه أتى بحثاً عن بقيّتي تذكِرَتي السينما، فخمّن إشيغامي ما دعاه إلى ذلك: يبدو مُؤكّداً أنّ الشّرطة تُريد مُقارنتهما بالبقيتين اللّتين تحتفظ بهما دار السينما. ولن يتردّد رجال الشّرطة في مُقارنة البصمات إن عثروا عليها، فإنْ كانت بقيتا التّذكرتين الموجودتين في السينما تحمل بصمات ياسوكو سيكون ذلك دليلاً على أنّها وابنتها ذهبتا إلى السينما، أمّا إن كان الأمر غير كذلك فستزداد شُبهات الشّرطة فيهما.

المفتّش سألها أيضاً عن المائدة المُدفئة، قالت مُفسّرة، إلّا أنّ إشيغامي لم يستغرب ذلك.

- أتصوّر أنّهم قد تعرّفوا أداة الجريمة، قال شارحاً.

- أداة الجريمة؟

- الحبل الكهربائيّ للمائدة المُدفئة. ألم تستعمليه في خنقه؟

لم يتلقّ جواباً، فلربّما كانت ياسوكو تأبى التّفكير من جديد في لحظة خنقها لتوغاشي.

- تبقى من عملية الخنق، بالضّرورة، علامات على العنق، واصَلَ إشيغامي القول، مُفكّراً أنّ الوضوح واجبٌ الآن. لقد أضحت الشّرطة العلمية اليوم قادرة على أن تستنتج من هذه العلامات طبيعة الأداة المستعمَلَة في الجريمة.

- لهذا السّبب حدّثني عنها...

- أجل، على ما أعتقد. لكن لا تحملي همّ ذلك، فقد قمتُ بما يلزم في هذا الموضوع.

كان قد توقّع تحديد الشّرطة للأداة المستعمَلَة في الجريمة، لذلك كان قد أخذ حبل مائدة جارتيه إلى بيته وسلّمهما حبله. وضَعَ حبلهما في عمق درج، ومُصادفة كان الحبل الذي يستعمله هو مُختلفاً عن حبلهما، ولو كان المفتّش قد أبدى مزيداً من الاهتمام بالحبل لكان لاحَظَ الفرق.

- وما الذي سألكِ عنه أيضاً؟

- حسن... بدأت جملتها قبل أن تقطعها مُلتزمة الصّمت.

- آلو! سيّدة هناووكا؟

- أوه! معذرة.

- أتشعرين بشيء؟

- لا، لا عليك، أُحاول تذكّر أسئلته. لم يُحدّثني في شيء ذي طبيعة خاصّة. هو فقط أفهمني أنّهم إن وصلوا إلى دليل على أنّنا ذهبنا إلى السينما سنكون في حِلٍّ من أيّ شبهة.

- ألا ترين كيف يشتدّ اهتمامهم بالسينما؟ هو أمر طبيعيّ وقد وضعتُ خطّتي لهذه الغاية. لا ضرورة لأن ينتابكما الخوف.

- قولُكَ هذا يغمُرني طمأنينة.

حصل لإشيغامي انطباع بأنّ مصباحاً قد أُنير في عمق قلبه، وشعَرَ أنّه يتحرّر من الضّغط الذي بات يسكنه آناء اللّيل وأطراف النّهار.

وربّما من أجل هذا حَدَته الرّغبة في أن يسألها عن الرّجل الآخر، هذا المجهولِ الذي دخلَ المطعمَ عندما كان هو فيه برفقة يوكاوا. كان إشيغامي على علمٍ أنّه صحبها في التّاكسي ذاك المساء، وقد رآه من نافذته.

- لا شيء آخر أُبلغكَ به، لكن بالنّسبة إليكَ أنت، هل تناهى إلى علمكَ شيء؟ سألت ياسوكو وهي تُفكّر في أنّه لا شيء لديه يُخبرها به.

- كلّا، لا شيء ذا أهمية. واصلي حياتك بطريقة طبيعية. ستتواصل زيارات رجال الشّرطة لبيتك لزمنٍ معين، لكنّ الأهمّ أن تُحافظي على هدوئك.

- أجل، أنا على علم بذلك.

- حسن. أبلغي سلامي لابنتك. طابَت ليلتك.

وضع إشيغامي السّماعة بعد أن سمعها تتمنّى له أمسية طيبة، فلفظت الآلة بطاقته.

بدت الخيبة على محيّا ماميا وهو يستمع إلى تقرير كوساناغي. كان يتأرجح في الكرسيّ وهو يُمسّد كتفيه.

- ما يعني أنّ اللّقاء الجديد الذي تمّ بين هذا الكودو وياسوكو هناووكا كان بعد حصول الجريمة. هل هذا مُؤكّد؟

- نعم، إن صدّقنا ما قاله مالكًا محلّ بنتنتيه، ولا شيء يدفعني

للشّك في شهادتهما. فمفاجأة ياسوكو من زيارته، بحسب ما صرّحا به، كانت بقدر مُفاجأتهما نفسها. ومن الممكن طبعاً أن تكون قد مثّلت أنّها مُفاجأة.

- علينا ألّا ننسى أنّها كانت تشتغل في حانة، فهي بالضّرورة تعرف كيف تتظاهر، قال ماميا وهو يرفع بصره في اتّجاه كوساناغي. لنبدأ الآن بالتّحقيق قليلاً في أمر هذا الكودو. يبدو غريباً قرارُهُ الظّهورَ بعد حصول الجريمة.

- أجل، لكن ياسوكو هناووكا تُؤكّد أنّه عاد للاتّصال بها تحديداً لأنّه سمع بالجريمة. لقاؤهما إذاً ليس مُصادفة، قال كيشيتاني بجرأة، وهو يقف بجانب كوساناغي. فلو كانا مُتواطئين لما جازَفا باللّقاء، بَلْهَ أن يتعشّيا معاً.

- ويُمكن لهذا أن يُؤوّل أيضاً بأنّه تمويه ذو جُرأة خاصّة.

رفع كيشاتاني حاجبيه وهو يسمع كلمات كوساناغي.

- أجل، ربّما.

- هل علينا سُؤال هذا الكودو؟ سأل كوساناغي ماميا.

- لمَ لا؟ فإنْ كانت له صلة بالقضية ستَصدُر عنه أمور مُريبة. أجل، اسألاه.

ابتعد الرّجلان عن رئيسهما بعد أن تلقّيا هذا الأمر.

- اسمَع، كنت أُريد أن أُذكّرك أنّه ليس عليك أن تقول كلّ ما أقنعت به نفسَك أنت نفسُك، لأنّ المتّهمَين قد يستغلّانه، قال كوساناغي مُذكّراً زميله الشّاب.

- ما قصدكَ بهذا الكلام؟

- من الممكن أن تكون علاقة غرام قد جمعت بين كودو

وهناووكا منذ زمان، وأنّهما احتفظا بعلاقتهما هذه سرّية، وأنّ ذلك ما قادهما إلى قرار قتل توغاشي معاً. وإن كانت علاقة العشق القائمة بينهما خفيّة على الجميع، فإنّ ذلك يغدو من بواعث الإعداد الممتاز للجريمة.

- ألا ترى أنّ الأمر لو كان كذلك لاستمرّا في إخفاء علاقتهما؟

- ليس ذلك مُؤكّداً. ويمكننا أيضاً أن نتخيَّل أنّهما فَهِما استحالة استمرارهما في إخفاء علاقتهما لما لا نهاية، فمكّنتهما الجريمة التي قد يكونا ارتكباها من مناسبة رائعة للتّظاهر بأنّهما يلتقيان من جديد.

أجاب كيشيتاني بالإيجاب بحركة من رأسه من دون أن يبدو عليه الاقتناعُ باستدلال زميله.

غادر الرّجلان مفوضية إدوغاوا واستقلّا سيارة كوساناغي.

- ترى الشّعبة العلمية أنّ من المحتمل أن تكون الجريمة قد ارتُكِبَت بحبلٍ كهربائيّ. وبتدقيق أكبر بحبل كهربائي مُغشّىً بالنّسيج، قال كيشيتاني وهو يُقفل حزام السّلامة.

- من نوع حبال آلات التّدفئة، أليس الأمر كذلك؟ كحبل مائدة مُدفئة مثلاً.

- سمعت أنّ أليافاً من الحبل الذي استُعملَ في الجريمة عُثر عليها في عنق الضّحية.

- وماذا بعد؟

- لقد رأيت حبل المائدة المُدفئة للسيّدة هناووكا، ويُمكنني أن أؤكّد لك أنّ حبلها ليس مُغشّىً بالنّسيج وإنّما بالبلاستيك.

- أجل، وماذا بعد؟

- هذا كلّ ما في الأمر.

- هناك آلات كهربائية أخرى غير المائدة المدفئة. ولا شيء يسمح بالقول إنّ الحبل المستعمَل في الجريمة هو حبل آلة كهربائية تستعملها يومياً. كان بإمكانها أن تأتي بحبلٍ من مكان آخر.

- هممم... صوّت كيشيتاني بصوتٍ لا حماس فيه.

كان رجلا الشّرطة قد قضيا أمسهما في مُراقبة ياسوكو هناووكا، بغاية التّأكّد ممّا إذا كان لها في محيطها شخص يُمكن أن يكون شريكها.

تبعاها بعد إنهائها عملها مع آمال عريضة تشبّثا بها عندما صعدت تاكسي كان يُوجد به رجل. رأَيَاهما بعد ذلك يدخلان مطعماً في حيّ شيودوم فانتظرا صابرَين خروجهما منه.

عندما غادرا المطعم استقلّا من جديد التّاكسي فتبعاه إلى أن توقّف أمام بناية سكن ياسوكو. لم ينزل الرّجل، فكلّف كوساناغي كيشيتاني بالذّهاب لاستجواب المشتبه بها بينما واصل هو تعقّب التّاكسي. ويبدو أنّ تعقّبه الرّجلَ مرّ من دون أن يفطن إليه أحد.

كان الرّجل يقطن بناية في حيّ أوزاكي، وقد علم كوساناغي أنّه يُسمّى كونياكي كودو.

كان رأي كوساناغي هو أنّ المرأة أعجزُ عن أن ترتكب الجريمة بمفردها. وإن كان لياسوكو هناووكا دخل في هذه الجريمة فمن المفروض أن يكون لها شريك رجل، عدا ألّا يكون لها فيها سوى دور ثانويّ. المهمّ أنّه لم يكن في إمكانها أن تتصرّف بمفردها.

هل كودو هو شريكها؟ لقد وبّخ كوساناغي زميله بوضوح على نفيه لذلك، لكنّه لا يتصوّر أنّ هذه الإمكانية قائمة. هو لديه الانطباع بأنّ هذه طريق خاطئة يسلكانها.

كان كوساناغي في الحقيقة يهتمّ بشيء آخر؛ فأمس مساءً، وبينما كان بصحبة زميله يُراقبان المطعم، رأى شخصاً لم يكن ينتظر أن يراه ثمّ.

مانابو يوكاوا برفقة أستاذ الرّياضيات، جار ياسوكو هناووكا.

10

بعد السّادسة بقليل دخلَت مرأبَ العمارة التّحت أرضي سيارةُ مرسيدس خضراء يعرف كوساناغي أنّها في ملكية كونياكي كودو، لأنّه زار المطبَعَة نهاراً. نهض من على مائدة المقهى حيث كان يُقيم المراقبة، قُبالة البناية، تاركاً القهوة الثّانية التي طلَبَها لتوّه كما هي لم يمسَسْها.

عَبَرَ الطّريق عَدْواً ودخل المرأب. كان الباب الرّئيس للعمارة ينفتح على الطّابق السّفلي، بينما كان بالمرأب باب آخر، لا ينفتح هو أيضاً إلّا بمفتاح. وهكذا فإنّ قاطن العمارة الذي يعود إلى حال سبيله بالسّيارة قد يستعمل الباب الموجود بالمرأب ليلتحق بشقّته. سعى كوساناغي إلى اللّحاق بكودو قبل أن يصعد إلى بيته، لأنّه لا يُريد أن يقرع باب الشّقة ويهبَ كودو وقتاً كافياً للتّساؤل عن السّبب الذي دعا الشّرطة لزيارته.

نجح في تخطيطه. عندما أدرك كودو الباب، مُرتدياً بذلته، حاملاً في يده حافظة وثائقه، اتّكأ الشّرطي بكفّه على الجدار ليستعيد أنفاسه. بعد ذلك أتى خلف كودو وخاطبه لحظة إدخاله المفتاح في قفل الباب.

- السّيد كودو؟

تميّز وجه كودو من المفاجأة وسحَبَ المفتاح من القفل. التفَتَ ورأى كوساناغي فبَدَت على محياه أمارات الارتياب.

- نعم، أنا كودو... أجاب وهو يشمل المفتّش بنظرة فاحصة.

أخرَجَ كوساناغي بطاقة الشّرطة وعرضها أمامه بسرعة.

- معذرة على الإزعاج. أنا رجل شرطة، فهلّا سمحت لي بقليل من وقتك؟

- الشّرطة... أنت مُفتّش؟ سأل كودو وهو يخفض من نبرة صوته ويتفحصّه بنظره سابرة.

أجاب كوساناغي برأسه إيجاباً.

- نعم، وكنت أودّ أن أطرح عليكَ بضعة أسئلة بخصوص ياسوكو هناووكا.

كان ينتابه الفضول لمعرفة ما سيكون ردّ فعل كودو؛ فلو بدا مندهشاً وأعرَبَ عن مفاجأته، لأثار بذلك ارتياب المفتّش، لأنّ كودو على علم بالجريمة.

ميّز كودو وجهه قليلاً قبل أنّ يرفع ذقنه.

- حسن، تصحبني إلى شقّتي أم تُفضّل الذّهاب إلى مقهىً؟

- أُفضّل بيتك إن لم يكُن لديك مانع.

- لا يُزعجني ذلك في شيء، لكنّني أرجو أن تغفر لي فوضى شقّتي، أجاب كودو وهو يُعيد المفتاح إلى القفل.

لم تكن الشّقة غير مرتّبة، بيد أنّها كانت تبدو غير مأهولة، ليست معمورة إلّا بالقليل من الأثاث، ربّما بسبب وجود خزانات كثيرة. أجلَسَه كودو في الأريكة على بُعدِ مقعدين من غرفة الاستقبال.

- أعدّ لك شاياً؟ قال من دون أن يتجرّد من سترته.

- لا، شكراً، لا داعي لذلك فأنا لن أتأخّر في الانصراف.

- حسن، قال كودو مُتوجّهاً مع ذلك إلى المطبخ وعادَ منه حاملاً صينية فيها آنية شاي بارد وكأسان.

- أعذرني على تدخّلي في شؤونك، لكن هل تعيش مع عائلة؟

- ماتت زوجتي السّنة الماضية. لي ابن لكنّه يعيش مع أبويّ الآن، قال كودو مُفسّراً بنبرة لا مُبالية.

- مفهوم. أنت تعيش إذاً وحيداً؟

- تماماً، أجاب كودو بوجهٍ أكثر استرخاء.

ملأ الكأسين ووضع أحدهما أمام كوساناغي.

- تُريد مُحادثتي في شأن السّيد توغاشي؟

أوقف كوساناغي يده التي كانت تمتدّ إلى الكأس. إن كان مُخاطبه مستعدّاً لدخول صلب الموضوع رأساً فلمَ التّسويف.

- بالضّبط، أريد أن أسألك عن اغتيال الزّوج السّابق لياسوكو هناووكا.

- هي لا دَخْلَ لها في هذه القضية.

- أترى الأمر كذلك؟

- كانا مُطلّقين لا اتّصالَ بينهما، فما داعيها لقتله؟

- نحن في العمق مُتّفقون معك.

- وإذاً؟

- أنت تعلم أنّ الزّيجات ليست كلّها على وتيرة واحدة، ويحدث في الغالب الأعمّ أن تأبى الحقائقُ العامة الانطباقَ على الحالات الخاصّة. لذلك فإنّ الطّلاق لا يُشطّب على كلّ شيء بين عشية وضُحاها، ولا يكفّ النّاس دائماً عن التّلاقي بعد الطّلاق.

الطّلاق لا يجعل من الزّوجين السّابقين شخصين غريبين عن بعضهما. ولو كان الأمر كذلك لقلّ عملُنا نحن بقدرٍ وافر. الحقيقة تختلف عن ذلك، وغالباً ما يتمنّى أحد المطلّقين ألّا تعود له أيّ علاقة بالطّرف الثّاني، لكنّ هذا غالباً ما تكون رغبته عكس ذلك، حتّى بعد أن يتمّ إعلان الطّلاق.

- ومع ذلك فقد أخبرتني أنّ علاقتها كانت منبتّة بتوغاشي بعد الطّلاق، قال كودو بعناد وهو يرميه بنظرة تدلّ على مُعارضته.

- هل حدّثتكَ عن الجريمة؟

- أجل، وكنت قد ذهبت لزيارتها بسبب قلقي عليها من هذا الموضوع.

أسرّ كوساناغي لنفسه بأنّ كلام كودو يتساوقُ مع كلام ياسوكو هناووكا.

- تُريد أن تقول إنّك كنت قلقاً عليها حتّى قبل الجريمة؟

ظهَرَت ثنية عمودية في جبهة كودو.

- أنا لا أدري ما قصدكَ من قولكَ «قلقاً عليها». فأنتَ إنْ كنتَ هنا فلأنّك تعرف أشياء عن علاقتنا على ما أعتقد. لقد كنتُ أحد المرتادين المواظبين للحانة التي كانت تشتغل فيها ياسوكو منذ زمان، وقد التقيتُ بتوغاشي عندما كان لا يزال زوجها. لذلك كنتُ أعرف اسمه وتعرّفت إلى صورته عندما قُتل فذهبتُ لزيارة ياسوكو لأنّني انشغلتُ عليها.

- أنا على علم بأنّك كنت مُعتاداً الذّهابَ إلى الحانة التي كانت تشتغل فيها، لكن هل أنتَ متأكّد من أنّ ردّ فعلك عندما سمعت بالجريمة كان عادياً؟ ألا تُدير مُقاولة؟ أليس من المفروض إذاً أن تكون أشغالك كثيرة؟

كانت نبرة كوساناغي تتغيا الاستفزاز. فلأنّه رجل شرطة، كان يشعر باستمرار أنّ عليه أن يُعبّر بتلك الطّريقة، غير أنّه كان في عمقه يرفض هذا الضّربَ من التّعبير.

حقّقت طريقته في الحديث النّتيجة المرجوة، لأنّ وجه كودو تضرّج.

- كنتَ قلتَ إنّك تُريد محادثتي في شأن ياسوكو هناووكا، لكنّك لا تهتمّ إلّا بي أنا، فهل أنا ضمن دائرة المشتَبَه بهم؟

أصدر كوساناغي بسمة وآتى حركة نفي.

- كلّا. أنا أعتذر إن كنتُ جرحتُكَ. لكن يبدو أنّك على معرفة وثيقة بها فأردتُ أيضاً أن أطرح عليك هذه الأسئلة.

غدت نبرة صوت المفتّش أليفة، لكن كودو لم يتخلَّ عن نظرته قليلة الودّ المسلّطة على كوساناغي. تنهّد بعمق وهزّ رأسه.

- حسن. بما أنّني لا رغبة لي في مواصلة الخضوع لأسئلتكَ، سأشرحُ لك الوضعية. أنا مُغرمٌ بها، مُتيّم. وعندما سمعتُ خبر الجريمة قلتُ إنّها مُناسبة سانحة كي أعود للاتّصال بها. أيُسعِدُكَ هذا؟ هل تُصدّقني الآن؟

ابتسم كوساناغي مُنزعجاً، وكانت بسمته حقيقية وليست البتّة جزءاً من تكتيك ما.

- لا تغضب.

- ومع ذلك، أفليس هذا ما كنتَ تريد معرفته؟

- هدفنا الوحيد هو معرفة مَن هي ياسوكو هناووكا.

- أنا أفهم. لكن ما السّبب الذي يجعلكم تشكّون فيها؟ سأل وهو يُميل رأسه جانباً.

- كان توغاشي قد سعى إلى لقائها مُباشرة قبل موته. ومن المحتمل أن تكون هناووكا هي آخر شخص قابَلَه قبل مقتله.

لم يكن كوساناغي قد رأى بأساً في إخباره بذلك.

- لذلك فهي القاتلة من وجهة نظركم؟ الشّرطة تتّبع دائماً المسلك الأسهل، أليس كذلك؟ قال كودو بصوت مُرتعش وهو يرفع كتفيه.

- أنا آسف على ما نتّصف به من فقر في الخيال. ياسوكو هناووكا ليست الوحيدة التي نشتبه بها، وليس لنا، على أيّ حال، وإلى حدود هذه اللّحظة، أيُّ سبب معقول كي نعدل عن ذلك. فحتّى لو لم تكن هي القاتلة، فلربّما كان المجرم شخصاً يحوم حولها.

- يحوم حولها؟ كرّر كودو وهو يعقد حاجبيه قبل أن يبدأ في رفع رأسه كما لو كان قد فكّر لتوّه في أمر. آه، أنا أفهم...

- ماذا تفهم؟

- ترى الشّرطة أنّ من الممكن أن تكون ياسوكو هناووكا قد طلبت من شخص ما قتل زوجها السّابق، ولهذا السّبب أتيتم لزيارتي. هل عليَّ أن أفهم أنّني المرشّح الأول في لائحتكم؟

- أنت مُخطئ إن كنتَ تعتقد أنّنا نؤمن بهذا... أجاب كوساناغي تاركاً الشّك يحوم عَمْداً، لأنّه يرغب في أن يُشاركه كودو أفكاره حول هذه الإمكانية.

- في هذه الحال يجب أن تكون لائحتكم طويلة ولا يزال أمامكم عمل كثير للإنجاز. الزّبائن يُحبّونها. فجمال مثل جمالها... أنا لا أتحدّث عن الماضي فحسب، لقد أخبرني آل يونيزاوا أنّ لهما زبوناً يأتي محلّهما ليس إلّا لرؤيتها، فلماذا لا تهتمّون بهذا النّوع من الأشخاص؟

- لدينا النّية للقيام بذلك، لكن شريطة أن نعرف مَن هم. هل تعرف بعضهم؟

- كلّا، كما أنّ من مبادئي عدمُ التّبليغ عن أيّ كان، قال وهو يؤتي حركة حسم بكفّه. وحتّى لو ذهبتم للقائهم جميعاً فإنّ ذلك لن ينفعكم في شيء. هي ليست من النّوع الذي بإمكانه أن يطلب من أحدٍ قتلَ شخص من أجلها. ليست بالشّريرة بما يكفي ولا بالغبية لتقوم بذلك. ودعني أقول لك إنّني لن أكون بهذا القدر من البلاهة كي أغتال شخصاً حتّى لو كانت المرأة التي أُحبّها هي التي طلبت منّي ذلك. السّيد كوساناغي -أليس هذا هو اسمك؟- أخشى أن تكون قد أضعتَ وقتك بالمجيء لرؤيتي، واصَلَ القول مُتحدّثاً بسرعة شديدة.

انتصب واقفاً كما ليدعو المفتّش للانصراف. فعل كوساناغي مثله لكنّه احتفظ بكرّاسته الصّغيرة في يده.

- هل قمتَ بعملك يوم 10 مارس كما تقوم به كلّ يوم؟

استدارت عينا كودو كما لو كان يشكّ فيما سمع، ثمّ اتّخذ نظره صبغة مُهدِّدة.

- تسألني إن كانت لي حجّة؟

- أجل، الأمر كذلك.

لم يكن كوساناغي يرى ضرورةً للمحافظة على المظاهر ما دام كودو قد غضب سلفاً.

- لحظة، قال وهو يُخرج من محفظة أجندة ضخمة فتحَها وتصفّحها لحظات. لم أُسجّل شيئاً ذا طبيعة خاصّة، من المفروض إذاً أن يكون يوماً كباقي الأيام. من المرجّح أن أكون قد غادرتُ

المكتب حوالي السّاعة السّادسة، وإن كنتَ لا تُصدّقني اسأل مستخدميّ، قال مُتنهّداً.

- ثمّ فعلت ماذا؟

- بما أنّني لا أرى شيئاً في أجندتي فقد كنت عدتُ بالتأكيد إلى بيتي، فتناولت بعض الطّعام ونمت. أنا أعيش وحيداً لذلك لا شهودَ لي على ما أقول.

- قُمْ بمجهود إضافي! نحن نسعى إلى إلغاء بعض الأسماء من لائحة المشتَبَه بهم.

فحص كودو من جديد أجندته من دون أن يُكلّف نفسه إخفاء انزعاجه.

- ألم تقل يوم 10؟ في هذا اليوم نفسه... تمتم كما لو كان يُحدّث نفسه.

- في هذا اليوم حصل ماذا؟

- ذهبتُ لزيارة زبون، في آخر النّهار... ودعاني إلى مطعم.

- تتذكّر الوقت؟

- لا يُمكنني أن أُخبرك بشيء مُدقّق. قد نكون مكثنا فيه إلى ما يُقارب التّاسعة. بعد ذلك قفلتُ عائداً إلى بيتي. هي ذي بطاقة زيارة هذا الزّبون، قال وهو يستخلصها من الأجندة.

سلّمها للمفتّش فقرأ فيها اسم مكتب للتّصميم.

- أشكرك، قال كوساناغي قبل أن يتوجّه صوب باب المدخل.

- سيدي... ناداه كودو في أثناء ارتدائه حذاءَه. كم تنوون الاستمرار في مراقبتها؟

نظر إليه كوساناغي من دون أن يتلفّظ بشيء.

- هي تحت المراقبة، وإلّا ما كنتم لتعثروا عليّ. أتصور أنّك تعقّبتني، واصَلَ القول وهو ينظُر إليه شزراً.

حكّ المفتّش رأسه.

- أنت تُحرجني.

- أجب عن سؤالي. إلى متى ستستمرّون في مراقبتها؟

تنهّد كوساناغي بدوره، وألقى نظرة على مُخاطبه من دون تبسّم.

- سنستمرّ في مراقبتها ما دمنا نرى داعياً لذلك، بطبيعة الحال.

أدار ظهره لكودو الذي بدا على وشك قول شيء، وفتح باب المدخل وهو يُودّعه.

استقلّ تاكسي في الشّارع وطلب من السّائق قيادته إلى جامعة تايتو.

بعد تأكّده من أنّ السّائق فهم ما طلبه منه وانتهج الاتّجاه الصّحيح، فتح كرّاسته.

استرجع مُحادثته مع كودو وهو يُعيد قراءة النّقط التي سجّلها. لا بدّ من التّثبّت من حجّته، لكنّ فكرته عنه كانت قد تبلورت سلفاً.

كودو بريء، وقد تحدّث بالحقيقة.

وكودو من جهة أخرى متيّم حقّاً بياسوكو هناووكا. كما أنّه لم يُخطئ عندما أكّد أنّه كان بإمكانها الاستعانة بشخص لارتكاب الجريمة.

كان المدخل الرّئيس للجامعة مُقفلاً. ثمّة أضواء هنا وهناك في البناءات، لكن الجامعة كانت تبدو حزينة وقد غرق جزء منها في العتمة. دخل من الباب الجانبيّ وتوجّه نحو مسكن الحارس.

- لي موعد مع الأستاذ يوكاوا في المختبر رقم 13، صرّح رغم

أنّه لم يكُن يقول الحقّ. كان الرّواق فارغاً، لكنّ النور يخرج من الخَصاص السّفليّ للأبواب. رأى كوساناغي أساتذة وطلّاباً مُنهمكين في أشغالهم، فتذكّر أنّ صديقه أخبره أنّه غالباً ما يقضي ليله في مكتبه.

كان قد قرّر زيارة صديقه قبل توجّهه إلى منزل كودو. الجامعة قريبة من بيت هذا الأخير، وكانت رغبته قبل كلّ شيء أن يتأكّد من أمرٍ لدى صديقه.

لماذا كان يوكاوا قد زار محلّ بنتنتيه بصحبة رفيق دراسته أستاذ الرّياضيات؟ أيعني هذا أنّ لإشيغامي علاقةً ما بالجريمة؟ إن كان يوكاوا قد لاحظ أمراً لم ينتبه إليه هو فلماذا لم يُحدّثه عنه؟ ومع ذلك فليس مُستحيلاً ألّا تكون لزيارته محلَّ مطعم الوجبات الجاهزة أيُّ دلالة، خلا أن تكون مُتعةَ الحديث عن الماضي مع صديق قديم.

بيد أنّ كوساناغي لا يعتقد أنّ رجل الفيزياء قد ذهب من دون هدف مُحدّد إلى المحلّ الذي يشتغل فيه شخص مُشتبه به في إطار تحقيق جار. كان صديقه حتّى الآن يتفادى مبدئياً التّدخّل في عمله، إلّا في حالات استثنائية، ليس لأنّه يودّ تفادي الإحراج وإنّما احتراماً له ولمهنته.

قرأ في البرنامج المعلّق على باب المختبر رقم 13 أسماء الطّلاب المشاركين في مختلف النّدوات وفي أنشطة بحثية أخرى، إضافة إلى اسم يوكاوا، فعلم أنّه لن يعثر على صديقه ها هنا. آتى حركة خيبة مُفكّراً في أنّ رجل الفيزياء قد يكون عاد مُباشرة إلى بيته.

قرّر مع ذلك أن يدقّ الباب، فبحسب البرنامج لا يزال بالمختبر طالبان من طلبة الماجستير.

دعاه للدّخول صوت قادمٌ من المختبر، فدفَعَ الباب. بدا له

مألوفاً وجهُ الرّجل الشّاب ذي النّظارتين والقميص قصير الكمّين وهو قادمٌ من عمق المختبر.

- هل انصرف يوكاوا؟

- نعم، منذ لحظات. يُمكنني تسليمك رقم محموله إنْ شئت، أجاب الطّالب بهيئة المعتذر.

- لا داعي لذلك، رقمه في حوزتي، ولستُ أبغي منه شيئاً محدّداً. فقط كنت هنا في الحي ف...

- حسن، قال الطّالب وقد بدا عليه الارتياح.

من المفروض أن يكون يوكاوا قد حدّثه عن المفتّش كوساناغي، صديقه الذي يأتي أحياناً ليراه وليُرثرا معاً.

- اعتقدت أنّه مُستمرّ كالعادة في عمله إلى هذا الوقت المتأخّر.

- في العادة يكون لا يزال هنا في هذه السّاعة، لكنّه جعل ينصرف باكراً منذ يومين أو ثلاثة. وقد قال إنّه سيمرّ اليوم إلى مكان ما.

- أتعرف أين؟ سأل كوساناغي وهو يُفكّر أنّ صديقه قد يكون قرّر ربّما زيارة مدرّس الرّياضيات.

فاجأته إجابة الطّالب.

- لم يُخبرني بشيء، لكنّني أعتقد أنّه ذهب إلى شينوزاكي.

- شينوزاكي؟

- أجل، فهو قد سألني عن أقصر السّبل إليها.

- ولا تعرف غَرَضَه من هذه الزيارة؟

- طرحتُ عليه السّؤال لكنّه لم يُجِبْني.

- مفهوم...

انصرف كوساناغي مشغول البال بعد أن شكر الطّالب. ما

الغرض الذي قد يكون دعا يوكاوا لزيارة شينوزاكي، المحطّةِ الأقرب للمكان الذي عُثر فيه على الجثّة؟

أخرَجَ محموله من جيبه وهو يعود إلى الشّارع. بدأ في تركيب رقم رجل الفيزياء، لكنّه توقّف عن القيام بذلك لأنّه خمّن ألّا فائدة من سؤاله الآن، فإنْ كان يوكاوا قد اختار أن يهتمّ بتحقيقٍ جارٍ من دون أن يستشيره، فلأنّ فكرة ما خامرته.

ومع ذلك...

فإنّه لا يُزعجني في شيء أن يُحقّق في أمور تُحيِّرني، فكّر في سرّه.

تنهّد إشيغامي وهو يُصحّح أوراق الفرض الاستدراكي. كانت النّتائج مُخيِّبة للغاية رغم أنّه تعمّد اختيار أسئلة أسهل من أسئلة الفرض السّابق، لكنّ الإجابات كلّها سيئة. ربّما كان التّلاميذ يُردّدون في سرّهم أنّ المؤسّسة لن تجعلهم يُعيدون العام حتّى وإن رسبوا. هم ليسوا مُخطئين، لأنّ الإدارة تتصرّف دائماً كي تجعلهم يمرّون بهذه الذّريعة أو تلك، فلا يُعيد أحد.

لكن في هذه الحال لماذا تشترط الإدارة النّجاح للمرور إلى القسم الموالي؟ سأل إشيغامي في سرّه. وما دام بضعة تلامذة فحسب يفهمون فهماً حقيقياً ما هي الرّياضيات، فإنّ تدريس الجميع طريقة حلّ مسائل بسيطة تُناسب المستوى الثّانوي، لن ينفع في شيء. ألا يكفي أن نُعلِمهم أنّ ثمّة، هنا في الأسفل، مادّةً عسيرة تُسمّى الرّياضيات؟ ذاك كان مدار تفكيره.

أنهى تصحيح الأوراق ونظر في ساعته. إنّها الثّامنة مساء.

تأكّد من أنّ أبواب قاعة رياضة فنون القتال مُغلَقَة وغادر من

المدخل الرّئيس. اقترب منه رجل بينما كان هو ينتظر أمام الثّانوية الضّوءَ الأخضر ليعبُر الرّاجلون.

- تتأخّر في العمل! قال الرّجل بنبرة ودودٍ. أتيتُ إلى هنا لأنّني لم أجدْكَ في بيتك.

الوجه مألوف لديه، فميَّز مفتّشَ الشّرطة.

- تبدو في حال جيدة...

- ألم تنسني؟

نفى إشيغامي برأسه بينما أدخل مخاطبه كفّه في جيب سترته.

- السّيد كوساناغي، أليس هذا هو الاسم؟ أنا أتذكّرك.

مرّ الضّوء إلى اللّون الأخضر فتقدّم إشياغمي وفعل كوساناغي مثله.

لماذا أتى هنا؟ راح إشيغامي يُفكّر في ذلك وهو يتقدّم. زاره يوكاوا يومين قبل ذلك، فهل ثمّة صلةٌ بين زيارات الرّجلين؟ كان رجل الفيزياء قد أخبَرَه أنّ رجال الشّرطة يودّون مطالبَتَه بالتّعاون معهم، لكنّه رفض.

- ألست على معرفة بمانابو يوكاوا؟

- بلى، وقد أتى لزيارتي لأنّك حدّثته عنّي.

- أنا على علم بذلك. كنت قلت له إنّك درست في كلّية العلوم بجامعة تايتو، أرجو ألّا يكون لك مأخذ على إذاعتي سرَّك.

- كلا. بل أسعدَتني رؤيتُه من جديد.

- ما كان موضوعُ حديثكما؟

- الماضي، بالخصوص خلال لقائنا الأول.

- اللّقاء الأول؟ سأل كوساناغي وكأنّه لم يسمَع بوضوح ما قاله إشيغامي. هل التقيتما أكثر من مرّة؟

- مرّتان، وقد أخبرني في الثّانية أنّك أنتَ مَن أرسَلْته.

- أنا؟ سأل كوساناغي الذي ما عاد يفهم شيئاً. ما الذي حَكاه لكَ؟

- فسّر لي أنّكم كلّفتموه أن يسألني إن كنت على استعداد للتّعاون معكم...

- آه، تُريد أن تقول التّعاون معنا في التّحقيق؟ سأل كوساناغي وهو يحكّ رأسه.

انتبه إشيغامي على الفور إلى أنّ أمراً ما في حديثهما لا يستقيم، لأنّ المفتّش كان ظاهر البلبلة. أيكون ربّما جاهلاً باقتراح يوكاوا؟!

تظاهر كوساناغي بالضّحك.

- إنّنا غالباً ما نتحدّث معاً في أمور كثيرة حتّى أنّني لا أعود أتذكّر التّفاصيل. هلاّ ذكّرتني بذلك بدقة؟

فكّر إشيغامي في سؤال المفتّش وتردّد في ذكر اسم ياسوكو هناووكا، لكنّه تبين ألّا فائدة من التّظاهر بالغباء، لأنّ كوساناغي لن يلبث أن يتأكّد من أقواله لدى يوكاوا.

فسّر له أنّ يوكاوا كان قد طلب منه أن يُراقب جارته، فجحظت عينا رجل الشّرطة.

- فهمت... أجل، ذاك هو... أوه... أجل، أنا أتذكّر الآن أنّني كنت قد حدّثته عن فكرة جسّ رأيكَ فيما يخصّ هذا التّعاون. إنّه للطف منه أن يكون قد فعل هذا. أنا أتذكّر الآن.

لم يرَ إشيغامي في إجابته إلّا كذبة غير مُتقَنَة. كان يوكاوا إذاً قد أتاه بمبادرة شخصية منه، لكن لتحقيق أيّ هدف؟

توقّف إشيغامي ونظر إلى كوساناغي.

- وأردتَ لقائي لتسألني في هذا؟

- لا، ليس الأمر كذلك. انتظر، سأفسّر لك سبب وجودي هنا، أجاب وهو يُخرج من جيب سترته صورة. هل تعرف هذا الرّجل؟ الصّورة ليست جيّدة لأنّني التقطتها في غفلة من صاحبها.

نظر فيها إشيغامي فتقطّع نفسه.

إنّها صورة الشّخص الذي يُزعجه أكثر من الجميع في هذه الأيام. هو يجهل هوية هذا الرّجل، لكنّ ياسوكو هناووكا تعرفه خير المعرفة.

- ما رأيك؟

تساءل إشيغامي في سرّه كيف يردّ. فهو إنْ قال «إنّني لا أعرفه»، لن تذهب الأمور أبعد من ذلك، ولن يعرف عن الأمر شيئاً أكثر ممّا علم حتّى الآن.

- لدي انطباع بأنّني سبق لي أن رأيته في مكان ما، قال مُحاذراً. مَن يكون هذا الرّجل؟

- ألا تستطيع إخباري أين سبق لك أن رأيته؟

- الأمر ليس سهلاً، لأنّني أرى النّاس كلّ يوم. إن مكّنتني من اسمه أو وظيفته، ربمّا تذكّرته بسهولة أكبر.

- اسمه كودو ويُسيّر مطبعة.

- كودو؟

- نعم، كودو...

تملّى إشيغامي صورة المسمّى كودو. لأيّ سبب يهتمّ به المفتّش؟ لا شكّ أنّ لذلك علاقة بياسوكو هناووكا. فهل عليه أن يستنتج من هذا أنّ كوساناغي يرى أنّ ثمّة علاقة خاصّة بينها وبين كودو؟

- هل يُذكّرك بشيء؟

- أوه... لدي حقّاً انطباع بأنّني سبق لي أن رأيته من قبل، قال إشيغامي وهو يُميل رأسه جانباً. لكنّني لا أستطيع تحديد أين، وربّما كنت أخلط بينه وبين شخص آخر.

- هكذا إذاً! قال كوساناغي بخيبةِ أملٍ وهو يُعيد الصّورة إلى جيبه مُخرِجاً بطاقة زيارة. هل بإمكانك إن تذكّرت شيئاً عنه أن تتّصل بي؟

- حسن. هل لهذا الشّخص صلة بتحقيقكم؟

- من السّابق لأوانه قول ذلك. نحن نتحقّق من بعض الأمور.

- هل لهذا السّيد علاقة بالسيّدة هناووكا؟

- أجل، على أيّ حال... قال كوساناغي متردّداً، مُظهِراً ألّا رغبة له في قول المزيد عنه. بالمناسبة، لقد علمت أنّك زرت محلّ بنتنتيه صحبة يوكاوا.

نظر إشيغامي إلى المفتّش. كانت هذه المعلومة قد أخذته على حين غفلة فجعل يبحث كيف يردّ. واصل كوساناغي قائلاً:

- كنا رأيناك يومئذٍ صدفة، وبما أنّني كنت في مهمّة لم أتوجّه إليك بالحديث.

استخلص إشيغامي من حديثه أنّ محلّ بنتنتيه كان تحت المراقبة.

- أصرّ يوكاوا أن يتذوّق طبخهم فرافقته.

- ولماذا كان يُريد زيارة بنتنتيه تحديداً؟ الوجبات الجاهزة يُمكن ابتياعها من أيّ مكان.

- لا أستطيع إجابتك. يمكنكَ أن تسأله في ذلك. أنا إنّما رافقته لأنّه طلب منّي أن أفعل.

- لم يقُل لك شيئاً عن هذه المرأة أو عن الجريمة؟

- بلى، ما دام حاول جسّ نبضي فيما يخصّ تعاوني المحتَمَل معكم...

حرّك كوساناغي رأسه جانباً.

- لا شيء آخر؟ أُريد أن أقول، إنّني لا أعرف ما إن كان قد حدّثك عن الجريمة، لكنّه غالباً ما ينصحني في عملي. هو يُتقِن عمله، الفيزياء، وله موهبة أيضاً في الأبحاث البوليسية. لذلك أتساءل ما إن كان قد قاسَمَك افتراضاته في هذا الموضوع.

ساور إشيغامي بعض القلق وهو يستمعُ إليه. إن كان الرّجلان يتقابلان باستمرار فمن المفروض أن يكونا قد تبادلا معلومات في موضوع الجريمة. لكن، لماذا يطرح عليه الشّرطيّ هذا السّؤال؟

- لا، لا شيء آخر.

رأى إشيغامي أنّ ذلك هو الجواب الوحيد الممكن.

- حسن. أنا أشكرك على ما منحتني من وقتك.

حيّاه كوساناغي بإيماءة من رأسه وعادَ على عقبيه. تابعه إشيغامي ببصره وهو يبتعد مُستشعراً قلقاً مُبهماً.

كان هذا القلق شبيهاً بما يستشعره هو عندما تبدأ مُعادلةٌ في التّحول تدريجياً إلى مُعادلة مجهولة بعد أن يكون قد اعتقد أنّها تامّة.

11

غادر كوساناغي محطّة شينوزاكي وأخرَجَ محموله واختار اسم يوكاوا من لائحة الأرقام المخزّنة في ذاكرة الهاتف وضغط الزّر. ألصق الهاتف بأذنه وراح يتأمّل ما حوله. رغم أنّ السّاعة الآن الثّالثة ونصف بعد الزّوال، فإنّ هناك أعداداً غفيرة من النّاس حوله، كما أنّ موقف الدّراجات الهوائية قرب السّوق النّموذجية ممتلئ كما كان يوم أتى مع زميله لتفقّده منذ مدّة.

كانت المكالمة على وشك الاستواء، فانتظَرَ الرّنة.

قطع المكالمة لأنّه رأى الفيزيائيّ جالساً على حاشية الرّصيف أمام المكتبة وهو يأكل المُثلّجات، مُرتدياً سروالاً أبيض وقميصاً خفيفاً أسود على عينيه نظّارة شمسية صغيرة.

عبر كوساناغي الشّارع وأتى ليقف خلفه من دون أن يراه. كان صديقه يُراقب على ما يبدو محيط السوبرماركت.

- البروفيسور غاليلي!

أراد مُباغتته، لكنّ ردّ فعل صديقه كان أبرد ممّا انتظر. التفتَ برأسه ببطء نحوه كما لو في لقطة بطيئة من دون أن يكفّ عن لعق مثلجاته.

- أنت شمّام! أنا أفهم الآن أحسن لماذا يتحدّثون عن حاسّة شمّ رجال الشّرطة، أجاب يوكاوا ثابت الملامح تقريباً.

- أبإمكانكَ إخباري ما الذي تصنعه هنا؟ لا تُجِبْني من فضلك أنّك تأكل المثلجات.

تظاهر يوكاوا بالضّحك.

- هذا سؤال كان عليّ أنا ربّما أن أطرحه عليك، لكنّني أعرف إجابته. أنتَ هنا لأنّك تبحث عنّي وربّما كان عليّ، في نهاية المطاف، أن أقول إنّك أتيت لرغبتك في معرفة ما أنا صانعٌ هنا.

- إن كنت على علم بهذا كلّه، أجِبْني إذاً عن سؤالي. ماذا تفعل ها هنا؟

- أنتظرك.

- تنتظرني؟ أتستهزئ بي؟

- لا، أنا جاد كلّ الجدّية. لقد هاتفت لتوّي مُختبري فأخبرني أحد الطّلاب أنّك بحثت عنّي. ألم تمرّ أمس مساءً أيضاً إلى المختبر؟ لذا قلت إنّني إن تأخرت هنا فإنّك لن تلبَث أن تأتي، لأنّ الطّالب أخبرَكَ أنني على الأرجح أوجد هنا.

كان يوكاوا على حقّ، لأنّ كوساناغي مرّ إلى مختبر صديقه فعلمَ، كما كان قد علم بالأمس أيضاً، أنّ رجل الفيزياء خَرَج. وقد فكّر في محطّة شينوزاكي بسبب المحادثة التي كان قد أجراها مع الطّالب مساء أمس.

- وأنا سألتك عن سبب مجيئك إلى هذا المكان، كرّر كوساناغي وهو يرفع من نبرة صوته.

كان قد اعتاد أن يشعُر بالانزعاج من إجابات صديقه، فتملّكه الغيظ.

- هدوء من فضلك. ألا ترغب في قهوة؟ سأقدّمها لك من الآلة الأوتوماتيكية. أنا على يقين من أنّها ستكون أجود من التي أُعدّها لكَ في المختبر.

نهض يوكاوا ورمى مثلّجه في سلّة قُمامة للأوراق.

أتى بعُلبتَي قهوة من الآلة وراح يحتسي قهوته جالساً على درّاجة مركونة.

سحب كوساناغي لسان عبوته من دون أن يُقلّد صديقه في الاتّكاء على درّاجة وراح يتأمّل ما حوله.

- ليس لك أن تجلس على درّاجة ليست لك!

- هوّن عليك، فصاحب هذه الدّراجة لن يعود على الفور.

- كيف أمكنكَ أن تعرف؟

- استقلّ المترو بعد أن تركها هنا. فحتّى لو نزل في المحطّة المقبِلَة لن يكون بوسعه العودة قبل نصف ساعة.

رشف كوساناغي من قهوته وادّعى التّعب.

- راقبتَ هذا كلّه وأنت تتناول مثلجاتك؟

- مُراقبة النّاس هي إحدى تسلياتي. إنّها في غاية الأهمية.

- كُفّ عن مدح نفسك وأخبرني ما تصنعه هنا. ما الذي أتيتَ للبحث عنه؟ لا تحكِ لي حكايات وتقول إنّ وجودك هنا لا علاقة له بتحقيقي.

مالَ يوكاوا إلى الخلف ناظراً إلى المكان الذي تُعقَل إليه عجلة الدّراجة.

- النّاس الذين يُجهّزون درّاجاتهم بلوحة صغيرة تحمل اسمهم صاروا نادرين. ربّما لأنّهم يعتقدون أنّ من الخطر إعلانهم أسماءَهم وعناوينهم. كان الجميع فيما مضى يفعلون ذلك، لكنّ الأزمنة تتغيّر.

- أرى أنّك مُنشغل بالدّراجات، وقد سبقَ لنا، على أيّ حال، أن تحدّثنا في هذا.

جعله موقف صديقه وكلماته يُخمّن فيمَ يُفكّر.

أجاب يوكاوا برأسه أن نعم، وقال:

- كنتَ قُلت لي عن تلك الدّراجة التي عُثر عليها بالقرب من الجثّة، إنّ من المرجّح أن تكون في الأمر مُحاولة للتّمويه، أليس كذلك؟

- كنتُ قلت إنّ الأمر لن يكون له معنىً إن كان الغرض هو التّمويه. لماذا يتمّ الحرص على وضع بصمات الضّحية على الدّراجة إن كانت أطراف أصابع القتيل قد أُحرقت بعد ذلك؟ والحال أنّنا قد عرفنا هوية الضّحية بفضل البصمات الموجودة على الدّراجة، فأين التّمويه إذاً؟

- في هذه الحالة، ما الذي كان سيحدث إن لم تُوجد بصمات على الدّراجة؟ أما كان بإمكانكم تحديد هوية الضّحية؟

التزم كوساناغي الصّمت ثوانيَ، لأنّه لم يسبق له أن فكّر في هذا السّؤال.

- بلى، أجاب. نحن بالفعل استطعنا في نهاية المطاف أن نحدّد هويته لأنّ البصمات المأخوذة من الدّراجة تتوافق مع تلك التي للرّجل الذي اختفى من الفندق والذي ليس أحداً آخر غير القتيل، لكنّه كان بإمكاننا مع ذلك أن نُحدّد هويته من حمضه النّووي. يبدو لي كأنّني سبق لي أن قلتُ لك هذا.

- أجل، وهو ما يعني أنّه لم يكن من داعٍ البتّة لإحراق أطراف أصابع الضّحية. لكن إن كان المجرم قد فكّر في إحراق أطراف أصابع القتيل، ما كانت نيتُه؟

- تُريد أن تقول إنّه كان على علم ألّا فائدة من ذلك؟

- كان لذلك فائدة طبعاً، من وجهة نظره، لكنّ غايته كانت شيئاً آخر غير إخفاء هوية الضّحية. ألا يحقّ لك بعد هذا أن تتصوّر أنّ هدفه كان هو أن يجعلنا نفكّر في أنّ الدّراجة التي عُثر عليها بالقرب من الجثّة ليست مُحاولة للتّمويه على الجريمة؟

باغَتَ هذا الرّأي المبهر كوساناغي.

- تُريد أن تقول بأنّ الأمر يتعلّق فعلاً بتمويه؟

- تمويه غرضه غير واضح، قال يوكاوا وهو ينزل من على سرج الدّراجة. قد يكون فَعَلَ ذلكَ ليُوهم أنّ الضّحية أتى إلى مكان الجريمة على الدّراجة... لكن ما معنى ذلك؟

- معناه أنّ القاتل أراد إيهامنا أنّ الضّحية أتى إلى مكان الجريمة بوسائله الخاصّة، بينما كان في الحقيقة قد فارق الحياة قبل ذلك ونُقلت جثّته إلى المكان الذي عُثر عليها فيه. وهذا ما كان الرّئيس يراه منذ البداية، على أيّ حال.

- لكنّك أنت غير متّفق لأنّك ترى أنّ ياسوكو هناووكا، الشّخصية التي يُشكّ فيها أكثر من غيرها بأنّها مُرتكبة الجريمة، ليس لها رخصة قيادة.

- خَلا أن يكون لها شريك.

- لنترك هذا جانباً الآن. إنّ ما يُهمّني هو الوقت الذي سُرقت فيه الدّراجة. لقد شرعت أُفكّر فيه لدى علمي أنّكم قدّرتم حصول السّرقة بين الحادية عشرة صباحاً والعاشرة مساء. وقد وجدت الأمر مُلفتاً أن تكونوا قد فعلتُم ذلك.

- قلْ أنتَ ما تشاء، لكنّ هذا ما صرّحت به مالكة الدّراجة، فأين المشكل؟

- في الآتي! قال يوكاوا وهو يُشير بعلبة قهوته إلى كوساناغي: كيف استطعتم العثور على صاحبتها بهذه السّهولة إذاً؟

- الأمر في غاية البساطة. هي بلّغت الشّرطة بالسّرقة، فكَفَتْ قراءةُ بلاغها ومُقارنتُه بالدّراجة التي عثرنا عليها.

أصدر يوكاوا صوتاً بهيماً وهو يسمع إجابة صديقه. ورغم أنّ رجل الفيزياء كان يضع على عينيه نظارة شمسية فقد خمّن كوساناغي نظرته الحزينة.

- ماذا هناك؟ ما الذي يُزعجك الآن؟

- هل تعرف المكان الذي سُرقت منه الدّراجة؟

- بالطّبع. ما دُمت أنا مَن استجوبَ مالكتها.

- هل بإمكانكَ أن تدلّني عليه، إن لم يكُن في ذلك ما يُزعجك؟ ألا نمشي إليه من هنا؟

تفرّس كوساناغي في وجه يوكاوا وَحَدَتهُ رغبة في أن يسأله عن مرماه، لكنّه التزمَ الصّمت. كانت تكتسي عينَي صديقه هذه الالتماعةُ الخاصّة التي تتلبّسه عندما يكون مُنصبّاً على أبحاثه.

رجاه أن يتبعه.

يقع المكان على بُعد أقلّ من خمسين متراً من المكان الذي شربا فيه قهوتيهما. كانت درّاجات كثيرة مركونة فيه.

- كانت قد ربطتها بسلسلة إلى هذا الحاجز.

- وكان الجاني قد قطع السّلسلة بملقاط؟

- أجل، على ما أعتقد.

- ما يعني أنّه كان مصحوباً بملاقط... فكّر يوكاوا بصوت مرتفع وهو يتفحّص الدّراجات المركونة. أنا أتساءل عن السّبب الذي جعله يُتعِب نفسه للقيام بذلك.

- لا أدري. ألا ترى أنّه فعَلَ ذلك لأنّ هذه الدّراجة تحديداً كانت تروق له؟

- لأنّها تروق له... تمتم يوكاوا وكأنّه يُحدّث نفسه. أبإمكانك أن تكون أكثر تدقيقاً؟

- ما غرضك من السّؤال؟ سأل كوساناغي وقد خالَطَ صوته بعضُ الغضب.

التفَتَ رجل الفيزياء نحوه.

- لقد أتيت إلى هذا المكان أمس، كما في علمك، وقد قضيت بعض الوقت من هذا اليوم أيضاً أراقب المكان. يترك بعض النّاس درّاجاتهم هنا من دون قيد، وهم كُثُر. بعضُها يُعقَل وبعضها لا، وكأنّ مالكيها يُجازفون عمداً، لأنّها قد تُسرق. فلماذا يكون الجاني قد اختار هذه الدّراجةَ عينَها ما دام الأمر كما قلت لك؟

- لا يُمكننا أن نكون على يقين من أنّ المجرم هو مُرتكب السّرقة.

- بلى، بإمكاننا من وجهة نظري أن نفترض ذلك. لكن هذا لا يجعلنا نعرف لماذا كان قد اختار هذه الدّراجة تحديداً.

آتى كوساناغي حركة نفي من رأسه.

- أنا لا أدري ما الذي ترمي إليه. فالدّراجة المسروقة لم تكن لها خصائص تُميّزها عن باقي الدّراجات، فما أخذها إذاً إلّا لأنّها لاءمته، ألا توافقني الرأي؟

- نعم، قال يوكاوا وهو يُحرّك سبّابته إلحاحاً على جوابه، وسأقول لك ما أعتقده. كانت هذه الدّراجة جديدة أو تكاد تكون كذلك، هل أنا مُخطئ؟

فُوجئ كوساناغي بسؤاله، وتذكّر مُحادثته مع مالكتها.

- أنتَ على حقّ، أجاب. كانت قد ابتيعت قبل ذلك بأيام قليلة.

هزّ يوكاوا رأسه كما لو أنّ ما سمعه لم يُفاجئه البتّة.

- هذا ما كنت أراه، وهو ما يُفسّر لماذا كانت قد عقلتها وسببَ تبليغها عن السّرقة. كان الجاني قد سرق عن سبق إصرار درّاجة جديدة مُجهّزاً بملقاط كي يقطع السّلسلة، في حين كانت ملك يمينه درّاجات عديدة ليست حتّى معقولة.

- أنت ترى أنّه اختار عمداً درّاجة جديدة؟

- أليست هذه هي الخلاصة الوحيدة الممكنة؟

- لكن لأيّ سبب فعل ذلك؟

- هذا هو السّؤال. وأنا لا أرى إلّا هدفاً واحداً عند سارق يتصرّف بهذه الطّريقة. كان حريصاً أن يُبلّغ صاحبُ الدّراجة عن السّرقة، لأنّه يجني من ذلك على الأرجح امتيازاً ما. ولنقُل ذلك بصراحة: لأنّ فعله يُوجّه الشّرطة في اتّجاه خاطئ.

- لقد توصّلنا إلى أنّ السّرقة تمّت بين الحادية عشرة صباحاً والعاشرة مساءً، وترى أنت أنّنا مُخطئون؟ لكنّ الجاني لم يكُن بإمكانه أن يُخمّن ما سيقوله لنا مالك الدّراجة.

- أنت مُحقّ في هذا الجانب، لكنّ شهادة مالكة الدّراجة تُفضي إلى أمر آخر: لقد تمّت السّرقة أمام محطّة شينوزاكي.

أطلق كوساناغي تنهيدة وتفرّس في رجل الفيزياء.

- وترى أنت أنّ هذا الفعل إنّما كان يستهدف توجيهنا نحو محطّة شينوزاكي؟

- يبدو لي هذا مُمكناً.

- الحقّ أنّنا خصّصنا وقتاً وطاقة للتّحقيق حول هذه المحطّة،

وتُريد أنت أن تقول، إن كانت حساباتك صحيحة، إنّنا قد قمنا بذلك عبثاً؟

- أنا لا أقول بهذا ما دامت السّرقة تمّت ها هنا. لكنّ هذه القضية شديدة التّعقيد ولا تسمح لنا بالوصول إلى نتيجة الآن. تركيبة الجريمة حاذقة وماهرة، قال يوكاوا قبل أن ينهض وينثني مُنصرفاً.

ركض كوساناغي خلفه.

- ما وجهتك الآن؟

- أعود إلى عملي طبعاً.

- ليس بهذه السّرعة، قال كوساناغي وهو يُمسك صديقه من ذراعه. أنا لم أسألكَ بعد عن أهمّ شيء في الموضوع. لماذا تُولي حكاية القتل هذه كلّ اهتمامك؟

- هل أنت مُنزعج من ذلك؟

- لم تُجب عن سؤالي.

تخلّص يوكاوا من قبضته.

- هل أنا واحد من المشتَبَه بهم؟

- أنت؟ كفّ عن الهذيان!

- إن لم أكُن أحدهم فأنا حرّ في القيام بما أشاء، ولا نية لي في إزعاجك.

- إن كنتَ تنظر إلى الأمور بهذه الطّريقة فلماذا كذبتَ على أستاذ الرّياضيات الذي يسكن بجوار ياسوكو هناووكا، مُوظّفاً في ذلك اسمي؟ فما دُمت قلتَ له إنّني أُريد أن أسأله التّعاون معنا في تحقيقنا، فإنّ لي الحقّ في أن أعرف.

رماه يوكاوا بنظرة باردة لم يعهَد صديقُه رؤيتَها لديه إلّا قليلاً.

- هل زرتَه؟

- أجل، لأنّك رفضت الحديث معي.

- هل أخبركَ بشيء؟

- كفى! أنا مَن يطرح الأسئلة. أتعتقد أنّه مُورّط في هذه القضية؟

حادَ يوكاوا عنه ببصره من دون أن يُجيبه ثم مشى في اتّجاه المترو.

- هيه! انتظرني! صاح كوساناغي من ورائه. توقّف رجل الفيزياء واستدار كي يُلقي عليه بنظره.

- أُذكّرك أنّني هذه المرّة لن يكون بإمكاني التّعاون معك بلا قيد أو شرط. إنّني أُتابع هذه القضية لأسباب شخصية، فلا تُعوّل عليّ.

- في هذه الحال، لا تُعول عليّ أنا أيضاً في تزويدك بمعلومات عن القضية.

نكّس يوكاوا ناظريه وحرّك رأسه بنَعَم، وبعد لحظة:

- أنا أفهم قصدك. لنعمل ولو مرّة واحدة كلّ من جانبه، قال مُلخّصاً قبل أن ينطلق مُنصرفاً.

دلّ ظهره المستقيم على تصميمه القوي، فتركه كوساناغي ينصرف من دون أن ينبس بكلمةٍ أخرى.

دخّن سيجارة قبل أن يعود إلى محطّة المترو. فضّل أن يبقى لحظات واقفاً في مكانه لأنّه فهم أنّ صديقه لا يُريد أن يستقلّ القطار برفقته. هو لم يفهم لماذا يعتبر يوكاوا هذه القضية قضيته هو أيضاً، تحدوه الرّغبة في حلّ هذا اللّغز بمفرده، فلم يشأ كوساناغي الوقوف أمام مسعاه.

جعل يُفكّر وهو في المترو ما الذي يشغَل صديقه؟

من المفروض أنّ لذلك علاقة بأستاذ الرّياضيات إشيغامي. لم

يعثُر كوساناغي وزملاؤه على أيّ عُنصر يمكن أن يقود إليه، باستثناء كونه جاراً لياسوكو هناووكا. لكن، في هذه الحال، لماذا يهتمّ به يوكاوا؟

تذكّر المشهد الذي سبق له أن حصل في محلّ الوجبات الجاهزة. كان يوكاوا مصحوباً بإشيغامي الذي يقول إنّ يوكاوا طلب منه أن يأخذه إليه.

لم يكن من عادة رجل الفيزياء إضاعة وقته فيما لا يُفيد، فلا شكّ أنّه قد ذهب إلى المحل لأنّ له هدفاً ما يروم تحقيقه، لكن ما هو؟

بإعادة التّفكير في المشهد نجد أنّ كودو قد أتى بعدهما مُباشرة، ويبدو له أنّ يوكاوا لم ينتبه إليه.

استرجع كوساناغي مُحادثته مع كودو، فتبيَّن أنّه لم يكُن قد أشار إلى إشيغامي، كما أنّه لم يكن، فوق ذلك، قد ذكر أيّ اسم على الإطلاق. لا، هو لم يفعل ذلك، وكان قد ألحّ على أنّه يأبى التّبليغ عن أيّ كان.

بَرَقَ أمر في دماغ المفتّش. «من مبادئي ألّا أُبلّغ عن أحد». في أيّ سياق صرّح له كودو بهذا؟

مثلت أمامه من جديد العبارة الغاضبة التي كان كودو قد فسّر بها قائلاً: «لقد أخبرني آل يونيزاوا أنّ لهما زبوناً يأتي محلّهما ليس إلّا لرؤيتها».

تنفسّ كوساناغي بعمق وهو يعتدل، فنظرت إليه الفتاة التي تجلس قُبالته شَزراً.

رفع بصره إلى تصميم المترو وقرّر في سرّه أن ينزل بمحطّة هاماشو.

لم يقُد منذ مدّة، لكن ما أن مرّ نصف ساعة تقريباً حتّى استرجَعَ ارتياحه. بَيْدَ أنّه وجَدَ بعض الصّعوبة في ركن السيارة عندما أدرك المكان المقصود. كان يُريد تفادي أن تُعرقل سيارته المرور، فاستطاعَ لحُسن حظّه أن يتسلّل خلف شاحنة صغيرة مركونة بطريقة سيئة.

هذه هي المرّة الثّانية التي يكتري فيها سيارة، وتعود الأولى إلى الزّمن الذي كان يُدرّس فيه في الجامعة عندما كان قد صحبَ طلَبَته في زيارة لمركز كهربائي. كان حينها قد استعارَ سيارة عائلية كبيرة تَسَعُ سبعة أشخاص، بينما يقود اليوم سيارة صغيرة من صنع يابانيّ، من السّهل التّحكّم فيها.

نظرَ إشيغامي إلى بناية صغيرة تقع على يمينه، فقرأ في لافتة: **هيكاري غرافكس**، وهو اسم مُقاولة كونياكي كودو. كانت توجَد في أحد المواقع الإلكترونية لائحةٌ بأسماء الشّركات الموجودة في هذا المكان فتأكّد من اسم مُدير كلّ منها، ولم يكن في طوكيو كلّها إلّا مُدير عامّ واحد يحمل اسم كودو.

كان إشيغامي قد توجّه بعد فراغه من دروسه إلى وكالة لكراء السّيارات مُجازفاً، لأنّ كراء سيارة يعني ترك أثرٍ. بيدَ أنّه قرّر مع ذلك، بعد تفكير عميق، أن يُقدِم على ذلك.

كانت ساعة السّيارة تُشير إلى الخامسة وخمسين دقيقة، وكان بضعة رجال ونساء يُغادرون البناية. أحسّ بالارتياح عندما ميَّز كونياكي كودو.

مدّ كفّه نحو آلة تصويره الرّقمية وشغّلها ونظر في العدسة وركّزها على كودو مُستعملاً خيار تقريب الصّورة.

كان كودو يرتدي بذلة مُتقنة التّفصيل، في حين لم يكن بإمكان إشيغامي شراء ملابس من هذا الصّنف. هذا هو نوع الرّجال الذي يروق لياسوكو هناووكا، أسرّ لنفسه. راودته فكرةُ أنّ غالبية النّساء إن طُلب منهنّ الاختيار بين كودو وبينه سيخترن كودو.

اجتاحته الغيرة فضغط على الزناد بعد أن عدّل آلته كي لا يشتغل الوَماض. بدت له الصّورة في الشّاشة واضحة.

مرّ كودو خلف البناية لأنّه يعرف أنّ موقف السيارات يوجد هناك. انتظر أن يرى كودو في سيارته.

لم يمكث إلّا قليلاً، فشغّل سيارته ما أن لمَحَ المرسيدس الخضراء.

مشى في أثرها مُتجشّماً مهمّة غاية في الصّعوبة ما دام مُفتقداً لعادة القيادة. وقد كاد يفقد أثر المرسيدس عندما انحشرت سيارة بينها وبين سيارته. كان عبور الأضواء بالخصوص لحظة في غاية الصّعوبة، لكن كودو كان يقود باحترازٍ شديد، فلا يتجاوز حدود السّرعة المسموح بها ويتوقّف ما أن يمر الضّوء إلى اللّون البرتقاليّ.

تفادى إشيغامي أن يكون شديد الالتصاق بهدفه، لكنّه كان مُصمّماً ألّا يتخلّى عمّا عَزَم عليه. ففي أسوأ الأحوال، كما فكّر في سرّه، سيُلاحظ كودو وجوده.

استمرّ في القيادة وفي إلقاء نظرة بين الفينة والأخرى على نظام تحديد المواقع لأنّه كان يوجد في جزء من العاصمة لا يعرف تفاصيله. توجّه كودو نحو شيناغاوا.

ازدادت عملية المرور ازدحاماً ما عقّد التّعقّب أكثر. لحظة وجيزة من عدم الانتباه جعلت شاحنة تحجب عنه الرّؤية فما عادت

المرسيدس ضمن مدى بصره. وزيادة في سوء حظّه مرّ الضّوء إلى اللّون الأحمر عندما كان هو يتساءل مع نفسه إن كان عليه أن يُغيِّر الممر، معتقداً أن ليس ثمّة سيارات أمام الشّاحنة إذ لم يعُد يرى المرسيدس.

لم يعُد بإمكاني الذّهابُ أبعَدَ من هذا، فكّر وهو يشعُر بخيبة أملٍ.

لكن عندما مرّ الضّوء إلى اللّون الأخضر وبدأ صف السيارات يتحرّك لمح سيارة خضراء تومض أضواؤها الجانبية مُنتظرة الانعراج يميناً بعد الضّوء الأحمر، وتأكّد أنّها سيارة كودو.

من المرجّح أن تكون وجهته هي الفندق الموجود على الجهة اليمنى من الشّارع.

أومض إشيغامي بلا تردّد أضواءه الجانبية بقصد السّير في أثره. كاد كودو أن يراه، لكنّه ما كان عاد بوسعه أن يتقهقر.

عرجَ كودو يميناً عندما أومض السّهم الأخضر، ففعل إشيغامي مثله. كان مدخل المرأب التّحت أرضي للفندق يقع يسارَ المدخل الرّئيس. دلفت المرسيدس إليه متبوعة بسيارة إشيغامي.

التفتَ كودو برأسه قليلاً وهو يأخذ تذكرته فأدخَل إشيغامي رأسه لكنّه لم يتأكّد ممّا إذا كان كودو قد رمقه أم لا.

كان المرأب شبه فارغ، وتوقّفت المرسيدس قريباً من مدخل الفندق. رَكَنَ إشيغامي سيارته بعيداً عنها وأوقف تشغيل المحرّك وأمسكَ بآلة التّصوير.

نزل كودو من سيارته فضغط إشيغامي على الزناد. نظر كودو في اتّجاهه مُلاحظاً موقفه الغريب، لكنّ إشيغامي أمعَنَ في الإطراق برأسه.

واصل كودو مشيه فأعاد إشيغامي تشغيل المحرّك بعد أن تأكّد أنّ كودو قد غادر المرأب.

عليه أن يكتفي الآن بهاتين الصّورتين.

بما أنّه لم يمكث إلّا قليلاً في المرأب لم يكن له شيءٌ يُؤدّيه. قادَ إشيغامي بحذر وهو يصعد منحدر مدخل المرأب.

فكّر في مضمون الرّسالة التي ستُصاحِب الصّورتين والذي سينصّ تقريباً على:

أنا أعرف هُوية الرّجل الذي تلتقين به، وهاتان صورتان له دليلاً على ذلك.

لدي سؤال أُريد طرحه عليك: ما هي طبيعة العلاقة التي تجمع بينكما؟

إن كنتما تُشكّلان ثنائياً غرامياً فإنّني سأعدّ ذلك ضرباً من الخيانة لا أستطيع تحمّله.

أتُقدّرين ما قمتُ به من أجلك؟

إنّ ذلك ليسمح لي بأن أُوجّه إليك أوامر. اقطعي علاقتك فوراً بهذا الرّجل.

وإن لم تفعلي فإنّني سأجدني مُضطرّاً لصبّ غضبي عليه.

لن أجدَ أدنى صعوبة في جعله يذوق من مصير توغاشي نفسه. أنا مُستعدّ لذلك وأعرف كيف أقوم به.

أُكرّر لكِ أنّني لستُ مستعدّاً لتحمّل الخيانة التي ستجسّدها هذه العلاقة القائمة بينك وبين هذا الرّجل. كوني على يقين من أنّني سأنتقم.

نطق إشيغامي بصوتٍ مرتفع بالرّسالة التي شكّلها في ذهنه لتوّه كي يتأكّد أنّ نبرتها مُهدِّدة بالفعل.

وفي لحظة تحوّل الضّوء إلى اللّون الأخضر وهو يخرج من مرأب الفندق، صعقته رُؤيةُ ياسوكو هناووكا وهي تدخل الفندق.

12

ما إن دخلت ياسوكو صالون الشّاي في الفندق حتى لوّح لها بكفّه رجلٌ يجلس في عمق القاعة. إنّه كودو بسترة خضراء غامقة. كان الزّبائن يحتلّون نصف الموائد، ولمحت وهي تتقدّم نحوه مائلة قليلاً إلى الأمام ثنائيات رجالٍ ونساء ورجال أعمال مُنهمكين في أحاديث فيما بينهم.

- سامحيني على مُطالبتك بالمجيء فوراً، قال مُتبسّماً. أتريدين شرب شيء؟

طلبت ياسوكو كأس شاي بالحليب من النّادلة التي أتت إلى مائدتهما ما إن جلست.

- هل طرأ شيء؟ سألت.

- لا شيء ذا خطر، لكن... وقطع كلامه كي يُمسك بفنجان قهوته، ثمّ واصلَ قبل أن يضعه في فمه: زارني رجل شرطة بالأمس.

جحظت عينا ياسوكو.

- كنت أشكّ في ذلك...

- هل سبق لكِ أن حدّثتهم عنّي؟

- اعذرني، فقد كان أتاني يوم تعشّينا معاً مُفتّش شرطة وسألني

إلى أين ذهبت ومَن قابلت. أفرطَ في الإلحاح فقلتُ في سرّي إنّ صمتي سيُحيل الوضعية أكثر إثارة للشّبهة في نظرهم. . .

آتى كودو حركة نفي من كفّه.

- لا حاجة لكِ بالاعتذار. لا مأخَذَ لي عليكِ، بل أعتقد أنّ من الأحسن أن تَعرف الشرطة مَن أكون ما دامت لي نيةُ مُقابلتكِ باستمرار.

- حقّاً؟ سألت وهي ترفع بصرها إليه.

- نعم، لكنّ هذا يعني أنّهم سيُزعجونني على الأرجح لمدّة معينة. ثمّ إنّ شخصاً قد تعقّبني في أثناء مجيئي إلى هذا الفندق.

- تعقّبك؟

- لم أنتبه لذلك على الفور، لكنّني لاحظت في أثناء القيادة أنّ سيارة كانت تلتصق بسيارتي. لا أعتقد أنّني مُتوهّم، وقد تبعتني حتّى داخل مرأب هذا الفندق.

ركّزت ياسوكو نظرها على كودو وهو يتحدّث عن ذلك كلّه وكأنّه يتحدّث عن شيء بلا أهمية.

- وبعد ذلك؟ ما الذي حدث؟

- لا أدري، أجابَ رافعاً كتفيه. كان السّائق بعيداً عنّي فلم أرَهُ جيداً، وفجأة اختفى. وكي لا أُخفي عنكِ شيئاً، فقد تأكّدت في أثناء انتظاري لك ما إن كان هناك أشخاص من هذا النّوع في هذه القاعة لكنّني لم ألحَظ شيئاً. وهذا لا يعني انتفاء وجود شخص يُراقبنا من دون أن ننتبه نحن إلى ذلك.

نظرت ياسوكو حولها من دون أن تستطيع رصدَ شخص مُريب.

- هل يشتبهون بك؟

- أنتِ التي رتّبت بحسب أحد سيناريوهاتهم عملية اغتيال توغاشي، وساعدتُك أنا على ذلك. لم يجد المفتّش أمس غضاضة في سُؤالي عمّا إن كانت لي حجّة أُبرّئ بها نفسي.

أحضرت النّادلة الشّاي بالحليب، فألقَت ياسوكو نظرة جديدة على القاعة عندما كانت النّادلة تضع الفنجان على المائدة.

- إن كنّا تحت المراقبة، أفلا ترى أنّنا بلقائنا هكذا نُعزّز شكوكَهم أكثر؟

- الأمر عندي سيان، فليس لدي ما أُخفيه. كما أنّنا إن سعينا إلى الاستتار أصبَحنا أكثر إثارة للارتياب عندهم. لا شيء يمسّ بشرفِ لقائنا.

وكما لو ليُوضّح كودو ما قاله انحنى نحو فنجانها مادّا كفّه فوضعت ياسوكو كفّها على كفّه.

- أنا سعيدة أن يكون هذا رأيكَ، لكنّني لا أُريد بأيّ حال من الأحوال أن أسبّب لكَ متاعب. ألا ترى أنّه سيكون من الأفضل ألّا نلتقي الآن؟

- كنت على يقين أنّ ردّ فعلكِ سيكون هكذا، قال كودو وهو يضع فنجانه ويرفع وجهه نحوها. هذا هو السّبب الذي أردتُ من أجله أن أراكِ. كنت ستعلمين عاجلاً أم آجلاً أنّ الشّرطة زارتني، وكنت أودّ جعلك تتفادين الانشغال بذلك. لتكُن الأمور واضحة، فليس لكِ أن تنشغلي بي. سألوني إن كانت لي حجّة أُبرّئ بها ساحتي فحصل أنّني عثرتُ حتّى على شاهدٍ لأقيم الدّليل على ما أقول، لذلك فإنّ الشّرطة سُرعان ما ستنساني.

- في هذه الحالة، لا اعتراض لدي.

- أنا قلقٌ عليكِ أكثر. سيفهم المحقّقون قريباً أنّني لستُ

شريككِ، لكنّهم لن يتخلّوا بالسّرعة نفسها عن الاشتباهِ بكِ. وتفكيري في أنّهم سيُواصلون الشّك فيكِ يُفقدني أعصابي.

- لا حيلة لنا، فهم يعرفون أنّ توغاشي كان قد رغِبَ في لقائي مباشرة قبل مُفارقته الحياة.

- تُرى ما كان دافعه لمحاولة العثور عليكِ؟ أمرٌ لا يُصدّق أن يستمر في إزعاجك حتّى بعد مماته، قال مُتمعّرَ الوجه قبل أن يُواصل وهو ينظر إليها: أخبريني، أليس لكِ حقّاً أيّ دخل في هذه القضية؟ افهميني جيداً، أنا لا أشكّ فيك بتاتاً، لكن إن كانت قد حصلت اتّصالات بينكما، حتّى ولو عن بُعد، أُريدكِ أن تُخبريني بها.

تفحّصت ياسوكو مُحيّاه المتناسق القسمات وأسرّت لنفسها: هو ذا السّبب الحقيقيّ الذي أراد من أجله مُقابلتي اليوم. إنّه لا يثق بي ثقة كاملة.

- لا تقلق. لا دخل لي في هذا كلّه.

- كنت أعرف ذلك، لكّنني أردتُ سماعَه منكِ، ثمّ رفع رأسه ونظر في ساعته. ما رأيك في أن نتعشّى معاً. أنا أعرف مطعماً يُقدّم مشويات جيدة.

- معذرة، لا أستطيع هذا المساء لأنّني لم أُخبر ميساتو.

- حسن! لن أُلحّ. لا بأس.

ثمّ مدّ كفّه إلى الفاتورة ونهض قائلاً:

- هيا بنا.

وبينما كان يُؤدّي الفاتورة قام من جديد بمسح قاعة الشّاي بنظره فلم يرَ أحداً ذا هيئة بوليسية.

أنا آسف لما يحصل لكودو، فكّرت في سرّها، لكن كلّما

استمرّوا في اعتباره مشبوهاً، قلّ انشغالي أنا، لأنّهم يكونون بذلك بعيدين عن الحقيقة.

لم تكُن تدري ما إن كان عليها مُواصلة إقامة علاقتها معه. هي ترغب في ذلك لكنّها تخشى أن تقودها هذه العلاقة إلى إخفاقٍ لا سبيل إلى تداركه. عاد المحيا الثّابت لإشيغامي إلى ذهنها.

- سأُرافقك.

- لا، لا داعي لذلك، سأستقلّ المترو.

- لا، لا. أتيتُ بالسيارة.

- أشكركَ، لكنّ لي أغراضاً أُريد قضاءها.

- أوه... بدا كودو غير راضٍ عن رفضها، لكنّه ابتسم في نهاية المطاف. في هذه الحال أقول لكِ إلى اللّقاء، سأتصل بك.

- شكراً على كلّ شيء، قالت وهي تولّي الأدبار.

رنّ هاتفها وهي تعبُر الشّارع للعودة إلى محطّة شيناغاوا. فتحت حقيبة يدها ورأت على شاشة الهاتف أنّ مصدر المكالمة هي سايوكو.

- ألو!

- ياسوكو، هذه أنا، سايوكو، ألا أُزعجك؟

كانت تتحدّث بنبرة مُتوتّرة قليلاً.

- أبداً، ما وراءك؟

- قبل قليل، وبعد مُغادرتك زارنا رجل شرطة جديد. طرح عليّ أسئلة غريبة، فأردتُ إخبارك بها.

أغمضت ياسوكو عينيها وضغطت المحمول في كفّها. الشّرطة من جديد. إنّها تَحُوكُ نسيجها حولها كمثل العنكبوت.

- ما هي هذه الأسئلة الغريبة؟ سألَت بقلق.

- لها علاقة بهذا الرّجل، أستاذ الرّياضيات. ألا يُسمّى إشيغامي؟

كادت ياسوكو تُرخي قبضتها عن الهاتف.

- ما علاقة هذه الأسئلة به؟

كان صوتها مُرتعشاً.

- قال لي الشّرطيّ: «سمعتُ أنّ زبوناً يزور محلّك لأنّ ذلك يُتيح له فرصة رُؤية السيّدة هناووكا»، ثمّ طلب منّي إخباره باسمه، وأنا أعتقد أنّ كودو هو مَن حدّثه عن ذلك.

- كودو؟ سألت من دون أن تفهم ما علاقته بإشيغامي.

- نسيتُ أن أُخبركِ أنّني كنت قد حدّثته عن هذا الزّبون الذي يأتي كلّ صباح فقط بسبب اشتغالك عندنا. يبدو أنّه قد أخبر الشرطة بذلك.

توضّحت لها العلاقة، فالشّرطيّ الذي زار كودو كان قد حلّ ببنتنيه ليتأكّد من المعلومة.

- وبماذا أجبْتِه، يا سايوكو؟

- بالحقيقة، لأنّني قلت لنفسي إن الأمر سيكون غريباً أن أُخفيها، وقلت له إنّ المقصود هو جارك أستاذ الرّياضيات، لكنّني أضَفتُ ألّا شيء يُؤكّد ذلك وأنّ هذا ليس إلّا افتراضاً أقمناه نحن.

جفّ فم ياسوكو. للشّرطة الآن مُسوّغ للاهتمام بإشيغامي. هل زارَت الشّرطة المحلّ فقط بسبب ما قاله كودو أمّ أنّ لها قرينة أخرى دفعتها إلى ذلك؟

- ألو! ياسوكو!

- نعم...

- الآن وقد عرفتِ ما قلتُه له، آمل ألّا ينتج عن ذلك مشكل. يبدو أنّ الأمر يُزعجكِ.

لم يكن بإمكانها أن تُجيب بالإيجاب.

- لا، لماذا يبدو لك الأمر كذلك؟ هو ليس له دخل في هذه القضية.

- أجل، بالطّبع، لكنّني حرصت مع ذلك على إخبارك.

- أشكركِ!

أنهَت ياسوكو المكالمة شاعرة بالرّغبة في القيء.

كانت لا تزال تشعر أنّها على غير ما يُرام عندما عادت إلى بيتها، وكانت قد توقّفت في طريق العودة عند سوبرماركت، لكنّها نسيت ما اشترته هناك.

كان إشيغامي جالساً أمام حاسوبه عندما سمعَ باب جارته ينفتح ثمّ ينغلق، وقد بدت على الشّاشة ثلاث صور، يظهر في الأوليين كودو وفي الثّالثة ياسوكو لحظة دخولها الفندق. كان بودّه أن يلتقط أُخرى يظهران فيها معاً لكنّه فضّل الحذر مخافَة أن يرصده كودو، كما أنّه كان سيشعر بالانزعاج الشّديد لو رأته ياسوكو.

كان إشيغامي يتوقّع الأسوأ، ولو حصل لكانت هذه الصّور مُفيدة له، لكنّه مصمّم العزم على تفاديه.

رفع بصره نحو السّاعة الحائطية، فرأى أنّ الوقت يقترب من الثّامنة مساء. لم تبقَ ياسوكو وقتاً طويلاً بصحبة كودو، فأحسّ بالارتياح من ألّا يكونا قد بقيا معاً زمناً طويلاً.

حمل بطاقته الهاتفية وغادر الشّقة. اتّبع النّهج المعتاد وسط العتمة وهو ينظر حوله بانتباه ليتأكّد من أن لا أحد يُراقبه.

فكّر في حواره مع كوساناغي. كانت أسئلته غريبة تصبّ على ياسوكو هناووكا، لكنّ انطباعاً ساوره بأنّها تهتمّ في الحقيقة بمانابو يوكاوا. ما العلاقة القائمة بين الرّجلين؟ لم يكن يدري ما إن كان مُشتَبَهاً به، ووجد صعوبة في تقرير ما سيُقدِم عليه بعد الآن.

هاتف ياسوكو على محمولها من المخدع الهاتفي كالعادة. فتحت الخطّ بعد الرّنة الثالثة.

- هذا أنا، ألا أُزعجك؟

- لا.

- هل حصل شيء اليوم؟

كان يودّ سؤالها ما كان مدارُ حديثها مع كودو لكنّه لم يجد مدخلاً للحديث في هذا الموضوع، ولم يكُن مُستعدّاً لذلك.

- أوه، ذلك أنّه..

قطعت كلامها كما لو كانت تتردّد في المواصلة.

- ماذا هناك؟ هل طرأ أمر؟ سأل إشيغامي وهو يُفكّر في أنّ كودو قد يكون حكى لها أموراً خارقة للعادة.

- أتى شرطيّ عندنا، أُريد أن أقول إلى محلّ بنتنتيه. وقد علمتُ أنّه طرحَ سُؤالاً يخصّك.

- يخصّني؟ بأي معنىً؟ سأل وهو يبلع ريقه.

- صعبٌ عليّ شرح المسألة، لكنّ الزّوجين اللّذين يُسيّران بنتنتيه يتحدّثان عنكَ بين الفينة والأخرى... أرجو ألّا يُغضبكَ هذا...

غضب إشيغامي من هذه الاحتياطات اللّفظية فأسرّ لنفسه أنّه من المفروض ألّا تكون ياسوكو متفوقة في الرّياضيات.

- اسمعي، أنا لن أغضب، لكن تحدّثي مُباشرة في الموضوع

من فضلك. ما الذي يقولانه عنّي؟ سأل إشيغامي وهو يُفكّر في أنّها ستقول إنّهما يعتبرانه مُثيراً للسّخرية.

- أنا قلت لهما إنّهما مُخطئان، لكنّهما من جانبهما يريان أنّك زبون مُخلص للمحلّ بسببي أنا.

- ماذا؟ سأل إشيغامي مُتعجّباً وهو يشعر برأسه يدور.

- لقد التبس الأمر عليّ. لا يقولان ذلك إلّا مزاحاً، ولا يُفكّران فيه بجدّية. ليست لهما نوايا سيّئة، هما نفسهما لا يُصدّقان ما يقولانه، واصلت ياسوكو القول بأحسن طريقة استطاعتها، رغم أنّه وجد نفسه عاجزاً عن فَهم ولو نصف ما تقوله له.

بهذه الشّاكلة يراني الآخرون...

لكنّهما لم يُخطئا، فالحقّ أنّه يبتاع من محلّهما علبة وجبته الجاهزة كلّ يوم تقريباً فقط بهدف رُؤيتها. وسيكون كاذباً إن أكّد أنّه لا يقوم بذلك بأمل أن تنتبه هي إليه، لكنّه الآن يتحرّق عاراً أن يكون الآخرون قد انتبهوا لذلك. من المؤكّد أنّهم يتسلّون بمُشاهدتهم لرجلٍ دميمٍ مثله يتقرّب من امرأة بجمال ياسوكو.

- هلّ أنت غاضب؟

حكّ إشيغامي حنجرته.

- لا... وماذا حدث مع المفتّش؟

- أوه... حسن، هو كان على علم بذلك وسألها من يكون هذا الزّبون، فسلّمه صاحبا المحلّ اسمكَ.

- مفهوم، قال إشيغامي وقد تعرّق جسده. ومَن نقل هذه الإشاعة إلى علم المفتّش؟

- لا أدري.

- لم يطرح أسئلة أخرى؟

- بحسب علمي، لم يطرح غيرها.

رفع إشيغامي رأسه مُلصِقاً السّماعة بأذنه. ليس هذا وقت التّردّد لأنّ الحقيقة أضحَت جلية: الشّرطة آخذة في إحكام إسارها حوله حتّى وإن كان يجهل ما قادَها إليه. وجبَ الآن التّفكير في الإجراءات التي عليه اتّخاذها.

- ابنتك بجانبك؟

- ميساتو؟ نعم.

- أبإمكاني مُحادثتها؟

- أوه... بالطّبع.

أغمض إشيغامي عينيه مُفكّراً وهو يُحاول أن يُركّز ما وسعته المحاولة: ما هي خطط كوساناغي وزملائه؟ ما الذي يعتزمون الإقدام عليه؟ ما سيكون فعلهم المقبل؟ انتفض انتفاضة خفيفة عندما مثُلت صورة منابي يوكاوا في ذهنه. ما الذي يدور في خلد رجلِ الفيزياء؟

سمع صوت الفتاة تقول: «ألو». كانت ميساتو قد أمسكت بالسّماعة.

- طاب مساؤك. أنا إشيغامي، قال. ألا تُدعى الصّديقة التي حدّثتِها عن الفيلم يوم 12 ميكا؟

- بلى، وقد أخبرت الشّرطة بذلك.

- نعم، سبق لكِ أن أخبرتني، لكنْ أليسَ لكِ صديقة أخرى اسمها هاروكا؟

- بلى، هاروكا تماووكا.

- هل سبقَ لكِ أن حدّثتها عن الفيلم؟

- لا، لا أعتقد. على أيّ حال، من الممكن أن نكون قد تحدّثنا عنه باقتضاب.

- لم تتحدّثي للشّرطة في ذلك بعد؟

- لا، لم أُحدّثهم إلّا عن ميكا، لأنّك كنتَ قلت لي ألّا داعي للإشارة إلى هاروكا.

- نعم، صحيح ما تقولينه، لكنّني أعتقد أنّ بإمكانكِ فعلُ ذلك الآن.

ثمّ جعل إشيغامي يُقدّم لها توجيهات مُدقّقة وهو يسبر الجوار ببصره.

كان دُخان رماديّ يصعد من الميدان المهمَل المجاور لملعب كرة المضرب. عندما اقترب من الدّخان رأى يوكاوا وقد شمّر كُمّي قميصه الأبيض وهو يضرب بعصاه في برميل معدني هو مصدر الدّخان.

من المفروض أن يكون قد سمع خطوات كوساناغي تقترب، فالتفت.

- يبدو أنّك تُلاحقني كظلّي.

- الأشخاص الذين تُقدّر السّلطة أنّهم مشبوهون تتعقّبهم كظلّهم.

- هكذا إذاً أكون قد صرتُ الآن أحد المشتبه بهم، قال يوكاوا مُتعجّباً وهو يُصدر بسمة. منذ مدّة لم تُبدِ رأياً بهذه الجُرأة. أنت بهذا تُعطي الدّليل على مرونة تجعلني أتنبّأ لكَ بمشوارٍ رائع.

- لم تسألني حتّى لِمَ أعتبرك مشبوهاً!

- لا فائدة من ذلك لأنّ رجال العلم مشبوهون دائماً في عيون مُعاصريهم، قال شارحاً وهو يضرب البرميل بقوة أكبر.

- ما هذا الذي تحرقه؟

- لا شيء ذا أهمية، ملفّات قديمة ما عدتُ بحاجة إليها، ولا ثقة لي في التّحلّل الذّاتي.

حمل يوكاوا دلو الماء الموضوع إلى جانب البرميل وأفرغه فيه، فارتفع دخان أبيض، مصحوباً بصفير.

- أودّ محادثتك، وأريد أن أطرح عليكَ بعض الأسئلة بوصفي رجل شرطة.

- أنت دائماً تُعطي الأمر أكثر ممّا يستحق! قال يوكاوا وجعل يبتعد حاملاً دلوه كما لو كان مُتيقّناً من أنّ النّار قد انطفأت.

خفّ كوساناغي في تعقّبه.

- ذهبتُ أمس إلى محلّ بنتنتيه بعد مُغادرتك، فعلمتُ أشياءَ مُهمّة للغاية. ألا تُريد معرفتها؟

- ليس لدي اهتمام خاصّ بذلك.

- بيدَ أنّني سأُخبركَ بها. صديقك إشيغامي مُغرمٌ بياسوكو هناووكا.

توقّف يوكاوا بعد أن كان يمشي بخطوات واسعة، ولمعت عيناه.

- مُستخدمو المطعم هم الذين أخبروك؟

- أجل. وعلى أيّ حال فقد كانت الفكرة راودتني عند مُحادثتي لك فذهبت إلى بنتنتيه لأتأكّد من ذلك. المنطق مُهمّ، لكنّ رجل الشّرطة يملك سلاحاً آخر ذا أهمية هو الحدس.

- وماذا بعد؟ سأل يوكاوا الذي ما عاد ينظر إليه. هل لمعرفتك بأنّه مُغرم بها أثرٌ على تحقيقك؟

- لا تتظاهر بالغباء في لحظة هي على هذا القدر من الجدّية!

أنا أجهَل في أيّ مناسبة كنتَ قد انتبهتَ أنتَ إلى ذلك، لكنّني أعتقد أنّك، لاشتباهكَ في كونه شريكها، كنت تتحرّك في غفلة منّي.

- لا أتذكّر أنّني تحرّكت خفية.

- كلّ هذا لأقول لك إنّني قد أصبح لي الآن سبب للاشتباه في إشيغامي. من الآن فصاعداً سنتعقّبه من قُرب. وفي هذا السّياق، ولأنّنا أيضاً كنّا قد افترقنا أمس في جوّ غير حبّي، أتيتُ لأقترح عليك اتّفاقَ سِلمٍ أُسلّمك بمُوجبه المعلومات التي في حوزتي، وتعمَل أنتَ على تزويدي بما تكتشفه في الموضوع. ما رأيكَ؟ أليس هذا اقتراحاً جيّداً؟

- أنت تُفرط في تقديري. أنا لم أكتشف شيئاً بعد، وكلّ ما لدي حدوس لا غير.

- في هذه الحال، أُريد معرفتها، قال كوساناغي وهو ينظر مُباشرة في عينَي صديقه.

تفادى يوكاوا نظرته وواصل المشي.

- هيا إلى مُختبري.

جلس كوساناغي إلى طاولة المختبر رقم 13 التي تبدو فيها آثار حروق غريبة. وضع يوكاوا كعادته فنجانين نظافتُهما ناقصة.

- إن كنت تعتقد أنّ إشيغامي شريكها فما دوره في الجريمة من وجهة نظرك؟ سأل يوكاوا.

- أُجيب أنا في البداية؟

- ألستَ أنتَ من اقترح السّلم؟ عقّب يوكاوا الذي جلس مُستعدّاً لتذوّق قهوته المعدّة على عجل.

- حسن. أنا لم أقل شيئاً بعد لرئيسي لذلك بإمكاني أن

أُقاسمكَ افتراضاتي. إنْ اعتَبَرنا أنّ الجريمة قد ارتُكِبَت في مكانٍ آخر غير المكان الذي عثرنا فيه على الجثة، فإنّ إشيغامي هو مَن نقل الجثة.

- كنت أعتقد أنّك تقف موقف المعارِض من فَرضية كون القتيل قد اغتيل في مكانٍ آخر.

- يتغير كلّ شيء إنْ كان لها شريك. لكنّها هي التي قتلته. ليس مُستحيلاً أن يكون إشيغامي قد ساعَدَها، لكنّها كانت برفقته، وأنا على يقين من أنّ مُشارَكَتَها كانت فعّالة.

- تبدو لي مُتأكّداً ممّا تقول!

- إنْ كان إشيغامي قد قَتَلَ ثمّ حمل الجثة، فإنّه ليس شريكاً فحسب وإنّما قاتل. قد أُصدّق أنّه مُغرم بها، لكنّني أشكّ في أن يكون قد تحمّل ذلك كلّه وحده، لأنّه سيفقد كلّ شيء إنْ خانته. لذلك من المفروض أن يكون قد حمّلها جزءاً من المسؤولية.

- لكن ليس بإمكانكَ أن تتصوّر أنّه هو مَن ارتكب الجريمة ثمّ اهتمّا بالجثة سوية؟

- لا أرى ذلك مُستحيلاً، لكنّه يبدو لي غير محتملِ الوقوع. ففي حجّة ياسوكو هناووكا، يبدو الجانب الخاصّ بالسينما غامضاً، لكنّ الباقي صلب. قد يكونان تصرّفا آخذين الوقت بعين الاعتبار. أنا أشكّ أن تكون قد ساهمت في نقل الجثة، لأنّه لم يكن مُمكناً التّنبّؤ بالمدى الزّمني الذي سيستغرقه ذلك.

- ما هو الجانب غير القابل للتّأكّد منه في حجّتها؟

- ما يرتبط من ذلك بالسينما، ما بين السّابعة مساء والتّاسعة وعشر دقائق. وقد عثرنا على شهود في شأن المطعم وقاعة الكراوكي. أنا أعتقد أنّها كانت حقّاً في السينما لأنّنا عثرنا بين بقايا

التّذاكر التي يحتفظ بها صاحب القاعة على بقية تحمل بصماتها وعلى أخرى تحمل بصمات ابنتها.

- وبالنّتيجة فأنتَ تعتقد أنّ الجريمة قد ارتَكَبَها ياسوكو وإشيغامي خلال هذا الفاصل الزّمني الممتدّ على مدى ساعتين وعشر دقائق.

- ربّما يكونان أيضاً قد تخلّصا من الجثّة خلال هذا المدى الزّمنيّ، لكنّني أعتقد أنّ من المحتمل أن تكون هي قد غادرت مكان الجريمة قبله هو.

- وما هو مكان وقوع الجريمة؟

- لا أدري. وفي جميع الأحوال هي التي من المفروض أن تكون قد استدعَت توغاشي إلى المكان الذي قُتل فيه.

وضع يوكاوا فنجانه صامتاً وعقَدَ حاجبيه. ليست هذه هيئته عندما يكون مُقتنعاً بما سمع.

- أليس لكَ شيء تُدلي به؟

- لا، لا شيء ذا طبيعة خاصّة.

- لكن إن كان الأمر كما أرى، فالدّور عليك الآن للكلام بعد أن فسّرتُ لكَ وجهة نظري.

تنهّد يوكاوا.

- لقد حصل ذلك من دون استعمال للسّيارة.

- كيف؟

- أقول لكَ إنّ إشيغامي لم يستعمل السّيارة على الأرجح. ومع ذلك، ألم يكن بحاجة إليها لنقل الجثّة؟ بما أنّه لا يملك سيارة فقد يكون اكترى واحدة أو استعارها، بيد أنّني لا أعتقد أنّه يملك وسيلة للحصول على سيارة من دون أن يُخلّف ذلك أثراً أو من دون أن تبقى على السّيارة آثار. النّاس العاديون لا يعرفون كيف يقومون بذلك.

- لدي النّية في تفتيش كلّ وكالات كراء السّيارات.

- حظّاً موفقاً! لكنّني أضمَنُ لكَ أنّك لن تعثر على شيء.

ألقى عليه كوساناغي نظرة قاسية، لكنّ يوكاوا تظاهَرَ بأنّه لم ينتبِه إليها، فواصَلَ كوساناغي:

- كلّ ما أقوله هو أنّ الضّحية إن كان قد قُتل في مكان آخر، فإنّ إشيغامي بالتأكيد هو من تكفّل بنقل الجثة، بيد أنّه ليس من المستحيل أن تكون الجريمة قد ارتُكبت حيث عُثر على الجثة. وبما أنّ ياسوكو لم تكُن وحدها فكلّ شيء ممكن.

- تُريد أن تقول إنّهما قد قتلا توغاشي معاً وشوّها وجهه وأحرقا أطراف أصابعه وجرّداه من ملابسه قبل إحراقها كي يُغادِرا مكان الجريمة بعد ذلك راجلين؟

- قد لا يكونان انصرفا سوية. ما كان مُهمّاً هو أن يعودا قبل نهاية الفيلم.

- وبحسب هذا السّيناريو يكون الضّحية هو مَن استعمل الدّراجة الهوائية التي تمّ العثور عليها في عين المكان.

- أجل، الأمر كذلك.

- وقد يكون إشيغامي، الدهارما، قد نَسِيَ مسح البصمات من على الدّراجة، فيكون بذلك قد ارتكب خطأ بدائياً.

- حتّى النّبغاء يُمكن أن يُخطئوا.

آتى يوكاوا حركة نفي بطيئة من رأسه.

- ليس إشيغامي مَن يرتكب خطأ مثل هذا.

- لماذا لم يمسحها إذاً، ما دام الأمر كما تقول؟

- كثيراً ما فكّرت في ذلك، قال يوكاوا وهو يُشبّك ذراعيه على صدره، وما زلت أُفكّر فيه لأنّني لم أعثر بعد على جواب.

- ألا ترى أنّك تُعطيه أهمية زائدة؟ هو نابغة في الرّياضيات لكنّه مُبتدئ في الجريمة.

- لا فرق عنده بين الأمرين، أجابَ رجل الفيزياء بهدوء، وربّما كان ارتكاب الجريمة عنده أسهل.

هزّ كوساناغي رأسه ببطء قبل أن يحمل فنجانه.

- سأراقب إشيغامي. فإنْ كان لياسوكو شريك ذكر سيأخذ التّحقيق بُعداً جديداً.

- في السّيناريو الذي تتبنّاه أنت، تكون الجريمة قد ارتُكِبَت بطريقة غير مُتقنة لأنّ عدّة مُؤشّرات أُهمِلَت كمثل البصمات التي لم تُمسح من على الدّراجة وملابس الضحية التي لم تَحترق عن آخرها. لكنّني أُريدك أن تُجيبني عن هذا السّؤال: هل كان هُناك تعمّد في ارتكاب الجريمة أم لا، من وجهة نظركَ؟ أم لعلّك ترى أنّ الجريمة ارتُكبت نتيجة تهوّر لطارئ طرأ؟

- حسن... ثمّ قطع كوساناغي كلامه قبل أن يُواصل وهو يتفرّس في وجه صديقه: ليس مُستَبْعَداً أن تكون الجريمة نتيجة تهور. يُمكننا أن نتصوّر أنّ ياسوكو كانت قد استدعت توغاشي لتتحدّث معه وأن يكون إشيغامي قد رافَقَها ليكون حارساً شخصياً لها، بشكلٍ من الأشكال. ثمّ قد يكون الحوار حادَ عن مجراه فقتلاه معاً. ألا ترى أن هذا الافتراض مُحتَمَل الوقوع؟

- إن كانت فرضيتك صحيحة فإنّها لا تتناغم مع حكاية السينما، قال يوكاوا. لَمَا كانت احتاجت حُجّةً لو كانت تنتظر لقاءه لمحادثته. لم تكن بحاجة حتّى ولو لحجّة ناقصة.

- أتقول هذا لاعتقادك بأنّ كلّ شيء كان مُفكّراً فيه سلفاً وأنّها هي وإشيغامي كانا ينتظران توغاشي بنيّة قتله؟

مكتبة
t.me/t_pdf

- لا، فهذا يبدو لي ضعيف الاحتمال.

- أنت لا تدري ما تريده! قال كوساناغي مُدّعياً التّعب.

- ما كان بإمكان إشيغامي أن يضع سيناريوهاً بهذا النّقص. لا يُمكنني تصورُ أنّه قد وضع تخطيطاً تعتوره هذه الثّقوب كلّها.

- يُمكنك أن تقول ما تشاء... ثمّ قطع كلامه صوتُ رنين الهاتف المحمول. معذرة، قال قبل أن يُجيب.

كانت المكالمة من كيشيتاني الذي يملك معلومة مهمّة يُريد نقلها له. استمع كوساناغي إليه وهو يُسجّل رؤوس أقلام.

- لقد علمنا لتوّنا بأمر غاية في الأهمية، قال مُعلّقاً بعد إنهائه المكالمة. إحدى صديقات ميساتو، ابنةِ ياسوكو، أدلت لتوها بشهادة ذات قيمة كبيرة.

- ما شهادتها؟

- كانت ميساتو قد أخبَرَتْها، يوم وقوع الجريمة، بأنّها ستذهب إلى السينما مساء برفقة أمّها.

- حقّاً؟

- هذا ما أكّده كيشيتاني لتوّه. فتكون النّتيجة أنّ قرار الأمّ وابنتها الذّهابَ إلى السينما لم يكن وليد آخر لحظة.

ثمّ رفع كوساناغي رأسه نحو صديقه، قائلاً:

- يُمكننا إذاً أن نعتقد أنّهما كانتا قد قرّرتا ذلك سلفاً.

لكن يوكاوا حرّك رأسه جانباً وقد أصبحت نظرته قاسية.

- هذا مُستحيل، قال بنبرة صارمة.

13

حانة ماريان توجد على بُعد خمس دقائق مشياً من محطّة كينشيشو، في الطّابق الخامس من عمارة تحتلّها محلّات كثيرة من الصّنف نفسه. لم تكُن البناية حديثة، فجَعَل المصعد يصرّ.

نظر كوساناغي في ساعته فرأى العقرب يقترب من التّاسعة مساء. قد لا تكون الحانة مُمتلئة الآن وهو ما يُناسب طرح أسئلة على مستخدميه. من الصّعب تصور سبب رواج حانة مثل هذه، قال في سرّه وهو ينظر إلى الصّدأ الذي علا جدران المصعد.

كانت تنتظره مُفاجأة. بحانة ماريان عشرون مائدة احتُلّ أكثر من ثُلثها تقريباً. بدا من مظهر الزّبائن أنّ غالبيتهم موظّفو إدارة، بينما كانت ملابس البعض تجعل من الصّعب معرفة أيّ مهنة يُزاولون.

- لقد ذهبت إلى حانة بغينزا منذ مدّة في إطار تحقيق -وشوش له كيشيتاني- فوجدتُ صاحبته تتساءل عن سبب انصراف كلّ الزبائن الذين اعتادوا ارتياد حانتها كلّ مساء، ويبدو لي أنّ طائفة منهم قصَدَت هذا المحل.

- أعتقد أنّك مُخطئ، أجاب كوساناغي. مَن اعتادَ الفخامة لا يُمكنه أن يتخلّى عنها بسرعة. الأشخاص الموجودون هنا ليسوا من نفس طبقة أولئك الذين يرتادون غينزا.

التفت نحو مُستخدم وأخبره أنّه يريد مُحادثة المسؤول عن المحلّ، فابتسم الشّاب في وَجهه واختفى في خلفية الحانة.

اقترب منهما رجل آخر يرتدي ملابس سوداء وقادهما إلى الكونتوار، سائلاً إيّاهما:

- ماذا أُقدّم لكما؟

- جعة، أجاب كوساناغي.

- أتعتقد ألّا ضرر في ذلك؟ سأل كيشيتاني عندما ابتعد النّادل. نحن في مهمّة!

- إن لم نشرب شيئاً عَدّ باقي الزّبائن ذلك غريباً من جانبنا.

- أما كان بإمكاننا طلب شاي؟

- ألن تُصدَم أنت من رؤيتك شخصين بالغين يشربان الشاي في حانة؟

اقتربت منهما امرأة في حوالي الأربعين من عمرها ترتدي سترة وتنوّرة رماديتين، عاقدة شعرها مرفوعاً إلى الأعلى، وقد وضعت أصباغها بعناية. كانت رقيقة وبارعة الجمال.

- مرحباً بكما. قيل لي إنّكما تُريدان مُحادثتي، قالت مُتبسّمة.

- نحن رجلا شرطة، قال كوساناغي بصوتٍ خافتٍ قليلاً.

وجّه كيشيتاني كفّه إلى جيب سترته الدّاخلي، وهو يقف إلى جانب زميله، لكنّ كوساناغي أشارَ عليه بنظرة أن يكفّ عن ذلك، ثمّ توجّه باهتمامه صوب المرأة.

- أتُريدين رؤية بطاقتَي عملنا؟

- لا، لا أهمية لذلك، قالت وهي تأخذ مكانها بجانب كوساناغي.

قدّمت له بطاقة زيارتها فقرأ عليها اسم سونوكو سوغيمورا.

- أنت مُدبّرة المحلّ؟

- أجل، تلك مهنتي هنا، أجابت، مع إبداء بسمة أخرى، لتُعلمهما أنّ الحانة ليست في ملكيتها.

- تبدو الأمور رائجة! قال كوساناغي معلّقاً وهو يمسح الحانة بنظرته.

- لا يجب الانخداع بالمظاهر. فإن كان رئيسي لم يُسلّم مفتاح المحل بعد فلأنّ له محلّات أخرى تُعوّض ما نتكبّده هنا من خسائر. وغالبية الزّبائن إنّما يأتون لمُساعدته على الاستمرار.

- حقّاً؟

- مُستقبلنا ليس مضموناً البتّة. وربّما كانت سايوكو على حقّ عندما انطلقت مع زوجها في تجارة البطون.

كان الاعتزاز الذي لمحه كوساناغي في صوتها مع الثّقة التي تتحدّث بها عن رئيسها قد ناقضا تشاؤم كلامها.

- يبدو أنّكِ تلقّيت زيارات كثيرة من زملائنا.

حرّكت رأسها.

- نعم، بخصوص السّيد توغاشي. أنا من تحدّثت إليهم في ذلك. أنتما هنا للغرض نفسه؟

- بالضّبط. نحن نعتذر عن إبداء كلّ هذا العناد.

- سبق لي أن قلتُ هذا في يوم لزميلكم، لكنّني أعتقد أنّكم تُخطئون إذ تشتبهون في ياسوكو. وكي نبدأ حوارنا أقول لكما إنّه لم يكن لها من وجهة نظري أيُّ سبب لاقتراف أمر مثل هذا.

- أنا لا أذهب إلى حدّ القول بأنّنا نشتبه بها، أجاب كوساناغي مع بسمة صفراء أرفَقَها بحركة نفي من كفّه. التّحقيق لا يتقدّم البتّة

فقرّرنا أن نبدأ ثانية من الصّفر. وهذا هو سبب وجودنا في محلّكم اليوم.

- أن تبدأوا من الصّفر... كرّرت سونوكو سوغيمورا مع إطلاق تنهيدة خفيفة.

- ألم يكن شينجي توغاشي قد زار محلّكم يوم 5 مارس؟

- بلى، وكانت زيارته قد فاجأتني لأنّنا لم نكُن قد رأيناه منذ مدّة طويلة ولم أكُن أعتقد أنّني سأراه من جديد.

- هل كنتِ قد التقيتِ به قبل ذلك؟

- مرّتين. كنت أشتغل عندها في المكان نفسه الذي اشتغلت فيه ياسوكو بأكاساكا، وكانت أموره تبدو عادية أيّامئذٍ.

ثمّ أوحَت بأنّ انطباعاً مُختلفاً كان حصل لها عنه آخر مرّة رأته.

- ألم يكُن غَرَضه هو معرفة مكان ياسوكو هناووكا؟

- كنت فهمتُ أنّه يُريد لقاءها، لكنّني لم أُخبره بشيء لعلمي بما كان يُسبّبه لها من مُعاناة. بعد ذلك تحدّث إلى أشخاص آخرين غيري. وكنتُ من جانبي قد ارتكبت خطأ فادحاً إذ اعتقدت ألّا واحدة من الفتيات المشتغلات هنا تعرف ياسوكو، لكنّ إحداهن كان قد سبق لها أن زارت محلّ سايوكو، ومنها علم توغاشي أنّ ياسوكو تشتغل ثمّ.

- مفهوم.

حرّك كوساناغي رأسه، ففي أماكن مثل هذه حيث تتوثّق العلاقات، يغدو مستحيلاً الاختفاء من دون ترك أثر.

- هل ينتمي كونياكي كودو إلى زبائنكم المعتادين؟ سأل.

- السّيد كودو؟ الذي يملك مطبعة؟

- نعم.

- أجل، غالباً ما يأتي. لكنّ مجيئه قلّ في الفترة الأخيرة، أجابت مُميلة رأسها جانباً. أتهتمّون به هو أيضاً؟

- لقد سمحت لنفسي أن أرى أنّه كان له ميلٌ ما تجاه ياسوكو هناووكا عندما كانت تشتغل هنا.

أقرّت قوله وافترّت شفتاها ببسمة خفيفة.

- الأمر كما تقول. كان يولي رفقتها تقديراً خاصّاً.

- أتعتقدين أنّ أمراً ما قد يكون قام بينهما؟

نفت برأسها.

- يرى البعضُ ما تقول، لكنّني من جانبي أشكّ في ذلك.

- لماذا؟

- كانا قريبين بعضهما من بعض زمن اشتغال ياسوكو في أكاساكا، أي عندما كان توغاشي يُسبّب لها متاعب كثيرة. كان كودو على علم بما يفعله توغاشي بها، غير أنّني لا أعرف على أيّ حال كيف علِم به، وكانت هي تطلب منه النّصح لكنّهما لم يُعطياني الانطباع يوماً بأنّهما عشيقان.

- قد يكونان أصبحا كذلك لاحقاً، أي بَعد طلاقها.

نفت سونوكو سوغيمورا بحركة من رأسها.

- السّيد كودو ليس كما تقول. ولو كانت علاقتهما قد تطوّرت بهذه الكيفية لكان النّاس قد فكّروا في أنّه هو مَن ساعدها على الانفصال عن زوجها لتحقيق هذا الهدف. لذلك أعتقد أنّ علاقتهما بعد ذلك استمرّت ودية صرفاً. أضِفْ إلى ذلك أنّ السّيد كودو متزوّج.

بدا أنّ سونوكو سوغيمورا تجهل أنّ كودو قد فَقَدَ زوجته. التزم كوساناغي الصّمت مُقدّراً أنّه ليس عليه إخبارها.

ربّما كانت رؤيتُها للأمور دقيقة، لأنّ حدس النّساء اللّائي يمتهنّ مهنتها يتجاوز بمراحل حدس رجال الشّرطة.

تعزّزت قناعة كوساناغي ببراءة كودو فبدا له أنّ الوقت قد حانَ للمرور إلى النّقطة الموالية.

أخرج الشّرطي صورة من جيبه وعرضها أمام سونوكو سوغيمورا.

- أتعرفين هذا الشّخص؟

إنّها صورة تيتسويا إشيغامي، كان كيشيتاني قد التقطها في غفلة من الأستاذ لحظة مُغادرته الثّانوية، تُبديه من الجانب ينظر إلى البعيد.

تأمّلتها سونوكو بتركيز.

- مَن هو؟

- ألا تعرفينه؟

- لا. هو ليس زبوناً لمحلّنا.

- اسمه إشيغامي.

- إشيغامي...

- قد تكون ياسوكو هناووكا حدّثتك عنه.

- أنا متأسّفة، لا أتذكّر شيئاً بخصوصه.

- هو أستاذ ثانوي. أمتأكّدة أنتِ أنّها لم تقُل لكِ قطّ شيئاً عنه؟

- أوه... ثمّ نفت برأسها. نحن نتحدّث بيننا من حين إلى آخر، لكنّها لم تُحدّثني عنه قطّ.

- ألا تعرفين ما إن كانت على علاقة برجلٍ ما؟ ألم تطلب منك المشورة؟ ألم تُحدّثك بشيء في هذا الموضوع؟

جعل سؤاله بسمةً مُضطربة تبرز على محيا سونوكو سوغيمورا.

- سبق لي أن أخبرتُ زميلك الذي مرّ منذ مدّة أنّ ذلك لم يحصل. ليس مُستبعداً أن يكون في حياتها شخص وهي تُخفي عنّا أمره، لكنّني لا أعتقد بذلك. تستنفد تربيتُها لابنتها طاقة كبرى ولا أعتقد أنه يفضل لها من ذلك شيء لأمور القلب. وعلى أيّ حال فإنّ لسايوكو هذه الفكرة نفسها.

حرّك كوساناغي ذقنه مُوافقاً من دون أن ينبس، فهو لم يكُن يشعر بخيبة ما لأنّه لم يكن ينتظر أن يكتشف معلومات عن علاقة إشيغامي بياسوكو. لكنّ سماعه أنّ ياسوكو لم يكن لها ارتباط برجل جعل فرضيته بوجود تواطؤ بينها وبين إشيغامي تغدو في غاية الهشاشة.

دخل زبون جديد فأفهمته سونوكو سوغيمورا بهيئتها أنّها كانت تودّ استقباله.

- قلتِ إنّك تتبادلين المكالمات مع ياسوكو هناووكا باستمرار، أبإمكانكِ إخباري بتاريخ آخر مُحادثة دارت بينكما؟

- أعتقد أنّ ذلك يعود إلى اليوم الذي تحدّثوا فيه في الأخبار عن توغاشي. فاجأني ما سمعتُ فاتّصلت بها، وقد حكيتُ هذا سلفاً لزميلكم.

- كيف وجدتِ حالتها؟

- كانت كما تكون في العادة وأخبرتني أنّ الشّرطة كانت قد زارتها.

تجاوز كوساناغي عن تدقيق أنّه هو وكيشيتاني مَن كانا زاراها.

- ألم تكوني قد أخبرتها أنّ توغاشي أتى سائلاً عن مكان عملها الجديد؟

- كلّا. وعليّ أن أقول بالأحرى إنّ نيتي كانت أن أُخفي الأمر عنها لأنّني لم أكُن أريدها أن تقلق.

كانت ياسوكو هناووكا إذاً تجهل سعيَ توغاشي للقائها، ولم يكُن بإمكانها أن تتنبّأ بأنّه سيزورها فلم يكن إذاً بمستطاعها أن تضَع خطّة لقتله.

- ومع ذلك فقد كنت تساءلتُ في سرّي ما إن كان عليّ إخبارها، لكنّها كان لها أشياء كثيرة تُريد إطلاعي عليها تلك المرّة فلم أجد فرصة لإخبارها.

- تلك المرّة؟ بدا كوساناغي غير متأكّد ممّا إذا كان قد فَهِم قصدها. عن أيّ مرّة تتحدّثين؟ لدي انطباع بأنّك لا تقصدين آخر مرّة حدّثتِها فيها.

- أوه، معذرة! أنا أقصد محادثتنا ما قبل الأخيرة، والتي جرت بيننا على الأرجح ثلاثة أيام أو أربعة بعد زيارة توغاشي. كانت قد تركت لي رسالة فاتّصلتُ بها هاتفياً.

- هل يُمكنك إخباري بتاريخ هذه المحادثة؟

- انتظر...

أخرجت هاتفها المحمول من أحد جيوب سترتها، لا لتنظر في لائحة المكالمات كما كان ينتظر كوساناغي وإنّما لتُراجع الرّوزنامة. رفعت رأسها.

- يوم 10 مارس.

- 10 مارس؟ قال مُتعجّباً وهو يتبادل نظرة مع كيشيتاني. هل أنتِ متأكّدة؟

- أجل، لا أعتقد أنّني مُخطئة.

العاشر من مارس، يعني يوم مقتل شينجي توغاشي.

- في أيّ ساعة؟

- حسن. . . كنت قد عدتُ إلى بيتي، ومن المفروض أن يكون الوقت هو الواحدة صباحاً تقريباً. كانت قد حدّثتني قبل مُنتصف اللّيل لكنّني كنت بعدُ في عملي ولم أستطِعْ إجابتها.

- تحدّثتما وقتاً طويلاً؟

- ما يقرب من نصف ساعة على ما أعتقد، كما يحصل كلّ مرّة نتحدّث فيها.

- كنت إذاً قد اتّصلت بها على هاتفها المحمول؟

- لا، على ثابت بيتها.

- ربّما ستتصورين أنّني أُبالغ، لكنّ هذا يعني أنّك قد حادثتها يوم 11 مارس.

- أجل، أنت على حقّ، إن أرَدْنا التّدقيق.

- كانت إذاً قد تركت لك رسالة، ما فحواها؟ سأكون سعيداً بمعرفة ذلك لو تكرّمتِ بإخباري.

- حسن. قالت إنّها تُريد مُحادثتي وتطلب منّي الاتّصال بها.

- وفي أيّ شيء كانت تُريد مُحادثتك؟

- لا شيء ذا خطر. كانت تُريد سُؤالي عن اسم مُدلّك شياتسو الذي كان قد عالجني عندما أُصبت بآلام في الظّهر. . .

- مفهوم. . . وهل كان سبق لها أن كالمتكِ من قبل للحديث في أمور من هذا النّوع؟

- أنت تعلم أنّ اتّصالاتنا الهاتفية تكون في العادة استجابة لرغبة في الثّرثرة أكثر ممّا للحديث في أمور مدقّقة.

- حتّى ولو في ساعة متأخّرة كمثل هذه؟

- لا شيء يدعو للاستغراب، فأنا أشتغل إلى ساعة متأخّرة من

اللّيل، ولا فرصة لنا للحديث إلّا في اللّيل. أُحاول بعامّة أن أتّصل بها عشية عطلتها الأسبوعية، لكنّها هي التي كانت قد اتّصلت بي هذه المرّة.

أقرّ كوساناغي كلامها بحركة من رأسه، بيد أنّه لم يكن مُقتنعاً كلّ الاقتناع.

غادر المفتّشان الحانة وراح كوساناغي يُفكّر وهو يمشي في اتّجاه محطّة كينشيشو. كان آخر ما صرّحت به سونوكو سوغيمورا يُبلبله. ياسوكو هناووكا أجابتها في وقت متأخّر يوم 10 مارس، ومن بيتها، ما يعني أنّها كانت موجودة في مسكنها في تلك اللّحظة.

كثيرٌ من الأشخاص ضمن الفرقة المكلّفة بالتّحقيق يُقدّرون أنّ الجريمة قد تكون ارتُكبت بعد السّاعة الحادية عشرة مساء، وكان هذا الافتراض ينبني على اتّهام ياسوكو هناووكا. فحتّى لو كانت حُجّتها ذات مصداقية، وإن كانت قد قضت بعض الوقت في قاعة الكراوكي، فإنّه كان بإمكانها أن ترتكب الجريمة بعد ذلك.

بيدَ أنّه لا وجود لمحقّق واحدٍ يُدافع دفاعاً حقيقياً عن هذه الفرضية التي تعني أنّ القاتلة قد تكون وصلت إلى المكان الذي تمّ العثور فيه على الجثة حوالي مُنتصف اللّيل أو قبله. فحتّى لو قبلنا بذلك فإنّها ما كان بإمكانها أن تستعمل وسائل النّقل العمومية بعد ارتكابها الجريمة، والمجرمون الذين يكونون قد ارتكبوا لتوّهم جُرمهم يتفادون بعامّة استقلال التّاكسي لأنّ ذلك معناه ترك آثار. أضف إلى ذلك أنّ عدداً قليلاً من التّاكسيات يمرّ قرب المكان الذي ارتُكِبت فيه الجريمة.

كان وقت سرقة الدّراجة الهوائية يطرح مشكلاً آخر، فقد سُرقت قبل العاشرة مساء، وإن كانت قد استُعملت وسيلةً للتّمويه فإنّ من

المفروض أن ياسوكو كانت موجودة في محطّة شينوزاكي في تلك اللّحظة. وحتّى لو كان توغاشي هو مَن سرق الدّراجة، فإنّ تساؤلاً آخر يبقى مُلحّاً: كيف قضى وقته إلى أن التقى بياسوكو حوالي منتصف اللّيل؟

لهذه الأسباب لم يسعَ كوساناغي وزملاؤه لمعرفة ما إن كانت لها حجّة تُبرّر بها ما فعلته بعد زيارة قاعة الكراوكي، ولو كانوا فعلوا لاكتشفوا أنّها كانت تملك حقّاً حجّة.

- أخبرني، أما زلت تتذكّر أوّل مرّة التقينا فيها بياسوكو هناووكا؟ سأل كوساناغي كيشيتاني وهما يمشيان جنباً إلى جنب.

- أجل، لماذا تسأل؟

- كيف كنتُ أنا قد سألتها عمّا إن كانت لها حجّة؟ هل كنت طرحت عليها سؤالاً مثل: «أين كنت يوم 10 مارس؟».

- لا أتذكّر التّفاصيل، لكنّني أعتقد أنّ سؤالك كان من هذا الصّنف.

- وكان جوابها أنّها قد اشتغلت نهاراً وخرجت برفقة ابنتها مساء فذهبتا إلى السينما ثمّ تناولتا عشاءهما في مطعم للمعجّنات وأنهيتا أمسيتهما في قاعة للكراوكي فقفلتا إلى حال سبيلهما قبل الحادية عشرة. ألم يكن هذا هو جوابها؟

- بلى، أعتقد.

- بحسب مُدبّرة حانة ماريان، كانت ياسوكو قد حادثتها بعد ذلك. لم يكن لديها شيء تقوله لها لكنّها تركت لها مع ذلك رسالة، فكالمتها السّيدة سوغيمورا حوالي الواحدة صباحاً وثرثرتا ما يقرب من نصف ساعة.

- ثمّ؟

- لماذا لم تُخبرني بذلك ياسوكو عندما كنتُ سألتها ما إن كانت لها حجّة؟

- لماذا؟... ألا ترى أنّها ربّما كانت تعتقد ألّا فائدة من إخبارك؟

- لماذا؟ توقّف كوساناغي وسلّط نظرته على زميله الشّاب. إن كانت قد حدّثت من بيتها شخصاً آخر فمعنى ذلك أنّها كانت في مسكنها.

توقّف كيشيتاني عن المشي بدوره وميّز وجهه.

- هذا صحيح، لكن ياسوكو هناووكا كانت فكّرت بأنّه يكفيها أن تُحدّثك عمّا صنعته خارج بيتها، وما أظنّ أنّها كانت ستتخلّف عن إخبارك بالمكالمة لو كنت سألتها.

- هل هذا هو السّبب الوحيد حقّاً؟

- أيُمكن أن تكون هناك أسباب أخرى؟ كانت الوضعية ستختلف لو كانت مُفتقرة إلى الحجّة، لكنّها لم تتحدّث هنا عن المكالمة لأنّها تملك حجّة غيرَها. يبدو لي شبهَ غريب أن تُولي الأمر كلّ هذه الأهمية.

واصل كوساناغي مشيه من دون أن ينظر إلى الوجه العابس لكيشيتاني. كان زميله الشّاب قد اصطفّ منذ البداية إلى جانب ياسوكو هناووكا، فهل يكون مُخطئاً ربّما إذ ينتظر منه رأياً مُخالفاً؟

استعادَ في ذهنه النّقاش الذي سبقَ أن دار نهاراً بينه وبين يوكاوا. كان رجل الفيزياء ثابتاً على رأيه: إن كان إشيغامي متورّطاً فإنّ الجريمة لم تكن مُتعمّدة.

كان قد نظر بداية في دَوْرِ السينما من الحجّة مُؤكّداً أنّ إشيغامي

ما كان ليعتمد عليها لو كان هو القاتل «لأنّ زيارة السينما، كما يتّضح ممّا تُبديه أنت من شكوك، ليست حجّة تحظى بالقبول، ومن المفروض أن يكون إشيغامي قد انتبه لذلك. كما أنّني أشكّ في أمرٍ آخر؛ لم يكن لإشيغامي أيّ سبب يدفعه لمساعدة ياسوكو هناووكا على قتل توغاشي. فحتّى لو كان زوج هناووكا السّابق يُزعجها لكان إشيغامي قد عثر على وسيلة أخرى لحلّ المشكل، ولما كان التجأ بالتأكيد إلى القتل».

وكان كوساناغي قد سأله ما إن كان يُريد القولَ بذلك إن إشيغامي لم يكن من القسوة إلى درجة ارتكاب جريمة، فأتى يوكاوا من دون تردّد حركة نفي من رأسه مُضيفاً:

- ما أقوله لا علاقة له البتّة بالمشاعر. إنّ قتلَك شخصاً للتّخلّص من المعاناة التي يُكبّدك إيّاها ليس فيه أيّ شيء من العقلانية، لأنّ ارتكاب جريمة يُؤدّي إلى ضروب أخرى من المعاناة، وإشيغامي لا يتصرّف بهذه الطّريقة الغبية. أنا أعتقد، على العكس من ذلك، أنّه أقدرُ على القيام بأفعالٍ أكثر قسوة، لكن شريطة أن تكون عقلانية.

وكيف كان يوكاوا يتصوّر تورّط صديقه في هذه القضية؟ هكذا شرح له رجلُ الفيزياء:

- إنْ كان مُتورّطاً، فإنّني لا أخال ذلك إلّا ضمن ظروف تستبعد مُشاركته في الجريمة بالمعنى الحقيقي لكلمة جريمة، وتجعله لا ينتبه لما فعل إلّا بعد أن تكون الجريمة قد ارتُكبت. ما الذي كان بإمكانه أن يفعله بعد وقوع الجريمة؟ لو كان بالإمكان طمس آثارها لتكلّف بذلك، ولو كان الأمر مستحيلاً لاستحضر كلّ الإجراءات التي من شأنها تأخيرُ وصول المحقّقين إلى الحقيقة، فيُقدّم توجيهات لياسوكو

هناووكا وابنتها، كأن يدلّهما مثلاً على طريقة الإجابة عن أسئلة المحقّقين وفي أيّ لحظة تُقدّمان لهم هذا العنصر أو ذاك لإقامة الدّليل على ما تقولانه.

كان يوكاوا يفترض، بعبارة أخرى، أنّ كلّ ما صرّحت به ياسوكو هناووكا وابنتها له ولزملائه لا يعكس أفكارهما وإنّما التّوجيهاتِ التي كان إشيغامي يُقدّمها لهما في الكواليس.

لكنّ رجل الفيزياء ما انفكّ أن أضاف بعد ذلك بصوت ثابت:

- هذا بالطّبع ليس إلّا كلاماً ناتجاً عن حدسٍ لديّ، وهو مبنيّ على فرضية تورّط إشيغامي، لكن من الممكن أن تكون هذه الفرضية خاطئة، أو بالأحرى يحدوني أمل أن أكون مُخطئاً، وأن تكون فرضيتي هي نتاج إفراط في الخيال. نعم أنا آمل من كلّ قلبي أن يكون الأمر كذلك.

كان تعبير غير مُعتاد قد جَثَمَ على محيا صديقه وهو يقول ذلك، إذ بدا متألّماً وحزيناً، فحصل لدى كوساناغي انطباع حتّى بأنّ صديقه خائف، خائف من أن يفقد هذا الرّفيق الذي عثر عليه بعد هذه السّنوات كلّها.

لماذا كان الأمر قد وصل بيوكاوا حدّ أن يشتبه بإشيغامي؟ هو لم يكن قد أسرّ لكوساناغي بأيّ شيء في هذا الموضوع؛ فعندما انتبه إلى أنّ لإشيغامي تعاطفاً مع ياسوكو تولّد هذا الشّكّ لديه، لكنّه لم يُخبِر كوساناغي بأيّ شيء من الأسباب التي قادته إلى التّفكير في ذلك.

بيد أنّ قدرات رجل الفيزياء على الملاحظة وكفاءته في الاستنباط كانت توحي لكوساناغي بثقة مُطلقة، حتّى أنّه أضحى على

اقتناع أنّ صديقه إن فكّر في شيء فلا يُمكن أن يكون إلّا على حقّ. قادَه هذا التّفكير إلى تصديق ما عَلِمَه لتوّه بالحانة.

لماذا لم تقل ياسوكو شيئاً لكوساناغي عن الجانب المتعلّق بحجّتها المرتبط بليلة وقوع الجريمة؟ فلو كان أمراً مُعدّاً لتوظيفه في لحظة شكّ الشّرطة فيها لكان منطقياً أن تتحدّث عنه منذ البداية. وإن كانت لم تفعل، أفلا يكون ذلك بسبب تلقّيها توجيهات تأمرها بألّا تقول إلّا الحدّ الأدنى الأساس؟

تذكّر كوساناغي مُلاحظة كان يوكاوا قد أبداها قبل بداية اهتمامه عن قرب بهذه القضية، عندما كان هو، كوساناغي، قد أخبره أنّ ياسوكو هناووكا كانت قد أخرجت تذكرتي السينما من مطوي عن الفيلم. «لن يذهب شخصٌ عادي إلى حدّ التّفكير في المكان الذي يحتفظ فيه بتذاكر السينما المعدّة كي تكون حجّة له. إن كانت قد تعمّدت دسّ التّذكرتين في مطويّ الفيلم، فإنّ الجولة لم تُربح بعد».

دخلَ زبون المحلَّ بعد السّادسة بقليل، في اللّحظة التي كانت ياسوكو تستعدّ لخلع وزرتها. بردّ فعل مُعتاد رحّبت به وأبدت له بسمة، لكنّها اضطربت قليلاً عندما نظرت إليه. هي تعرفه معرفة سطحية، ولا تعلم عنه أكثر من كونه صديقاً قديماً لإشيغامي.

- أرى أنّكِ لم تنسيني، قال لها. لقد سبقَ لي اكتشاف محلّكم بمساعدة من إشيغامي.

- نعم، أتذكّر ذلك، أجابت مع بسمة جديدة.

- وجدتُني في حيّكم فتذكّرت وجباتكم. كانت لذيذة تلك التي ابتعتها منكم المرّة الفائتة.

- يُسعدني ذلك.

- الآن. . . أعتقد أنّني سآخذ وجبة اليوم. كان إشيغامي قد أخبرني أنّه يأخذها يومياً، وكانت قد نفدت تلك المرّة، فهل بقي منها شيء اليوم؟

- بالطّبع.

ذهبت لنقل الطّلب وهي تحلّ أزرار وزرتها.

- أوه! تستعدّين للانصراف؟

- نعم، أُنهي عملي في السّادسة.

- لم أكن أعلم. وستعودين إلى بيتك؟

- أجل.

- هل تسمحين لي، في هذه الحال، بمرافقتك؟ أحبّ أن أتحدّث إليك.

- تتحدّث إليّ أنا؟

- نعم. ربّما وجبَ أن أقول إنّني أُريد استشارتكِ بخصوص إشيغامي.

وأبدى لها بسمة مُثقَلَة دلالةً.

استولى على ياسوكو قلق ظاهر.

- لا تكاد تكون لي معرفة بإشيغامي، أتدري. . .

- لن أُطيل عليكِ، ويمكننا الحديث ونحن نمشي.

كان صوته لطيفاً بيدَ أنّ طريقة حديثه بَدَت حازمة.

- حسن، لكن لا وقت لي إلّا القليل، أجابَت رغماً عنها.

قدّم الرّجل نفسه. اسمه مانابو يوكاوا، درسَ في الجامعة نفسها مع إشيغامي، وهو يُدرِّس بها الآن. انتظرا إعداد الطّلب ثمّ غادرا المحلّ سوياً.

كانت ياسوكو قد أتت إلى عملها كالعادة بالدّراجة الهوائية، فجعَلَت تدفعها كي تمشي بجانبه لكنّه طلب منها أن يقوم هو بذلك.

- ألم يسبق لك أن أجريتِ محادثات حقيقية مع إشيغامي؟

- فقط نتبادل بعض الكلمات عندما يأتي إلى المحلّ، لا غير.

- هكذا! قال قبل أن يسدر في صمته.

- و... ألم تكن تُريد استشارتي بخصوصه؟ قالت في الأخير.

استمرّ يوكاوا مع ذلك في التزامه الصّمت، وعندما فتَحَ فاه استولى القلق على ياسوكو.

- إنّه حقّاً شخص بسيط.

- معذرة؟

- إنّه بسيط، إشيغامي. لا ينتظر أبداً أجوبة مُعقّدة ولا يسعى أيضاً إلى عدّة أمور في الآن نفسه. كما أنّ الوسائل التي يختارها للوصول إلى غايته هي أيضاً بسيطة، ما يجعله لا يعرف للشّك سبيلاً. ومن الواجب القيام بالكثير لجعله يترنّح، لكنّ هذا يعني أيضاً أنّه ليس ذا موهبة كبيرة في فنّ العيش، لا يُقامر أبداً إلّا فرداً أو ضِعفاً، وهي مُجازفة تُشكّل جزءاً من يومه.

- أنا آسفة، سيد يوكاوا، لكنّني...

- معذرة، ربّما ما فهمت شيئاً ممّا قلتُ، قال مع بسمة مُصطنعة. تعرّفتِ عليه عندما انتقلت للسّكن في البناية نفسها؟

- نعم، عندما ذهبت لتقديم نفسي للجيران.

- وكنت قلت له في تلك اللّحظة إنّك تشتغلين في مطعم الوجبات الجاهزة؟

- نعم، بالضّبط.

- ومنذ تلك اللّحظة بدأ يرتاده؟

- أوه... ربّما.

أحسّت ياسوكو بالاضطراب لأنّها لم تكُن تنتظر هذا السّؤال.

- لماذا تسألني عن هذا؟

- لأنّه... قال وهو يُحوّل بصره نحوها من دون أن يتوقّف عن المشي، لأنّه صديقي، له اعتبار عندي، وأُريد معرفة ما يحدث.

- لكنّنا لا نلتقي إلّا في النّادر...

- أعتقد أنّ لقاءاتكما تكتسي أهمّية لديه، أهمية بالغة وأنتِ على علمٍ بذلك.

لاحظت ياسوكو نظرته القاسية فارتَعَدَت من دون أن تعرف لماذا. طفا على وعيها أنّه على بيِّنة من أنّ لإشيغامي ميلاً لها، وهو يسعى إلى معرفة ما الذي جعله يميل إليها.

انتبهت أنّها لم يسبق لها قطّ أن فكّرت في هذا الأمر. هي كانت تعي مع ذلك، وأكثر من أيّ كان، أنّها ليست جميلة إلى تلك الدّرجة حتّى يقع رجل في حبّها من أوّل نظرة.

حرّكت ياسوكو رأسها نفياً.

- لم أُلاحظ شيئاً، وأنا لا أكذبك القول إذ أقول إنني لم أكَد ألتقي به أبداً.

- حسن! هذا ليس في الحقيقة مُثيراً للاستغراب، قال بنبرة هادئة قليلاً. وما رأيكِ فيه؟

- حسن...

- لا يمكنكِ إلّا أن تكوني قد انتبهتِ للمشاعر التي يُكنّها لكِ، فما رأيك في ذلك؟

بلبلها هذا السّؤال غير المنتَظَر. خمّنت أنّه لن يتركها تتحاشى الإجابة بضحكة.

- لكن الأمر ليس كذلك من جانبي حتّى وإن كنت أعتبره رجلاً طيّباً وشديد الذّكاء.

- أنتِ إذاً تعرفين أنّه رجل طيّب وذكيّ للغاية، قال يوكاوا وهو يتوقّف.

- هذا هو الانطباع الذي يتركه لديّ على أيّ حال.

- حسن. معذرة على تأخيري لك، قال وهو يُسلّمها مقود الدّراجة. سلّمي عليه.

- بكلّ فرح، لكنّني لا أعرف متى سألقاه...

رفع يوكاوا رأسه باسماً وانصرف. أحسّت ياسوكو وهي تراه يبتعد بضغط غير مسبوق.

14

كان المزاج السّيئ ظاهراً على محيا التّلاميذ، وكانت بعض الوجوه تعكس ألماً بينما تجاوزت أخرى هذه المرحلة إلى مرحلة الخيبة. موريوكا، من جانبه، لم يُلقِ ولو نظرة واحدة على ورقته منذ بداية الامتحان، وراح ينظر من النّافذة، رأسه موضوع على قبضة يده. كان الجو جميلاً وقد تزيّنت السّماء فوق المدينة بزرقتها الكاملة. ربّما كان موريوكا يتحسّر على عدم قدرته قضاءَ يومه مُستمتعاً بالشّمس بدل هذه التّرهات.

كانت عطلة الرّبيع قد بدأت إلّا أن بعض التّلاميذ مُطالَبون بإجراء امتحانات تُوَتّر أعصابهم. كان عدد التّلاميذ الذين لم يتمكّنوا من الحصول على المعدّل المطلوب للمرور إلى القسم الأعلى كبيراً ما جعل الثّانوية تلجأ إلى تنظيم دورة استدراكية. ثلاثون من تلامذة قسم إشيغامي مدعوون للمشاركة فيها مع أعداد أكبر في موادّ أخرى مُختلفة، وها هي هذه الدّورة تُختتم اليوم بإجراء امتحان نهائيّ.

في أثناء إعداد إشيغامي لهذا الامتحان تلقّى أمراً من النّاظر المساعد بألّا تكون المسائل الرّياضية مُعقّدة.

- أنا لا أحبّ قول ذلك، لكنّك تعرف كما أعرف أنا أنّ هذا الامتحان في حقيقة الأمر ليس إلّا إجراءً شكلياً لأنّه لا يُمكننا أن

نقبل في القسم الأعلى تلاميذ راسبين. وربّما لن يكون من دواعي سعادتك أن تسمَع ما سأقوله لك، لكنّ التّلاميذ جعلوا يشتكون منذ مدّة من صعوبة مسائلك. سأكون إذاً شاكراً لكَ لو يسّرت الأمر أمام كلّ التّلاميذ الذين سيجتازون الامتحان لينجحوا عن آخرهم.

لم يكُن إشيغامي يرى البتّة أنّ المسائل التي يطرحها على تلاميذه عسيرة، بل يعتبرها على العكس من ذلك في منتهى اليُسر، لا تختلف في شيء عمّا يُقدّم في الفصل، حتى إنّه بإمكان التّلميذ المتمكّن من المعارف الأساس أن يحلّها في وقت وجيز، فما هي إلّا تنويع عمّا دُرس. بَيْدَ أنّ هذا التّنويع كان يُحيل هذه المسائل مُختلفة مع ذلك عن تلك الموجودة في الكتاب المدرسيّ أو كرّاسات التّمارين، فيجد التّلاميذ الذين يكتفون بحفظ الخطوات التي عليهم اتّباعها صعوبة بالغة في حلّها.

لكنّه امتثل لتوجيهات النّاظر المساعد في هذا الامتحان فقدّم مسائل موجودة في كرّاسات التّمارين، يُمكن لتلميذ اشتغَلَ بطريقة عادية أن يحلّها.

تثاءب موريوكا كما يطيب له ونظر إلى السّاعة الحائطية، فالتقت نظرته بنظرة إشيغامي.

وعلى العكس ممّا كان الأستاذ ينتظر أن يراه من تعبير مُنزعج على مُحيا التّلميذ، أصدر هذا الأخير حركة من فمه وهو يُعامد ذراعيه أمامه ليصنع «X» دلالة على الفشل، كما لو ليُفهمه أنّه قد تخلّى عن كلّ شيء.

أجابه إشيغامي ببسمة، فبدا في البداية وكأنّ موريوكا قد تبلبل، لكنّه ابتسم بدوره وجعل ينظر من جديد من النّافذة.

تذكّر إشيغامي السّؤال الذي سبق لموريوكا أن طرحه عليه من

قبل: «فيمَ سيُفيدنا الحساب التفاضلي؟» وكان الأستاذ قد شرحه له مُستعملاً مثال سباق الدّراجات النّارية، لكنّه لم يكن قد تأكّد من أنّه فهم.

لم يُسئه موقف موريوكا لأنّ التّساؤل عن جدوى ما يُدرّس أمر صحّي، وليس إلّا بعد انقشاع هذا الضّرب من الشّك يغدو بإمكاننا حقّاً أن نُدرّس. هذا التّساؤل ضروريّ للعثور على الطّريق المُؤدّي إلى فهم الطّبيعة الحقيقية للرّياضيات.

كثير من الأساتذة لا يبذلون أدنى جهد للإجابة عن الشّكوك المبدئية التي يُعبّر عنها تلامذتهم، وكان إشيغامي يرى أنّهم أعجز من أن يُجيبوهم عنها. فربما كان الهدف الوحيد لهؤلاء المدرّسين الذين لا يفهمون الطّبيعة الحقيقية للرياضيات هو اقتفاء أثر البرنامج المقرّر والسّماح لتلامذتهم بتدوين العناصر الأساس، أمّا الإعراب عن هذه الشّكوك فيُزعجهم.

تساءل إشيغامي عن دوره في هذا الامتحان الذي لا علاقة له البتة بجوهر الرّياضيات، لأنّ هدفه الوحيد هو تمكين التّلاميذ من نِقاط هم في حاجة إليها. لا معنى لوضع نقاطٍ وتقريرِ مَن نجح ومَن رسب، فليس ذلك من جوهر الرّياضيات ولا التّربية في شيء.

نهض إشيغامي وتنفّس بعمق.

- يُمكنكم التّوقّف عن الإجابة، قال وهو يُجيل بصره في القاعة. أريد أن تكتبوا فيما تبقّى من الوقت عمّا تُفكّرون فيه اليوم. تكتبون ذلك في ظهر ورقة الامتحان.

عمّ ضربٌ من الالتباس وجوه التّلاميذ وعلت ضحكات وسَرَت وشوشات: «ما معنى ما نُفكّر فيه؟».

- أريد معرفة أفكاركم عن الرّياضيات، وما دُمتم تُحبّون

الحديث في ذلك فبإمكانكم كتابة ما تريدون، أضاف. وسيُؤخذ هذا الجانب أيضاً بعين الاعتبار في وضع النّقطة النّهائية.

فحلّ الارتياح محلّ الانزعاج بين التّلاميذ.

- ستضع عليه نقطة؟ كم ستكون نسبتها؟ سأل فتىً.

- كلّ ذلك له علاقة بما ستكتبون. إن كنتم قد فشلتم في حلّ المسائل ابذلوا جهداً إضافياً للفلاح في هذا الجانب! أجابَ وهو يعود إلى الجلوس.

قلب كلّ التّلاميذ ورقة الامتحان، وجعل بعضهم يكتبون على الفور، من بينهم موريوكا.

بهذه الطّريقة سيكون بإمكاني نقلهم جميعاً إلى المستوى الأعلى، قال إشيغامي في سرّه. من المستحيل إعطاء نقاط على ورقة بيضاء، لكنّ الأمر لن يكون كذلك إن كَتَبَ التّلاميذ شيئاً. قد يُبدي النّاظر المساعد ربّما مُلاحظات على هذا الإجراء، لكنّه لن يكون بوسعه إلّا أن يُوافق ما دام قد قرّر إنجاحَ كلّ التّلاميذ.

دقّ الجرس مُعلِناً نهاية الامتحان، فمنح إشيغامي خمس دقائق إضافية لبعض التّلاميذ الذين طالبوا بوقت قليل آخر.

غادر القاعة بعد أن جمع كلّ الأوراق، وما أن غدا خارج الفصل حتّى رفع التّلاميذ أصواتهم بالحديث. قال بعضهم مُتعجّباً: «كنّا محظوظين!».

عاد إلى قاعة الأساتذة فوجد مُستخدماً إدارياً في انتظاره.

- السّيد إشيغامي، يُريد شخصٌ مُقابلتك.

- شخص يريد مُقابلتي؟

اقترب المستخدم منه وأسرّ له في أُذنه.

- أخبَرَني أنّه مُفتّش شرطة.

- آه...

- كيف تُريد أن تتصرّف؟ سأل المستخدم وهو ينظر إليه نظرة مُحيّرَة.

- كيف تُريدني أن أتصرّف؟ ألا ينتظرني؟

- بلى، لكن بإمكاني اختلاق حجّة لصرفه.

تبسّم إشيغامي بأدب.

- لا داعيَ لذلك، أين هو؟

- دعوته للانتظار في الرّدهة.

- سأذهب إليه.

رتّب الأوراق في محفظته وغادر قاعة الأساتذة. سيُصحّحها في بيته.

وبما أنّ المستخدم سار في أثَره أخبَره أنّه ليس بحاجة إليه. هو يعي فضوله ورغبته في معرفة سبب هذه الزّيارة. وإن كان المستخدم، على أيّ حال، قد اقترح صرف الشّرطيّ فلأنّه كان يقول مع نفسه بالتّأكيد إنّ ذلك سيمنحه جدارة سؤال إشيغامي عن غاية المفتّش من الزيارة.

لم يُفاجَأ عندما أدرك الرّدهة ورأى المفتّش كوساناغي.

- أنا آسف على إزعاجك في مقرّ عملك، قال مُعتذراً وهو ينهض ليُسلّم عليه.

- كيف خمّنت أنّني هنا، فعطلة الرّبيع قد بدأت؟

- مررتُ في البداية إلى بيتك، وبما أنّني لم أعثر عليك هاتفت الثّانوية فعلمتُ أنّك تراقب امتحاناً استدراكياً. عملُ الأساتذة مُتعب حقّاً.

- حياة التّلاميذ أصعب من حياتنا. كانوا يجتازون امتحاناً لإنقاذ سَنَتهم.

- آه، صحيح، وإن كنت أنتَ مَن أعدّ هذا الامتحان سيكون بالتّأكيد عسيراً.

- لماذا تقول هذا؟ سأل إشيغامي وهو يتفرّس ملامح الشّرطي.

- لا لشيء... هو انطباع لا غير.

- لم يكُن عسيراً حتّى وإن كانت فيه بعض الفخاخ التي نُصبت للتّلاميذ الذين يهيمون مُتّبعين أفكارهم المسبقة.

- أيّ فخاخ؟

- فخاخ من مثل مشكلة الدّوال التي تبدو في هيئة مُشكلة هندسية، قال مُفسّراً وهو يجلس قبالة كوساناغي. لكن دَعْ عنك هذا وأخبرني فيمَ زيارتُك اليوم؟

- أمور بسيطة، قال المفتّش الذي جلس بدوره وأخرج كرّاسته. أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة حول ذلك المساء الشّهير.

- عن أيّ مساء تتحدّث؟

- مساء 10 مارس الذي وقَعَت فيه كما تعلم بالتأكيد الجريمة التي أتولّى التّحقيق فيها.

- تقصد الجثة التي عُثر عليها في ضفّة الأراكاوا؟

- لا، ليس الأراكاوا وإنّما الكيو-إدوغاوا، صحّح كوساناغي. ألم أطرح عليكَ ذاك اليوم أسئلة تخصّ جارتك السّيدة هناووكا؟ كنت سألتُك إنْ كنتَ قد لاحظتَ أمراً غير عادي حصل في بيتها في ذلك المساء.

- أتذكّر، وأعتقد أنّني كنت قد أجبتكَ بالنّفي.

- تماماً، وأُريد أن أطرح عليك بضعة أسئلة أخرى في الموضوع.

- أية أسئلة؟ أنا لا أتذكّر شيئاً ذا طبيعة خاصّة ولا أعتقد أنّ بإمكاني تذكّر شيء، قال إشيغامي بإهاب ودود.

- بالتأكيد، لكنّ تفصيلاً يبدو لكَ أنتَ غير ذي نفع قد يكون غاية في الأهمية عندنا. ستُساعدني لو استطعتَ تذكّر ما كان حصل ذاك المساء بأكبر قدر ممكن من التّفصيل، حتّى وإن لم يكُن لذلك علاقة بهذه القضية.

- آه... أرى ما تبغيه، قال إشيغامي وهو يُمرّر كفّه على عنقه.

- قلتَ إنّك ربّما قد تجد صعوبة في التّذكّر ما دام قد مرّ كلّ هذا الوقت، لذلك سمحتُ لنفسي باستعارة هذا، قال وهو يعرض ورقة حضور إشيغامي واستعماله الزّمني والجدولة الزّمنية للثّانوية. قلت ربّما تذكّرتَ أحسنَ بالعودة إلى هذه الأوراق التي تفضّلَت سكرتارية الثّانوية بتمكيني من نسخة منها.

جعلت هذه الوثائق إشيغامي يفهم قصدَ الشّرطيّ. ورغم الكلام الملتبس لكوساناغي فإنّه ليس يبحث عن معلومات تخصّ ياسوكو هناووكا، وإنّما هو يُريد أن يتأكّد ممّا إن كانت له حجّة. لم يرَ إشيغامي أيّ عنصر ملموس يُبرّر اهتمام الشّرطة به، لكنّ أمراً ما كان يشغله، ويرتبط بطبيعة الحال بتصرّفات مانابو يوكاوا.

إن كان هدف الشّرطيّ هو التأكّد من حجّته فعليه في جميع الأحوال أن يتصرّف، لذلك اعتدل في مقعده قائلاً:

- كنتُ ذلك المساء قد بقيت في الثّانوية إلى أن انتهت تدريبات الجودو، فأكون قد عدتُ إلى بيتي حوالي التّاسعة. أعتقد أنّني قلت لكم هذا من قبل.

- بالفعل، ولم تخرج بعد ذلك؟

- حسن... لا، لا أعتقد.

تردّد بنيَّة مُبيتة حتّى يكون له الوقت الكافي لفَهم قصد كوساناغي.

- لم تتلّق زيارة؟ ولم يتّصل بك أحد هاتفياً؟

أمال إشيغامي رأسه قليلاً إلى الجانب وهو يُنصت إليه.

- أتتحدّث عنّي أم عن جارتي؟

- عنك.

- عنّي أنا؟

- أنا أفهم جيداً أنّك تتساءل عمّا قد يكون لأسئلتي من ارتباط بقضية القتل. لا تعتقد أنّنا نشتبه بك، لا، نحن إنّما نُريد ببساطة إعادة تشكيل ما كان قد حدث في مُحيط ياسوكو هناووكا في ذلك المساء.

رأى إشيغامي أنّ هذا التّفسير غير مُقنعٍ بما يكفي، وربّما كان كوساناغي واعياً بذلك أيضاً.

- لم يزُرْني أحد ذاك المساء ولا أعتقد أنّ أحداً كان قد هاتفني. أنا بعامّة نادراً ما أتلقّى مُكالمات.

- حسن.

- أنا متأسّف حقّاً على تجشّمك أعباء المجيء لرؤيتي بينما أنا عاجز عن أن أقول لك شيئاً يُفيدك.

- لا أهمية لذلك، لكن... بدأ كوساناغي جملته وهو يُمسك في يده بورقة حضور إشيغامي. أرى أنّك كنت غائباً يوم 11 مارس صباحاً. أنت لم تُقدّم إلّا دروسك المسائية، ذلك اليوم، فهل طرأ شيء حينذاك؟

- يوم 11؟ لا، لا شيء ذا أهمية. كنت مريضاً فبقيتُ في البيت. كانت دروس الفصل الثّالث على وشك الانتهاء فقلت إنّ غيابي لن يطرح مشكلاً.

- هل ذهبت إلى الطّبيب؟

- لا، لم أكُن مريضاً إلى هذه الدّرجة، كما أنّني قدّمت دروسي بعد الزّوال.

- قيل لي قبل قليل في السّكرتارية إنّك نادراً ما تتغيّب، وأنّه يحصل لك أن تغيب عن حصصك الصّباحية مرّة واحدة في الشّهر.

- الحقّ أنّني آخذ عطلتي بهذه الطّريقة.

- وأخبروني أيضاً أنّك تُواصل أبحاثك في الرّياضيات مُشتغلاً طيلة اللّيل، وفسّر لي المسؤول عن السّكرتارية أنّه يحصل لك أن تأخذ صبيحةً عطلةً عندما تقضي ليلة بيضاء في إجرائك أبحاثَك.

- نعم، أتذكّر أنّني كنت قد حدّثتهم في ذلك.

- أنتَ تقوم بهذا، بحسب ما فهمتُ، حوالي مرّة كلّ شهر، واصل كوساناغي القول وهو ينظر إلى الجدولة. لكنّك في اليوم السّابق للحادي عشر من مارس، أي يوم العاشر منه، لم تحضر أيضاً دروسك الصّباحية. لم تعتبر السّكرتارية غيابك يوم 10 غريباً لأنّك عادة ما تتغيّب صبيحة في كلّ شهر، بيد أن غيابك يوم 11 فاجأهم، لأنّه لم يسبق لك أن تغيّبت صبيحتين مُتواليتين.

- ألم يسبق لذلك أن حصل... حقّاً؟ تساءل إشيغامي وهو يضع كفّه على رأسه.

لا مندوحة الآن من الحذر الأكبر.

- لا تأبه لذلك كثيراً، فكما قلتَ لتوّك. كنتُ قد استمررت ليلاً في العمل إلى وقت متأخّر ليلة 9 فلم آتِ إلى الثّانوية إلّا بعد الظّهر

من يوم 10. ولربّما كنت قد أحسستُ يومها عند عودتي إلى بيتي أنّني مُتعب، وقد أكون شعرت حتّى ببعض الحمّى، فلم أستطع حضور دروس يوم 11 صباحاً أيضاً.

- لكنّك حضرت دروس ما بعد الظّهر.

- أجل.

- مفهوم، قال كوساناغي وهو يُلقي عليه نظرة ملؤها الشّك.

- أيبدو لك ذلك غريباً؟

- كلّا، كلّا، لكن من المفروض أنّك لم تكن مريضاً للغاية ما دمت قد قدّمت دروسك المسائية. كما أنّ شخصاً في وضعيتك لا يتغيّب بعامّة حتّى عندما يشعر أنّه ليس على ما يُرام، فما بالك وقد كنت تغيّبت بالأمس!

كان ظاهراً من نبرته أنّه يشتبه في سلوك إشيغامي، ومن المفروض أن يكون على بينة من أنّ صاحبه قد يغضب من تلميحاته.

ضحك إشيغامي بتصنّع كما لو كان قد تردَّد في آخر لحظة أن يُبدي غضبه.

- لا يُمكنني أن أقول لك عكس هذا، فالواقع أنّني كنت أشعر بتعب شديد ذلك الصّباح فلم أقدر على النّهوض. وبما أنّ حالتي تحسّنت قليلاً فقد أتيت إلى الثّانوية رغم أنّني لم أكُن في كامل عافيتي، فضلاً عن أنّني كنت أشعر ببعض الذّنب طبعاً بسبب تغيبي أيضاً يوم 10 كما لاحظتَ أنتَ لتوّك.

استمع كوساناغي لتفسيراته مُسلّطاً نظره مباشرة على عينيه بإصرار فحصلَ لدى إشيغامي الانطباع بأنّ المفتّش هو ممّن يُؤمنون بأنّ الشّك يظهر في عيني المشتبه به عندما يكذب.

- مفهوم. صحيح أنّك ما دمت تلعب الجودو فإنّ نصف يوم

من الرّاحة قد يكفيك لتعود لعافيتك. أخبرني موظّف السّكرتارية أنّ تلك كانت الكَرّة الأولى التي بدوتَ فيها مُعانياً.

- أبداً! يحصل لي أن أُصاب بنزلة برد كباقي النّاس.

- وتلك كانت الحال يومئذٍ؟

- ماذا تقصد؟ لم يكن لذلك اليوم أيّ معنىً خاصّ عندي.

- آه، نسيت، قال كوساناغي وأغلق كرّاسته ونهض. معذرة على إزعاجي لكَ في مقرّ عملك.

- وأنا أعتذر لك عن عدم استطاعتي مُساعدتك.

- لا بأس.

غادر الرّجلان الرّدهة معاً، فصاحبه إشيغامي إلى مخرج الثّانوية.

- هل رأيت يوكاوا بعد لقاء ذلك اليوم؟ سأله كوساناغي ماشياً.

- كلّا، وأنت؟ ألم تجرِ عادتكما باللّقاء بين الفينة والأخرى؟

- بلى، لكنّني كنت مشغولاً جدّاً هذه الأيام. علينا أن نقضي أُمسية معاً ثلاثتنا، فقد أخبرني يوكاوا أنّك لا تكره شراب السّاكي! قال الشّرطي وهو يُؤتي حركةَ حملِ كأس.

- سيكون ذلك من دواعي سروري، لكن ألا ترى أنّه يحسن تأجيل ذلك إلى أن تنتهي هذه القضية؟

- أنتَ على حقّ، لكنّنا لا نشتغل كلّ الوقت، أتدري... سأهاتفك.

- أجل، أنا أُعول عليك.

- يمكنك ذلك! قال كوساناغي خاتماً كلامه قبل أن يُغادر الثّانوية.

عاد إشيغامي إلى الرّواق وجعل يُراقب الشّرطي من النّافذة وهو يبتعد مُخرجاً محموله. لم يكن وجهه يبدو واضحاً لإشيغامي من المكان الذي يقف فيه.

تساءل في سرّه عن معنى هذه الزّيارة المخصّصة للتأكّد من حجّته، فلا بدّ من أن يكون للمفتّش داعٍ للاشتباه فيه. تُرى ما هو؟ فهو لم يحصل لديه الانطباع خلال اللّقاءات السّابقة بأنّهم يشتبهون به.

وإذا كان لإشيغامي أن يُصدر حكماً انطلاقاً من الأسئلة التي طرحها كوساناغي اليوم، فإنّ الشّرطيّ لم يفهم بعد طبيعة هذه القضية. هو لا يزال يجسّ بعيداً عن الحقيقة. لكن من المفروض أنه سيكفيه اكتشافُ أنّ إشيغامي لا حجّة له. ليس هذا بمشكل، ولا يزال كلّ شيء ضمن الحدود التي توقّعها إشيغامي.

المشكل...

مرّ بذهنه محيا يوكاوا. إلى أي مدىً قد يكون شارف الحقيقة؟ وإلى أيّ حدّ أضحى قادراً على عرضها؟

لقد حكَت له ياسوكو شيئاً غريباً منذ أيام في الهاتف؛ ذلك أنّ يوكاوا سألها عن وجهة نظرها في جارها، إذ يبدو أنّه قد انتبه إلى ما يحمله إشيغامي لها من مشاعر.

استعادَ إشيغامي في ذاكرته حديثه مع يوكاوا من دون أن يتبيّن أيّ قرينة يُمكن أن يكون قد مكّنه منها عمّا يحمله لياسوكو بين جوانحه، فكيف إذاً أمكنَ رجلَ الفيزياء الانتباهُ إلى ذلك؟

عاد على عقبيه وذهب إلى قاعة الأساتذة، فالتقى في طريقه بالمستخدم الذي كان قد أخبَرَه بمجيء كوساناغي.

- و... الشّرطي؟

- حصل على المعلومات التي أراد وانصرف قبل قليل.
- ألن تذهب بعدُ إلى حال سبيلك؟
- ليس بعد، فقد تذكّرت أنّ لدي أمراً عليّ قضاؤه قبل ذلك.

ابتعدَ إشيغامي عن المستخدم وغذّ خطوه عائداً إلى قاعة الأساتذة.

جلس إلى مكتبه ثمّ انحنى وأخرج بضعة ملفّات من الدّرج. لم يكن لما تحويه أيّ علاقة بما يجري، إذ تضمّ جزءاً من النّتائج التي توصّل إليها إشيغامي في بحثه عن حلّ لمسألة رياضية شديدة التّعقيد، اشتغل عليها منذ عدّة سنوات.

وضع الملفّات في محفظته وغادر القاعة.

- قلتُ لك من قبل إنّ التّفكير يقتضي أن نُلاحظ ونحن نُفكّر. أمّا أن نفرح بكون تجربة قد أدّت إلى النّتيجة المُنتظرة فإنّ ذلك يعني أنّنا نحصل على انطباع ليس إلّا! لا يُمكنني أن أُصدّق أنّ كلّ شيء مرّ كما كنتَ تنتظر، وأُريدك أن تكتشف أشياء في أثناء إجرائك التجربة. أنتظر منك أن تُفكّر قليلاً أكثر ممّا فعلت حتّى الآن قبل أن تُحرّر تقريرك.

كان يوكاوا غاضباً على غير عادته. أعاد التّقرير إلى الطّالب الحزين والمغتاظ في آن وهو يُحرّك رأسه بغضب. أطرق الطّالب وغادر المكتب.

- أنت أيضاً يحصل لك أن تغضب! قال كوساناغي.
- أنا لست غاضباً، وإنّما كنت أُفسّر له نقطة مركزية، هذا كلّ ما في الأمر، قال يوكاوا ثمّ نهض ليُعِدَّ لنفسه قهوة. هل تناهى إلى علمكَ شيء منذ لقائنا الأخير؟

- تأكّدت ما إن كانت لإشيغامي حجّة، ما يعني أنّني ذهبت للقائه والحديث معه.

- هجوم صريح، أليس كذلك؟ قال يوكاوا مُتّكئاً بظهره إلى المغسل وكوب القهوة في يده. كيف كان ردّ فعله؟

- أخبرني أنّه قضى أمسية ذلك اليوم في بيته.

عقد يوكاوا حاجبيه وحرّك رأسه جانباً.

- أسألُك كيف كان ردّ فعله وليس ما كان جوابه.

- كيف كان ردّ فعله... لم يُبد أيّ تردّد. هو كان على علم أنّني أنتظره فوجدَ من الوقت ما يكفي ليُعدّ نفسه، على ما أعتقد.

- ألم يُعطك الانطباع بأنّه يستغرب سؤالك عمّا إن كانت له حجّة؟

- كلّا، لم يسألني لماذا أطرح عليه هذا السّؤال، زيادة على أنّني لم أطرحه مُباشرة.

- الأمر كذلك. ربّما قد يكون توقّع أنّك ستطرحه عليه، قال يوكاوا مُلاحظاً كما لو كان يُخاطب نفسه قبل أن يرتشف من قهوته. وقال لك إنّه قضى الأمسية في بيته؟

- وأكثر من ذلك، لم يُقدّم دروس صبيحة الغد مُدّعياً أنّه كان مُصاباً بحمّى.

وضع كوساناغي على مكتب رجل الفيزياء ورقة حضور إشيغامي التي حصل عليها من الثّانوية.

عاد يوكاوا للجلوس إلى مكتبه وأمسك بالوثيقة.

- صباح اليوم الموالي... أليس كذلك؟

- ربّما كانت له أمور أرادَ تسويتها بعد الجريمة، ما منعه من الذّهاب إلى عمله.

- وهذه المرأة التي تشتغل في محلّ الوجبات الجاهزة، ماذا فعلت في ذلك الصّباح؟

- سألتها عن ذلك طبعاً وتأكّدتُ من أقوالها. كانت قد وصلت إلى عملها في الوقت المعتاد. وكانت ابنتها قد ذهبت إلى مدرستها في الوقت المحدّد أيضاً.

وضع يوكاوا الوثيقة من يده وشبّك ذراعيه.

- ما الذي قد يكون سوّاه ذاك الصّباح؟

- لا علمَ لي، لكنّه قد يكون قضاه في التّخلّص من أداة الجريمة.

- وهل من شأن ذلك أن يستغرق أكثر من عشر ساعات؟

- لماذا أكثر من عشر ساعات؟

- ألم تُرتكب الجريمة ليلة العاشر من مارس؟ إنّ عدم اشتغاله صبيحة يوم 11 يعني أنّ ذلك قد كلّفه عشر ساعات.

- أليس من المفروض أن يكون قد نام أيضاً؟

- أتعتقد أنّ بإمكاننا النّوم في وضعية مثل هذه قبل تسوية كلّ الأمور؟ وحتّى لو كان أخذ منه ذلك كلّ هذا الوقت ولم يستطِعْ فوق ذلك إغماض عينيه، لكان ذهب بالتّأكيد إلى عمله.

- تُريد أن تقول إنّ أمراً ما جعله يغيب صباح يوم 11؟

- أُريد أن أفهم ما قد يكونه هذا الأمر، قال يوكاوا وهو يُمسك بالفنجان.

طوى كوساناغي ورقة الحضور.

- لدي اليوم سؤال محدّد أُريد طرحه عليك: لماذا جعلت تشكّ في إشيغامي؟ وما لم أحصل على جواب سأجد صعوبة في التّقدّم في التّحقيق.

- أنت تُثير دهشتي. أنتَ على ما أعتقد لم تكن في حاجة إليّ لتعرف أنّه يميل إلى ياسوكو هناووكا، أليس الأمر كذلك؟ فأنت إذاً لست في حاجة إلى رأيي في هذا الأمر.

- أنت مُخطئ. أنا لا أشتغل بمفردي كما تعلم، ولا يُمكنني أن أقول لرئيسي إنّني قد قرّرت الاهتمام به من دون تقديم مُبرّر.

- ألا يكفي أن تُفسّر له أنّك اكتشفتَ بأنّ أُستاذ رياضيات اسمه إشيغامي هو من بين الأشخاص الذين يحومون حولها؟

- هذا بالضّبط ما فعلته وحقّقت في طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما، لكنّني للأسف الشّديد لم أكتشف شيئاً يدلّ على أنّ علاقتهما حميمة.

عندما سمع يوكاوا قوله ارتفع صوته بقهقهة أرعَدَت جسده.

- إنّه أمر طبيعي.

- ما قصدك؟

- لا شيء. فقط ألّا شيء على الأرجح قائم بينهما. بل بإمكاني حتّى أن أُؤكّد لك أنّك لن تعثر على شيء ولو قضيتَ زمناً مديداً في بحثك.

- أنت تقول ما تقوله وكأنّه لا يكتسي أيّ قدر من الأهمية، ورئيسي بدوره تخلّى سلفاً عن أن يكون شديد الاهتمام بإشيغامي، وإن واصلتُ أنا التّحقيق بهذا الإيقاع سُرعان ما سأغدو غير قادرٍ على العمل بالطّريقة التي أُريد. لهذا السّبب أردتكَ أن تُفسّر لي ما الذي أثار انتباهك إلى إشيغامي. أليس بإمكانك يا يوكاوا أن تُخبرني به؟ لماذا ترفض أن تحدّثني عنه؟

ربّما كانت نبرة كوساناغي ضاغطة، ما جعل رجل الفيزياء يستعيد جدّيته ويضع فنجانه.

- لأنّ ذلك لن يكون له معنى ولن يُفيدك في شيء.

- كيف؟

- لدي انطباع بأنّني قد حدّثتك من قبل مراراً عمّا جعلني أشرع في التّفكير في أنّ إشيغامي قد يكون له ارتباط بهذه القضية. كان تفصيل دقيق قد جعلني أُلاحظ ميلَه إليها، فجعلني هذا التّفصيل أرغب في أن أنظر عن قرب ما إن كان إشيغامي متورّطاً في هذه الجريمة. أنت تسألني عن الطّريقة التي انتبهتُ بها للمشاعر التي يُكنّها لها، فلا يسعني إلّا أن أُجيبك أنّ للأمر علاقة بالحدس. وربّما حصل لديّ هذا الحدس لأنّني على معرفة بإشيغامي وإن كانت قليلة. ألم يسبق لك أن حدّثتني عن حدس رجال الشّرطة؟ إنّ للأمر إذاً علاقة بشيء من هذا القبيل.

- ما كنت لأتصور يوماً أن أسمعك تقول شيئاً من هذا. أنت تتحدّث عن الحدس!

- ألا يُمكنني ذلك من حين إلى آخر؟

- وإنْ سألتكَ عن المناسبة التي جعَلتكَ تُلاحظ ذلك؟

- سأرفض الإجابة، قال يوكاوا من دون مواربة.

- هكذا!

- لأن لذلك علاقة بكبريائه، ولا يُمكنني أن أتحدّث فيه لأحد.

في اللّحظة نفسها التي أطلق فيها كوساناغي تنهيدة دقّ أحدهم الباب فدخل طالب.

- طاب مساؤك، قال له يوكاوا مُحيياً. معذرة إن كنتُ قد استدعيتك من دون أن أعطيك مهلة. أُريد أن أُحدّثك عن التّقرير الذي سلّمتني إياه منذ أيام.

- أجل سيدي، قال الطّالب ذو النّظارة والواقف وقفة عسكرية.

- وجدت عملكَ جيداً، لكنّني أُريد التّأكّد من أمر. لماذا تحدّثت عن فيزياء المادّة المكثّفة في هذا الموضوع؟

ظهر الاضطراب في عينَي الطّالب.

- لأنّ الامتحان كان يخصّ هذه المادّة...

أصدر يوكاوا بسمة ساخرة وحرّك رأسه جانباً.

- ينتمي الموضوع في الحقيقة إلى فيزياء الجُسيمَات، وكان بودّي أن تتعامل معه بوصفه كذلك. أنا قدّمتها حقّاً في إطار درس فيزياء المادّة المكثّفة لكنّك أخطأتَ إذْ لم تُفكّر في مجالات أخرى. كن أكثر انتباهاً وإلّا فلن يكون بمستطاعك أبداً أن تكون ذا ذهنية علمية. ألدّ أعدائنا هي الأفكار المسبَقَة لأنّها تَحُول بيننا وبين رؤية ما يوجد أمام أعيننا.

- سأتذكّر هذا، قال الطّالب وهو يرفع رأسه.

- أنا أضع بين يديك هذه النّصائح لأنّني أعلم أنّك أهل لها. شكراً لك على مرورك.

غادر الطّالب المختبر بعد شُكره أستاذَه.

تفرّس كوساناغي صديقه.

- ألا يوجد شيء ملتصق بوجهي؟ سأله يوكاوا.

- كلّا. لكن يحدوني انطباع بأنّ رجال العلم لهم الاستدلال نفسه.

- كيف؟

- حدّثني إشيغامي باللّغة نفسها، قال كوساناغي مُفسّراً قبل أن يُلخّص له المحادثة التي دارت بينهما حول موضوع مسائل الامتحان.

- التّلاميذ الذين يتركون أفكارهم المسبَقَة تُضلّهم... إنّها مُعادلة تُشبهه، قال يوكاوا باسماً.

تغيّرت ملامحه برهة بعد ذلك فنهض بغتة من كرسيه ووضع كفّه على رأسه ومشى حتّى أدرك النّافذة ثمّ رفع رأسه وكأنّه يُريد النّظرَ إلى السّماء.

- ماذا دهاك؟

لكنّ رجل الفيزياء طالَبَه بالصّمت بكفّه الممدودة، كما لو كان يُسرّ له بألّا يُزعجه في تفكيره، فاكتفى كوساناغي بالنّظر إليه مُلتزماً الصّمت.

- هذا مستحيل، تمتم يوكاوا، لا يمكنه أن يكون قد فعل ذلك...

- عمّ تتحدّث؟ سأل الشّرطي، وهو غير قادر على التزام الصّمت كما أمره صديقه.

- أرني الورقة التي كانت في يدك قبل قليل، ورقة حضور إشيغامي.

سارع كوساناغي بالاستجابة فأخرج الورقة من جيبه. تأمّلها يوكاوا ثم قال هادراً:

- لا يمكن لهذا أن يكون حصل... على أي حال...

- أخبرني يا يوكاوا ما الذي يحصل! فسّر كلامك!

أعاد له رجل الفيزياء الورقة.

- أنا أعتذر لكنّني في حاجة أن أكون وحدي الآن.

- ماذا تقول؟

لم يكن كوساناغي موافقاً، لكنّه عندما نظر إلى صديقه لم يعُد يعرف ما يقول.

كان وجهه قد تميَّز ألماً وحزناً. لم يسبِقْ لكوساناغي أن رأى منه ردّ فعل مثل هذا.

- انصرِفْ! اعذرني، قال يوكاوا من جديد بما يُشبه أنّة.

نهض كوساناغي. كانت لا تزال لديه بعض الأسئلة، لكنّه وجد نفسه مُرغماً أن يتقبّل أنّ ما عليه الآن إلّا أن يترك صديقه بمفرده.

15

كانت السّاعة الحائطية تُشير إلى السّابعة وثلاثين دقيقة. غادر إشيغامي شقّته حاملاً في يده محفظته التي تضمّ أغلى ما يملك، أي ملفّ الأبحاث التي يُجريها حول نظرية رياضية. كان قد أجرى هذه الأبحاث طيلة سنوات سابقة، وقد شكّلت هذه النّظرية موضوع بحثه للماجستير في الجامعة، لكنّ بحثه لم يقف عند تلك الحدود.

كان يُقدّر أنّه لا يزال في حاجة إلى ما يقرب من عشرين سنة كي يُنهي أبحاثه، وكان موضوعها من وجهة نظره من الصّعوبة بحيث يستحقّ أن يَنذُرَ له رجل الرياضيات حياته كلّها، وكان مُقتنعاً تماماً في الآن ذاته بأنّه الوحيد القادر على ذلك.

دائماً ما رأى إشيغامي أنّ حياته كان بإمكانها أن تكون ممتازة لو استطاع قصر كلّ طاقته وكلّ وقته على أبحاثه من دون أن يكون مُضطرّاً إلى تبديدهما في مهامّ أخرى. وكلّما ترك الحزن يجتاحه بسبب عدم قدرته على إنجاز عمله كاملاً قبل وفاته، تتملّكه الحسرة على الوقت الذي أضاعه في القيام بشؤون لا علاقة لها بأبحاثه.

لم يكُن يتصور أنّه قادر على الانفصال عن هذا الملفّ، وما إن كان يحظى بلحظة فراغ حتّى يُجبر نفسه على العمل على تطوير

أبحاثه ولو بقدرٍ يسير. كان يكفيه قلم وورقة ليندمج في عمله كلّما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

راح يمشي بآلية في مساره المعتاد فقطع جسر شين-أوهاشي ونزل إلى ضفّة السوميدا. اصطفّت الأكواخ المغشّاة بالبلاستيك الأزرق على يمينه، ورأى الرّجل ذا ذيل الفرس الطّويل الأبيض يضع آنية على المِدفأ، من دون أن يستطيع تمييز ما فيها، وقد رُبط إلى جانبه كلب من صنف غير مُحدّد، لونُه بُنّي فاتح. كان الكلب مُنبطحاً مولياً ظهره إلى صاحبه وكأنّه مُنهك.

وكان رجل علب المصّبرات مُسترسلاً في بَعجها كعادته، مُحدّثاً نفسه بصوت خافت وقد وضع بالقرب منه كيسَي قمامة مملوءين علباً مبعوجة.

وصل إشيغامي بالقرب من كرسي طويل لا يجلس فيه أحد فالتفتَ برأسه لحظة لإلقاء نظرة، ولم يُبطئ من خطوه.

اقتربَ أحدهم منه قادماً من الجهة المعاكسة. كان الوقت وقتَ السّيدة العجوز ذات الكلاب الثّلاثة، لكن يبدو أنّ القادم ليس هي، فرفع رأسه ليتأكّد.

أطلق من مُفاجأته صرخة وتوقّف عن المشي.

لم يفعل الشّخص الآخر مثله، بل بالعكس أقبَلَ نحوَه باسماً ولم يقف إلّا وقد أصبح بمحاذاته.

- طاب صباحك! قال يوكاوا مُحيياً.

تردّد إشيغامي لحظة ثمّ مرّر لسانه على شفتيه قبل أن يُجيب:

- كنت في انتظاري؟

- بالطّبع! أجابَ رجل الفيزياء بحماس. أو قُلْ إنّ الأمر ليس

كذلك بالضّبط، فأنا كنت أمشي راجلاً انطلاقاً من جسر كيوسو وقلت في نفسي إنّني سألتقي بكَ لا محالة.

- ألكَ حاجة مُلحّة في لقائي؟

- مُلحّة... لست متأكّداً من ذلك، لكن ربّما، قال وهو يميل برأسه جانباً.

- أتريد مُحادثتي الآن؟ سأل إشيغامي وهو ينظر في ساعته، فليس أمامي وقت كثير.

- عشر دقائق، ربع ساعة يكفيني.

- في هذه الحال لنتحادث ماشيين إن أردت.

- هذا يُناسبني، لكن... نظر يوكاوا حوله، كنت أُريد مُحادثتك ها هنا لحظات، دقيقتين أو ثلاثاً. لنجلس على هذا الكرسي.

ومن دون انتظار موافقة إشيغامي توجّه إلى الكرسي الطّويل.

تنهّد إشيغامي قبل أن يلحَقَ به.

- سبق لنا أن قطعنا هذا المسار معاً، قال يوكاوا.

- صحيح.

- وكنت قلت لي، ونحن ننظر إلى هؤلاء المتشرّدين، إنّ بإمكاننا ضبط ساعتنا على أنشطتهم، أتتذكّر؟

وهزّ يوكاوا رأسه ارتياحاً.

- حياتانا -حياتي وحياتك- يضبطهما الزّمن، لأنّنا معاً تجمعنا ترُوسُ المجتمع الذي نعيش فيه. النّاس لا يسمحون لنا أن نعيش بمفردنا تبعاً لقواعدنا الخاصّة بنا. والحياة الجماعية تمكّننا من الاستقرار، لكنّها تحرمنا أيضاً من الحرية، وقد سمعت أنّ من بين

المتشرّدين مَن لا رغبة لهم البتة في العودة إلى الحياة التي كانوا يحيونها من قبل.

- ستنفد الدّقيقتان أو الثّلاث إن استمرَرْتَ في إهدارها بهذه الطّريقة. ثمّ نظر إشيغامي إلى ساعته وأضاف: لقد استنفدتَ حتّى الآن دقيقة.

- ما أردتُ قولَه هوّ أنّنا في حياتنا تكون كلّ التّروس التي نُلاقيها مفيدة، وأنّ التّرس نفسه هو الذي يُقرّر لأيّ شيء سيكون صالحاً. لم يكن يوكاوا يُغادر إشيغامي ببصره وهو يتحدّث. هل قرّرت مغادرة سلك التّعليم؟

جحظت عينا إشيغامي دهشةً.

- لماذا تطرح عليّ هذا السّؤال؟

- لا أدري، حصل لدي انطباع بذلك لأنّني لا أراك مُعتقداً أنّ التّرس الذي جُعل ملك يمينك يصلح لتدريس الرّياضيات في الثّانوية.

نهض يوكاوا.

- هيّا!

راح الرّجلان يمشيان على الضّفة العالية لنهر السّوميدا. التزم إشيغامي الصّمت تاركاً لصديقه عناية تنشيط الحديث.

- علمت أنّ كوساناغي زارَكَ ليتأكّد من حجّتك.

- نعم، الأسبوع الفائت.

- هل يَشتبه بك؟

- أجل، لديّ انطباع بذلك. وعليّ أن أعترف أنّني لا أفهم تماماً داعيه للاشتباه بي.

أبدى يوكاوا بسمة وهو يستمع إليه.

- الحقّ أنّه ليس شديد اليقين بذلك. هو لاحظَ اهتمامي بك فأثارَ ذلك انتباهه، هذا كلّ ما في الأمر. ليس عليّ، من دون شكّ، أن أقول لك هذا، لكنّ الشّرطة لا يكاد يكون في ملكيتها ما يُبرّر أيّ اشتباه بك.

توقّف إشيغامي عن المشي.

- لماذا تقول لي هذا؟

توقّف يوكاوا بدوره وتفرّسه.

- لأنّني صديقك. إنّه السّبب الوحيد.

- تعتقد أنّ عليك أن تقول لي هذا لأنّك صديقي؟ لماذا؟ أنا لا دخل لي في هذه الجريمة، وأن تكون الشّرطة تشتبه بي أم لا، فإنّ ذلك لن يُغيّر عندي من الأمر شيئاً.

تنهّد يوكاوا بعمق، ثمّ حرّك رأسه ببطء جانباً. لاحظ إشيغامي ذلك فاستبدّ به الغضب من أن يرى هذا التّعبير شبهَ الحزين الذي علا محيا رجل الفيزياء.

- ليس الأمر أمر حجّة، قال يوكاوا.

- وبعد؟

- لا يهمّ كوساناغي وزملاؤه إلّا أن يُدلّلوا على كون الحجّة خاطئة. هم يعتقدون أنّهم سيصلون إلى كبد الحقيقة. باستطاعتهم إقامة الدّليل على أنّ حجّة ياسوكو هناووكا لا تستقيم، إن كانت مذنبة. والشّيء نفسه معك أنت، فهم يعتقدون أنّك إن كنتَ شريكها، وإن قوّضوا حجّتك، أمكنهم تدميرُ النّسيج الذي حُكتَه.

- أنا لا أفهم على الإطلاق لمَ تقول لي هذا، قال إشيغامي. أليس من الطّبيعي أن يُفكّر رجال الشّرطة بهذه الطّريقة إن كانت ياسوكو حقّاً مُذنبة؟

تبسّم يوكاوا من جديد.

- لقد حكى لي كوساناغي أمراً مُسلّياً حقّاً عن الطّريقة التي تُعِدّ بها أنت مسائل امتحان الرّياضيات. فسّر لي أنّك تستعمل الأفكار الجاهزة لتلامذتك لتُضلّهم، وأنّك تسم مُشكلة مرتبطة بالدّوال بميسم الهندسة. لقد بهرني ذلك، فبدت لي تلك منهجيةً ممتازة لمعرفة مَن هم التّلاميذ الذين يُحاولون حلّ المسائل انطلاقاً من قاعدةٍ ما هو موجود في كتبهم المدرسية من دون فهم حقيقي لطبيعة الرّياضيات، فيعتقدون أنّهم في مواجهة مشكلة هندسية ويُحاولون حلّها اعتماداً على معارفهم الهندسية، غير أنّهم لا يستطيعون، فيمرّ الوقت في حين أنّهم لا يتقدّمون سنتيمتراً واحداً في حلّهم للمسألة. إنّها ليست طريقة لطيفة ربّما، لكنّها فعالة للتّأكّد ممّا هم قادرون على القيام به.

- ما غايتك من هذا الكلام؟

- الحديث عن كوساناغي وزملائه، قال بنبرة جادّة. إنّهم يَضِلّون وهم يسعون إلى تقويض الحجج. هذا عادي بالتأكيد ما دامت المشتبهُ بها الأولى عندهم لا تنفكّ تُؤكّد أنّها تملك حجّة، لكنّهم لا يتقدّمون في تحقيقاتهم قدر قُلامة، والسّبب هو أنّهم يُريدون العثور على نقطة ضعف في حجّتها، وهو عمل يقوم به الجميع، ونقوم به نحن أيضاً في بحوثنا، لكنّه يحصل في مجالنا أنّ نقطة الضّعف غالباً ما تكون في مكانٍ آخر لا علاقة له بالهدف الذي رسمناه. وقد وقع كوساناغي وزملاؤه في هذا الفخّ، فصاروا سُجناءَه، إن شئنا الدّقة في التّعبير.

- ألا تعتقد أنّه يجدر بك إن كان لك شكّ في اتّجاه التّحقيق أن تُخطر الشّرطة بذلك بدلاً منّي أنا؟

- بكلّ تأكيد سأفعل ذلك في نهاية المطاف، طال الزّمن أو قصر. لكنّني أردتُ في البداية مُحادثتك، وقد أخبرتكَ بالسّبب قبل قليل.

- لأنّك صديقي. هذا هو السّبب؟

- ولأنّني أيضاً لا أُريد فقدَ موهبتك. أنا أودّ أن تكفّ من دون تأخير على الانشغال بهذه الأمور المزعجة وأن تُكرّس مجهودك لما عليك القيام به. أنا لا أُريدك أن تُبدّد إمكاناتك الفكرية.

- أنا لم أنتظر توجيهاتك للقيام بذلك، اطمئنّ فأنا لا أُضيع وقتي.

ثمّ جعل إشيغامي يمشي، ليس مَخافة أن يصل إلى عمله مُتأخّراً وإنّما لأنّ بقاءه في مكانه بلا حركة يُرهبه.

سار يوكاوا في أثره.

- لإيجاد حلّ لهذا اللّغز وجب الكفّ عن التّفكير في أنّ الحجّة هي الفيصل. المشكل مختلف، واختلافه هو أكبر من الاختلاف الموجود بين الهندسة والدّوال.

- أسألك هذا السّؤال ليطمئنّ قلبي: ما هي طبيعة هذا المشكل من وجهة نظرك؟ سأل إشيغامي وهو يمشي قُدُماً ناظراً أمامه.

- يلزم مزيد من الوقت للإجابة عن ذلك حتّى ولو اختصاراً، لكن بالإمكان القول إنّ طبيعته تقوم على التّمويه وعلى عملية طمس. وقد سمح المحقّقون لأنفسهم بالضّياع في ذلك كلّه. فما يعتبرونه مُؤشّرات ليس بمؤشّرات. لقد وقعوا في الفخّ الذي نُصب لهم عندما وضعوا أيديهم على ما اعتبروه إشارة.

- يبدو المشكل معقّداً.

- إنّه كذلك. لكنّهم إن غيّروا قليلاً من اتّجاههم يغدو سهلاً

بقدرٍ يدعو للدّهشة. إن سعى شخص قليل الذّكاء إلى إعداد عملية تمويه معقّدة سيكون كمن يبني قبره بيده وهو يبحث عن التّعقيد، أمّا الشّخص العبقريّ فلن يسقط في هذا الفخ؛ سيُفلح في جعل المشكل عسيراً للغاية باعتماد منهجية شديدة اليُسر لن يستعملها شخص عادي بالتأكيد.

- كنت أعتقد أن رجال الفيزياء لا يُحبّون التّعبير بطريقة تجريدية.

- حسن، سأُحاول أن أكون أكثر وضوحاً. ألا يزال لك بعض الوقت؟

- نعم.

- هل سيُسعفك الوقت للمرور إلى مطعم الوجبات الجاهزة؟

ألقى إشيغامي نظرة على يوكاوا.

- أنا لا أذهب إليه يومياً.

- أهكذا؟ لقد سمعت مع ذلك أنّك تذهب إليه كلّ يوم.

- وهذا هو الرّابط الذي تراه قائماً بيني وبين هذه القضية؟

- بإمكاني الجواب بـ«نعم» أو بـ«الضّبط». ليس لذهابك كلّ يوم لابتياع وجبة جاهزة أيّ أهمية، لكن إن كنت تذهب لترى المرأة المعلومة، فإنّه ليس بإمكاني تجاهل الأثر الذي يُخلّفه فعلُك هذا.

توقّف إشيغامي وتفرّس في يوكاوا.

- ألأنّك كنت صديقي منذ مدّة، تعتقد أنّه يحقّ لك أن تقول لي أيّ شيء؟

حوّل يوكاوا اتّجاه بصره، بادٍ في نظرته الصّارمة تصميمه على مُؤازرة صديقه.

- أغضبتَ حقّاً؟ أنا أعلم أنّني كنت مُثيراً للتّقزّز.

- إن هي إلّا أمور مثيرة للسّخرية.

وجعل إشيغامي يمشي. كان الرّجلان على وشك الوصول إلى جسر كيوسو فصعدا الأدراج.

- لقد تمّ العثور على الملابس التي من المفروض أنّها للضّحية قريباً من المكان الذي طُرحت فيه الجثة، صرّح يوكاوا وهو يمشي خلف إشيغامي. عُثر عليها مُحترقة جزئياً في آنية معدنية، وتعتقد الشّرطة أنّ القاتل هو مَن أحرقها. عندما علمت بذلك تساءلت مع نفسي لمَ لم يبق الفاعل في عين المكان إلى أن تحترق عن آخرها، واستنتج كوساناغي وزملاؤه من ذلك أنّه كان مُتعجّلاً مُغادرةَ المكان، أمّا أنا فقلت إنّه كان بإمكانه أخذُها معه والاهتمام بشأنها لاحقاً، عدا أن يكون القاتل اعتقد أنّها ستحترق بسرعة. وبما أنّ هذا الأمر كان قد شغلني قرّرت أن أُحرق بنفسي ملابس في الظّروف نفسها.

توقّف إشيغامي عن المشي من جديد.

- أحرقتَ ملابس؟

- نعم، في آنية معدنية من الحجم نفسه. أحرقت قميصاً وكنزة وسروالاً وجوربين... وملابس داخلية. اشتريتها من متجر ملابس مُستعمَلة، غير أنّها كلّفتني أكثر ممّا كنت أعتقد. نحن لسنا مثل رجال الرّياضيات لأنّ التّجارب عندنا لا مَحيد عنها.

- وأيّ نتيجة توصّلتَ إليها؟

- احترقت عن آخرها مُنتجة غازاً سامّاً. احترقت كلّها في زمن وجيز، ربّما في أقلّ من خمس دقائق.

- وبعد؟

- كيف لم ينتظر القاتل خمس دقائق؟

- لا أدري.

عندما أدركا أعلى السّلم انعطفَ إشيغامي يساراً إلى جادّة جسر كيوسو، مُنتهجاً الاتّجاه المعاكس الذي يقود إلى محلّ بنتنتيه.

- ألن تتناول الوجبة الجاهزة؟ سأله يوكاوا كما كان ينتظر.

- يا له من عناد! قلت لكَ إنّني لا أفعل ذلك يومياً، أجاب وهو يُقطّب حاجبيه.

- أرجو ألّا يحرمك فعلُك هذا من غدائك، قال يوكاوا الواقف إلى جانبه. وقد عثروا على درّاجة هوائية قريباً من الجثّة، فتبين المحقّقون أنّها كانت قد سُرقت من مكان قريب من محطّة شينوزاكي. ورُفعت منها بصمات الضّحية.

- وبعد؟

- لم يكن القاتل ماكراً بتركها، ما دام كلّف نفسه تشويه وجه الضّحية بمطرقة وأحرق أطراف أصابعه. لكن إن افترضنا أنّه قد ترك البصمات على الدّراجة عمداً، فإنّ ذلك يُغير كلّ شيء. حينها وجب التّساؤل: ما كان غرضه؟

- وما غرضه من وجهة نظرك؟

- أن يُقيم علاقة بين الضحية والدّراجة... ربّما. لأنّ الأمر لن يكون في صالح القاتل إن لم تقُم هذه العلاقة.

- لماذا؟

- لأنّه أراد أن يُوهم الشّرطة أنّ الضّحية أتى بالدّراجة إلى موقع الجريمة انطلاقاً من شينوزاكي. وكي يُقنعهم بذلك وجد نفسه في حاجة إلى درّاجة ذات طابع خاصّ.

- لماذا ذات طابع خاصّ؟ ألم تكن هذه الدّراجة عادية؟

- بلى، عادية تماماً، لكنّ لها ميزة خاصّة وهي أنّها تكاد تكون جديدة.

شعر إشيغامي بشعره ينتصب على جسده كلّه، ولم يتمكّن إلّا بصعوبة من التّحكّم في انتظام تنفّسه.

ارتعش وهو يسمع صوتاً يُحييه تحية الصّباح. هي تلميذة ثانوي على درّاجة وقد تجاوزته لتوّها، مُطرقة رأسها قليلاً.

- آه... طاب صباحك، قال مُسارعاً بالرّد.

- أنا مندهش. كنت أعتقد أنّ التّلاميذ ما عادوا يُحيّون أساتذتهم.

- نادرون هم الذين يقومون بذلك. أخبرني، ما فائدة أن تكون الدّراجة شبهَ جديدة؟

- لم تستنتج الشّرطة شيئاً آخر أكثر من أنّ الضّحية فضّل سرقة درّاجة جديدة على أخرى قديمة، لكن الأمور ليست بهذه البساطة. إنّ ما كان يستأثر باهتمام القاتل هو الوقت الذي من المفروض أن تكون سرقةُ الدّراجة قد ارتُكِبَت فيه.

- بمعنى؟

- لم يكُن المجرم يُريد سرقة درّاجة مهملة في هذه المحطّة، لأنّه كان يبتغي أن يُبلّغ صاحبها عن السّرقة، لذلك كان ضرورياً أن تكون جديدة أو كالجديدة. مالكو الدّراجات الهوائية الجديدة لا يُهملونها بعامّة بالقرب من المحطّات، كما أنّ احتمالية التّبليغ عن سرقتها مُرتفعة. لكنّ حكاية الدّراجة هذه ليست عاملاً أساساً في تمويه الجريمة. هي كانت بالنّسبة إلى المجرم قيمة مُضافة لو كانت الأمور قد جرت كما تمنّى، لذلك اختار طريقةً احتماليةُ نجاحها مُرتفعة أكثر.

- آه!

واصل إشيغامي المشي أمام يوكاوا من دون أن يُعلّق على استدلاله. هما على مسافة قصيرة من الثّانوية التي يتقاطر عليها التّلاميذ.

- كلّ هذا الذي تقوله مُهمّ وكان بودّي الاستمرار في الاستماع إليك، قال وهو يقف ناظراً في وجه رجل الفيزياء، لكنّني أُحبّ إنهاء المشوار بمفردي، لأنّني لا رغبة لي في أن يسمعك التلاميذ تتلفّظ بهذا.

- يحسن بنا ذلك ربّما، كما أنّ لدي الانطباع بأنّني قد أخبرتك بما كنت أودّ قوله لك.

- هذا مُدهش. في نهاية لقاء سابق كنتَ قد طرحت عليّ سؤالاً مُركّزاً، ألم يكُن الأمر كذلك؟ كنت سألتني: ما الأصعب أن نضع تصوّراً لمشكلة لا حلّ لها أم أن نحلّ هذه المشكلة؟ أتذكُر؟

- نعم. وكنت قلت لك أيضاً إنّ وضعَ تصوّر لمشكلة، من وجهة نظري، هو الأصعب، أمّا الشّخص المُطالبُ بأن يجد لها حلّاً فعليه ألّا ينسى احترام واضع التّصوّر.

- مفهوم. لكن في هذه الحالة، ما رأيك في المشكلة $P \neq NP$؟ ما الأسهل، أن نبحث عن حلّ للمشكلة أم أن نتأكّد من هذا الحل؟

فانطبع على محيا يوكاوا تعبيرُ قَلَقٍ، إذ بدا أنّه لا يفهم فيمَ يُفكّر إشيغامي.

- أنتَ أجبْتَ الأول، وقد حان الوقت الآن لمعرفة كيف سيُجيب شخص ثالث، قال إشيغامي وهو يمدّ كفّه لصديقه.

- إشيغامي...

- حسن، إلى لقاء آخر! قال وهو يبتعد.

ضغط محفظته إليه وهو يفكّر في سرّه: ها نحن قد وصلنا سلفاً إلى هذا المستوى. لقد فهم رجل الفيزياء كلّ شيء...

واصلت ميساتو التزامها الصّمتَ وهي تأكل فاكهتها، وكانت ياسوكو تتساءل في سرّها قلقة ما إن كانت قد ارتكبت خطأ برجائها مُرافقتَها.

- ماذا يا ميساتو، أشبعتِ؟ سأل كودو المراهِقَة بالطّيبة نفسها التي ما انفكّ يُحدّثها بها منذ بداية الأمسية.

أجابت ميساتو بنَعم بحركة من رأسها من دون حتّى أن ترفع بصرها إليه، وهي تحمل إلى فمها ملعقة جديدة.

أنهوا عشاءهم في مطعم صيني بحيّ غينزا. كان كودو قد ألحّ على أن تأتي ياسوكو مصحوبة بابنتها، فلم تترك فرصة لميساتو للاعتراض. وبما أنّ الوعدَ بوجبة طيبة لم يكفِ لإغراء مراهقة في سنّها فقد التجأت ياسوكو إلى ذريعة قوية بتأكيدها أنّ رفضها قبولَ الدّعوة قد يُثير انتباه الشّرطة.

كانت ياسوكو تنظر إلى كودو خائفة من أن يكون قد استثقلَ رفقة ابنتها، بعد أن قضى وقته في البحث عبثاً عن موضوع للحديث يحظى باهتمام ميساتو.

ما أن ابتلعَت ابنتها لقمتها الأخيرة حتّى التفتت إلى أمّها قائلة:

- سأذهب إلى الحمّام.

- حسن، أجابت الأمّ.

لمّا غادرت المراهقة المائدة انقلبت ياسوكو نحو كودو مُطبِقَة كفّيها.

- سامحني!

- ماذا؟ أسامحكِ على أيّ شيء؟ سألها بادية عليه المفاجأة.

كان طبعاً يُمثّل.

- إنّها خجلة كما ترى، خصوصاً في حضور رجل راشد.

رفع كودو صوته بالضّحك.

- أنا لم أكن أنتظر قبولها لي من أوّل لقاء. هكذا كانت مواقفي أنا أيضاً عندما كنتُ في سنّها. ولم يكُن غرضي اليوم إلّا أن أتعرّف إليها.

- شكراً لكَ.

ردّ كودو إيجاباً بحركة من رأسه وأخرج علبة السّجائر مع القدّاحة من سترته الموضوعة على ظهر الكرسيّ. لم يُدخّن طيلة العشاء، على الأرجح بسبب وجود ميساتو.

- أودّ سؤالكِ... ألم يطرأ أمر ما جديد؟ سألها بعد أن نفث دُخانه.

- عمّاذا تتحدّث؟

- طبعاً... عن القضية.

- آه... صوّتت ياسوكو مُتنهّدة وهي تُحوّل عنه بصرها قبل أن تواصل القول وهي تنظر إليه من جديد: كلا، لا شيء ذا بال. الحياة تُواصل جريانها.

- أنا سعيد بسماعي هذا منك. ألم تعُد الشّرطة لزيارتك؟

- لا، لم يفعلوا في المدّة الأخيرة، ولم يزوروا المحلّ أيضاً. وأنت ألم يزوروك؟

- كلّا، أنا أيضاً لم يعودوا لزيارتي، فأنا ربّما لم أعُد من

المشتَبَه بهم. ثمّ أسقَطَ رماد السّيجارة في المرمدة. لكنّ هناك أمراً يُقلقني بعض القلق.

- ما هو؟

- حسن... بدأ جملته وقد ارتسم على وجهه تعبير مُضطرب. يحصل باستمرار، هذه الأيام الأخيرة، أن يرنّ الهاتف ولا يردّ أحد عندما أحمل السّماعة لمّا أكون بالبيت.

- هكذا! لكنّ هذا أمر سيّئ للغاية، قالت ياسوكو وهي تعقد حاجبيها.

- ثمّ... قال مُتردّداً وهو يُخرج ورقة من أحد جيوب سترته، لقد عثرتُ على هذه في علبة بريدي.

نظرت ياسوكو في الورقة فلمَحَت اسمها وارتعدت. قرأت: «لا تقترب من ياسوكو هناووكا، فشخص مثلكَ عاجزٌ عن إسعادها».

كان النّص مكتوباً على مُعالجٍ للنّصوص ولم يكن مُوقّعاً.

- توصّلتَ بها عبر البريد؟

- كلّا. عثرتُ عليها في علبة رسائلي من دون طابع بريد.

- أتشكّ في أحد؟

- على الإطلاق. ولهذا السّبب أردتُ مُحادثتك في الأمر.

- لا أدري مَن باستطاعته فعل هذا، قالت وهي تجرّ نحوها حقيبة يدها فأخرَجَت منها منديلاً لتُجفّف راحتها الرّطبة. لم تتلقّ إلّا هذه الرّسالة؟

- كان معها صورة أيضاً.

- صورة؟

- التُقطت يوم لقائنا في شيناغاوا، لحظة نزولي من سيارتي في

مرأب الفندق. لم أكُن مع ذلك قد انتبهت لشيء لحظتها، أضافَ وهو يُميل رأسه جانباً.

ومن دون أن تُفكّر ياسوكو فيما تقوم به، مسحت القاعة ببصرها، لكن من المستحيل أن يُراقبهم أحد في هذا المطعم.

أرغمتهما عودة ميساتو على تغيير موضوع حديثهما. افترقوا عند مدخل المطعم فاستقلّت ياسوكو وابنتها تاكسي.

- كان العشاء طيباً، ألا توافقيني رأيي؟

لم تُجِبْها ميساتو المستمرّة في إبداء مزاجها السّيئ.

- لقد أبديتِ قلّة أدبكِ بعنادكِ كلّ الوقت.

- ما كان عليكِ إحضاري معكِ. لم أكُن أريد مُصاحبتكِ.

- لكنّ الدّعوة وُجّهَت إليكِ.

- كان عليك الذّهاب بمفردك. لن أُرافقك في المرّة القادمة.

تنهّدت ياسوكو. يعتقد كودو أنّ ميساتو ستتقبله في نهاية المطاف، لكنّها هي غير متأكّدة من ذلك.

- هل ستقترنين به؟

باغت هذا السّؤال المفاجئ ياسوكو بقوة حتّى إنّها انتفضت.

- ماذا تقولين!

- أنا جادّة في سؤالي، أليسَت لك الرّغبة في الزّواج منه؟

- كلّا.

- حقّاً؟

- نحن نلتقي طبعاً بين الفينة والأخرى، لكنّ الأمر ينتهي عند هذا الحدّ.

- أنا أفضّل هذا.

- ماذا تقصدين؟

- لا شيء، قالت ميساتو وهي تُدير رأسها جهة أمّها. كنت أقول في نفسي إنّك لن تكوني حاذقة بخيانتك لهذا السّيد.

- هذا السّيد؟ عمّن تتحدّثين؟

أطرقَت ميساتو قليلاً برأسها وهي تنظر مباشرة في عينَي أمّها، ففهمت ياسوكو أنّها تتحدّث عن جارهما من دون أن تكون لها الجرأة على ذكر اسمه، على الأرجح مخافة أن يسمعها سائق التّاكسي.

- لستِ مُلزمة بالانشغال بهذا الموضوع، أسرّت لها ياسوكو وهي تُعدّل من جلستها.

همهمت ميساتو وقد بدا عليها عدم ارتياحها لكلام أمّها.

كان موضوع إشيغامي يشغَل ياسوكو ولم تكُن بحاجة إلى أن تُذكّرها به ميساتو. لقد جعلت تُفكّر فيه منذ أن حدّثها كودو عن هذه الرّسالة الغريبة.

هي لا ترى إلّا شخصاً واحداً قادراً على القيام بذلك، إذْ لم تنسَ النّظرة المظلِمَة التي كان إشيغامي قد ألقاها عليها لمّا رآها تنزل من التّاكسي الذي كان كودو قد أعادها فيه إلى بيتها.

لم تجد أدنى صعوبة في تصوّر أن يكون إشيغامي ملدوغاً بالغيرة من كودو. إنّ المشاعر التي يحملها لها هي بالتّأكيد السّببُ الذي يجعله يُساعدها على طمس آثار الجريمة ويستمرّ في حمايتهما، هي وابنتها، من الشّرطة.

فهل يكون أيضاً هو مَن يتحرّش بكودو بإزعاجه بتلك المكالمات؟ إن كان الأمر كذلك، فعلى ياسوكو أن تقلق من نواياه تجاهها. هل يُريد من الآن فصاعداً أن يُراقب حياتها بتعلّة أنّه شريكها في الجريمة؟ وهل سيعني ذلك أنّه لن يتركها تقترن بأيّ كان ولا حتّى أن تُقيم علاقات مع شخص آخر غيره؟

مكتبة
t.me/t_pdf

كانت ياسوكو تبدو بفضل إشيغامي قابَ قوسين أو أدنى من الإفلات من الشّرطة في قضية قتل توغاشي، وهي تعترف له بهذا الفضل، فهل يحرص على طمس آثار الجريمة كي يُرغمها على قضاء ما تبقّى من حياتها تحت مُراقبته؟ لكن في هذه الحال ستكون حياتها على شاكلة ما كانت عليه قيد حياة توغاشي، وسيكون الفرق الوحيد هو أنّ إشيغامي سيحلّ محلّه، فيغدو تخلّصُها منه بمثابة خيانة له.

وصل التّاكسي أمام العمارة فنزلتا وتسلّقتا الأدراج. كان النّور يظهر من شقّة جارهما.

غيّرت ياسوكو ملابسها عندما ولَجَت شقّتها، وما أن انتهت من ذلك حتّى سمعت باب إشيغامي يُغلق.

- أسمعتِ يا أمّاه؟ سألت ميساتو. أترين؟ كان بانتظاركِ هذا المساء أيضاً.

- أعرف ذلك، قالت الأمّ بنبرة حاسمة.

بعد دقائق من ذلك رنّ هاتفُها المحمول.

- طاب مساؤك. أنا إشيغامي -لم تكن إذاً قد اخطَأت- ألا أُزعجك؟

- كلّا، أبداً.

- هل طرأ أمر ذو بالٍ اليوم؟

- كلّا، لا شيء.

- آه، هكذا أحسن!

سمعَته يتنفّس بصوتٍ مسموع.

- لدي أمور كثيرة أُريد إخبارك بها هذا المساء. بدءاً، لقد وضعتُ في علبة بريدك ثلاث رسائل، تأكّدي من وجودها بعد قليل.

- ثلاث رسائل! قالت ياسوكو وهي تنظر إلى علبة الرّسائل المعلّقة إلى باب شقّتها.

- ستكونين في حاجة إليها لاحقاً. انظري فيها بانتباه، أفهمتِ؟

- أوه... أجل.

- ستعثرين أيضاً على ورقة تشرح لك كيف تستعملين هذه الرّسائل، ومن باب تحصيل الحاصل أنّه سيكون عليك تمزيقُ هذه الورقة، أفهمت؟

- نعم، أتُريدني أن أذهب لرؤيتها فوراً؟

- لا، ستقومين بذلك لاحقاً. لدي أمر مهمّ أُريد إطلاعكِ عليه.

توقّف إشيغامي عن الحديث فخمّنت أنّه يتردّد.

- نعم، ما هو؟ سألت.

- له علاقة بهذه الطّريقة في التّواصل بيننا. ستكون هذه المكالمة هي الأخيرة، فلن أعود للاتّصال بك، وعليكِ أنت أيضاً أن تتفادي القيام بذلك. مهما حصل بعد الآن عليكما أنت وابنتك أن تستمرّا في لعب دور المتفرّجتين. ليس ثمّة إلّا هذه الطّريقة للتمكّن من الإفلات.

أنصتَت إليه ياسوكو خافقة القلب.

- لكن... يا سيد إشيغامي، أنا لستُ متأكّدة من أنّني قد فهمتُ كلّ ما قلته...

- ستفهمين لاحقاً. لا يُمكنني أن أقول لكِ أكثر من هذا حالياً، لكن عليك ألّا تنسي أبداً ما قلتُه لكِ قبل قليل، أتفهمين؟

- انتظر قليلاً من فضلك، ألا يُمكنك أن تُفسّر لي أكثر؟

لاحظت ميساتو تأثّر أمّها فاقتربَت منها.

- لا أعتقد أنّ لذلك فائدة. حسن، إلى اللّقاء.

- لكن... اسمع... قالت، لكنّه كان قد وضع السّماعة.

رنّ محمول كوساناغي وهو يجلس إلى جانب كيشاتاني في السّيارة. كان صديقه يقود بينما راحَ هو يُجيب شبه مُمدّد على الكرسي الذي بسطه إلى أقصى حدّ ممكن.

- كوساناغي يُنصت إليكم.

- هذا أنا، ماميا، قال الصّوت الأجشّ لرئيسه. عُد فوراً إلى مفوضية إيدوغاوا.

- هل وقعتَ على شيء؟

- كلّا، لديك زيارة. يُريد أحدهم أن يلتقي بك؟

- زيارة؟ سأل كوساناغي وهو يُفكّر في يوكاوا.

- نعم، إشيغامي، أستاذ الرّياضيات بالثّانوي والذي يقطن الشّقة المجاورة لمسكن ياسوكو هناووكا.

- إشيغامي؟ يُريد رؤيتي؟ ألا يُمكنني مُحادثته هاتفياً؟

- لا، أجاب ماميا بنبرة قاطعة. له أمر مهمّ يُريد إخبارنا به.

- تحدّث إليك؟

- يقول إنّه يُريد أن يُصرّح لك أنتَ بهذا الأمر المهمّ. عجّل إذاً بالعودة.

- حسن، سآتي حالاً. ثمّ وضع كفّه على الهاتف وربّت على كتف كيشيتاني قائلاً: علينا العودة فوراً إلى مفوضية إدوغاوا.

- يقول إنّه هو مَن قتله، أضافَ ماميا.

- ماذا تقول؟
- يُؤكّد أنّه قتل توغاشي. لقد اعترفَ بذلك لتوّه.
- غير ممكن! قال كوساناغي مُتعجّباً وهو يعتدل في مقعده مُنتفضاً.

16

جعل إشيغامي بمحياه الثّابت يُراقب كوساناغي، أو على الأقلّ كان بصره ثابتاً على كوساناغي في حين أنّه لم يكن يراه ربّما. فبما أنّه قُبالة المفتّش كانت عيناه موجّهتين إليه لكنّ اهتمامه كان على الأرجح منصبّاً على شيء آخر. التّعبير الماثل على محياه، أو بالأحرى الغائب عن محياه، كان يُوحي أنّه غارق في تفكيره.

- رأيتُ هذا الرّجل أوّل مرّة يوم 10 مارس، بدأ بالقول بصوتٍ مُجرّد من أيّ تأثّر. عندما عدتُ من الثّانوية وجدته يحوم بالقرب من باب جارتي ورأيته يدسّ يده في علبة رسائلها.

- معذرة، لكن عمّن تتحدّث؟

- عن هذا التوغاشي. لم أكُن أعرف اسمه حينها، قال بنبرة أعلى قليلاً.

كان كيشيتاني حاضراً في هذا الاستجواب، مُكلّفاً بتسجيل رؤوس أقلام، وقد رفض إشيغامي حضور رجال شرطة آخرين، مُفسّراً أنّه سيكون أقدر على قول ما يُريد إن لم يُقاطَع بأسئلة يطرحها عدّة أشخاص.

- توجّهتُ إليه بالكلام إذ اعتبرت تصرّفه غريباً، فأخبرني أنّه

يُريد رُؤية ياسوكو هناووكا، وأنّه زوجها الذي تعيش مُنفصلة عنه، فلم أُصدّقه، لكنّني لم أُبدِ شيئاً حتّى أتركه على سجيته.

آتى إشيغامي تنهيدة صغيرة.

- كنت على علم بكلّ شيء يخصّ ياسوكو هناووكا. كنت أعلم أنّها مُطلّقة، وعلى بينة من الجهود التي بذلتها كي لا يعثر عليها هذا الشّخص من جديد.

- كيف حصلَ أن عَرفتَ هذه الأمور كلّها عنها؟ أنتَ جارها، لكن سبق لكَ أن قلتَ لي إنّك لم تكن تكاد تتوجّه إليها بالحديث، وأنّك لم تكن بالنّسبة إليها سوى أحد زبائن محلّ الوجبات الجاهزة الذي تعمَل فيه.

- ذلك ما أتخفّى به.

- تتخفّى به؟

اعتدل إشيغامي واستقامَ قليلاً بجذعه.

- أنا حارسها الشخصي، ومهمّتي هي حمايتها من كلّ الرّجال الذين يقتربون منها حاملين نوايا سيئة. لكنّني أحرص أشدّ الحرص على ألّا يعرف النّاس ذلك لأنّني أشتغل أيضاً أستاذاً في ثانوية.

- لكن يبدو لي أنّك كنت قد أخبرتني في لقائي الأوّل بك أنّك لا تراها إلّا لماماً.

تنهّد إشيغامي.

- ألم تكونا قد أتيتما للقائي في إطار التّحقيق في قتل توغاشي؟ كيف كان بإمكاني إخباركما بالحقيقة؟ لكنتما إذاً قد شرعتما في الاشتباه بي.

- مفهوم، قال كوساناغي وهو يهزّ رأسه. ما دمتَ إذاً كنتَ حارسها الشّخصي فقد كنتَ تعرف عنها كلّ شيء.

- بالضّبط.

- أتقصد أنّك كنت تُقيم معها علاقة حميمة من قبل؟

- أجل، لكن من الواجب القول أيضاً أن لا أحد كان على علم بذلك. فبما أنّ لها بنتاً كان من الضّروري تفادي أن تُلاحظ شيئاً، فكنّا نتواصل بطريقة حاذقة، مع التزام الحذَر الشّديد.

- ما يعني، بطريقة أكثر وضوحاً؟

- إنّني أملك عدة طُرق. هل تُريدني أن أبدأ بالحديث عن هذا؟ سأل إشيغامي وهو يُلقي عليه نظرةً مُتسائلة.

كانت هذه الحكاية تتّسم عند كوساناغي بالغرابة، سواء في ذلك إعلان إشيغامي قبل قليل من دون أن يرفّ له جفن أنّه قد أقام علاقات حميمة معها أو حديثه عن ظروف علاقته بها، لكنّه كان يأمل مع ذلك أن يخرج بفكرة واضحة عن الوضعية النهائية.

- لا، ستُحدّثني عن ذلك لاحقاً، وأُريدك الآن أن تُخبرني بدقّة عمّا حصل مع السّيد توغاشي. قلتَ لي إنّك تظاهرت بتصديقه عندما قالَ إنّه زوج السّيدة هناووكا.

- سألني إن كنتُ أعرف أين هي، وهذا ما أجبته به: «هي ما عادت تقطن هنا، وقد تكون غيّرت مسكنها منذ مدّة قريبة بسبب عملها». بدا عليه الاندهاش، وأراد معرفة إن كنتُ على علم بعنوانها الجديد، فأجبتُه أنْ نعم.

- وماذا كنتَ حكيت له؟

تبسّم إشيغامي لهذا السّؤال.

- أنّها تسكن بشينوزاكي، وحدّثتُه عن شقّة صغيرة على ضفّة كيو-إدوغاوا.

ومن ثمّة العلاقة بشينوزاكي، فكّر كوساناغي.

- لكنّه لم يقنع بذلك.

- نعم، فقد أراد أن أُسلّمه العنوان. طلبتُ منه أن ينتظرني في الخارج ودخلت شقّتي كي أكتب له عنواناً على ورقة وأنا أنظر في الخارطة. كان عنوانَ محطّة مُعالجة المياه العادمة، فكرهت ما لاحظته عليه من ارتياح وهو يتسلّم العنوان منّي ويشكرني بحماسة.

- لماذا كنتَ اخترت هذا الموضع بالذّات؟

- كي أجعله يمشي إلى مكانٍ خالٍ موحش بالطّبع! فأنا أعرف ضواحي المحطّة.

- لحظة من فضلك. أتريد أن تقول إنّك بمجرّد لقائك بتوغاشي قرّرت قتله؟ سألَ وهو يُراقب وجه إشيغامي، لأنّه كان مُفاجأ ممّا سمع.

- أجل، بالطّبع، أجاب إشيغامي الهادئ. فكما سبق لي أن قلتُ لكما، كانت مُهمّتي تقتضي حماية ياسوكو هناووكا وأن أُبيد في أقرب الآجال كلّ شخص يُزعجها. تلك كانت مهمّتي.

- هل كنتَ على يقين من أنّه يُنكّل بها؟

- لم أكن على يقين من ذلك فحسب، وإنّما على معرفة بيِّنه به. كان يُفسد عليها حياتها، وإن كانت قد استقرّت في الشّقة المجاورة لشقّتي فللفرار منه.

- هي التي كانت قد أخبرتكَ بذلك؟

- علمتُ به بفضل التّرتيبات الخاصّة التي سبق أن لمّحتُ إليها.

كان إشيغامي يتحدّث من دون أدنى تردّد، ومن المفوض أنّه قد فكّر وقتاً طويلاً قبل أن يُسلّم نفسه للشّرطة، لكنّ الحكاية التي قصّها

كانت تبدو ضئيلة في واقعيتها، ولم تكن في كلّ الأحوال تُشبه الصّورة التي لكوساناغي عنه. بيد أنّه قرّر مع ذلك مواصلة الاستجواب.

- وماذا صنعتَ بعد أن قدّمتَ له الورقة؟

- سألني إن كنت أعرف مكان عملها فأخبرته أنّها تشتغل في مَطعم أجهل عنوانه وأضفتُ أنّها لا تعود إلى مسكنها إلّا بعد الحادية عشرة ليلاً مع ابنتها التي تنتظرها في محلّ شغلها. ولستُ بحاجة إلى القول إنّ شيئاً ممّا أخبرته به لم يكُن صحيحاً.

- ولماذا كذبت عليه؟

- للتّحكّم في تحرّكاته. كنت قد سلّمته عنوان مكان موحش، لكنّني كنت أُريد تفادي وصوله إليه باكراً. وإذ قلت له إنّها لا تعود إلّا بعد الحادية عشرة ليلاً، بصحبة ابنتها، كنت متأكّداً من أنّه لن يذهب قبل هذه السّاعة.

- لحظة! قال كوساناغي وهو يرفع يده في الهواء مُقاطعاً. كنت قد فكّرت في هذا في بضع ثوان؟

- تماماً، لماذا تسألني؟

- لا شيء... تُدهشني فكرة أن تكونَ قد فعلتَ ذلك على الفور.

- ليس ذلك بشيء، قال إشيغامي الذي ما عاد يبتسم. كنت قد فهمتُ أنّه ليس له في رأسه سوى فكرةٍ واحدةٍ هي أن يلتقي بياسوكو هناووكا، فوظّفت رغبته لصالحي، فما وجه التّعقيد في هذا؟

- ربّما ما كان الأمر مُعقّداً لديكَ أنت، أجاب كوساناغي وهو يمرّر لسانه على شفتيه. وما الذي حصلَ بعد ذلك؟

- سلّمته رقم هاتفي المحمول وطلبتُ منه أن يتّصل بي في حال

عدم عثوره على الشّقة. كان بإمكان أيّ كان أن يتساءل لماذا أنا على هذا القدر من الطّيبة معه، لكنّه هو لم يُفكّر في ذلك حتّى، لأنّه لم يكن ذكياً.

- لا أحد بإمكانه أن يتصوّر أنّ شخصاً يلتقي به لأوّل مرّة فيقرّر قتله.

- صحيح، لكن كان من المفروض أن يجد غريباً مدَّ شخص لا يعرفه يد العون له بهذه الطّريقة. وفي جميع الأحوال وضع الورقة في جيبه كما لو كانت لها قيمة كبيرة وانطلق مُنصرفاً بخطوات خفيفة. وما أن تأكّدت من انصرافه حتّى دخلتُ بيتي ورحتُ أقوم باستعداداتي.

توقّف عن الحديث ومدّ يده إلى فنجان الشّاي الذي كان قد بَرد لا شكّ ورشف منه مع ذلك بتلذّذ.

- أيّ استعدادات تقصد؟ سأل كوساناغي.

- أمور بسيطة. غيرت ثيابي وارتديت ملابس عملية وانتظرت مرور الوقت. عندما فكّرت في الطّريقة التي سأُصفّيه بها تصوّرت عدّة أشكالٍ للقتل فاخترت من بينها خنقَه لأنّ تلك هي الوسيلة الأضمن. كان بإمكاني طعنه أو ضربه حتّى الموت لكنّه كان من الصّعب توقّع مقدار ما سيُهرقه عليّ من دم كما أنّني لم أكُن متأكّداً من إمكانية قتله بضربة واحدة. زِدْ على ذلك أنّنا لسنا بحاجة إلى سلاح متطوّر لخَنق شخص، إذ لا يُعوزنا أكثر من حبل قوي فقرّرت استعمال حبل مائدتي المُدفئة.

- لماذا قرّرت ذلك؟ هل كانت لك حبال أخرى كثيرة؟

- كنت فكّرت في الالتجاء إلى ربطة عنق أو قطعة حبل بلاستيكي يُستعمل في شدّ العلب، لكنّ لهاتين الأداتين نقيصة وهي

أنّهما تنزلقان في الكفّ وكان بإمكانهما الانفلات. كلّا، فحبل المائدة المُدفئة هو الذي كان بإمكانه الوفاء بالغرض.

- وحملته معك؟

أجابَ إشيغامي نعم برأسه.

- غادرتُ شقّتي حوالي العاشرة مصحوباً بشفرة حادّة وبقدّاحة رخيصة. عندما مررتُ بالقرب من المحطّة لاحظتُ وجود قماش بلاستيكي مشمّع أزرق رماه شخص فجمعته وطويته وحملته معي. ذهبت في المترو حتّى أدركت محطّة ميزوي فأوقفتُ تاكسي حملني إلى جوار الكيو-إدوغاوا.

- لماذا لم تنزل في محطّة شينوزاكي؟

- لأنّ ذلك كان بإمكانه أن يجعلني أُجازف بملاقاته مصادفة، علّق إشيغامي. وقد جعلتُ التاكسي يقف قبل مسافة معتبرة من العنوان الذي أعطيته له. كان أهمّ شيء عندي هو تفادي أن يراني قبل اللّحظة التي كنت قد قرّرت الإجهاز عليه فيها.

- ماذا فعلت بعد أن غادرت التّاكسي؟

- توجّهت مشياً إلى المكان الذي كنتُ على يقين من أنّه سيأتي إليه، مُحاذراً من أن يراني أحد. لم ألتقِ في الحقيقة بأحد. قطع كلامه ليرتشف من الشّاي. وقد رنّ هاتفي المحمول لحظة وجيزة بعد وصولي إلى الضّفة. كانت المكالَمة منه. هاتفني ليقول لي إنّه في العنوان الذي سلّمته له، لكن لا بناية فيه. طلبتُ منه أن يُحدّد لي مكانه فأعلمني من دون صعوبة. لم يكُن قد انتبه إلى أنّني قريب جدّاً منه. قطعتُ المكالمة بعد أن فسّرت له أنّني سأتأكّد من العنوان وأعاود الاتّصال به، لكنّني كنت قد رصدتُ مكانه. كان قد جلس مثل غبيّ على نبات الحاشية فاقتربتُ منه بلا ضجيج، ببطء، فلم يُلقِ

بالاً لشيء. لم ينتبه لوجودي إلّا بعد أن وقفتُ خلفه ومرّرت الحبل على الفور حول عنقه. حاول التّخلّص لكنّني ضغطتُ بعنفٍ وسرعان ما أسلَمَ الرّوح. كان الأمر غاية في السّهولة. ارتشف إشيغامي من جديد لكنّه انتبه أنّ الفنجان فارغ. هل بإمكاني الحصول من جديد على قليل من الشّاي؟

وقف كيشيتاني وملأ له فنجانه فشكره.

- كان الضّحية قوي البنية، ولا يتجاوز الأربعين من عمره، لذلك أجد صعوبة في تصديق أن يكون الأمر قد مرّ بهذه السّهولة، خصوصاً إن كان قد قاومَ وعمل على التّخلّص من الحبل، قال كوساناغي.

لم يُجب إشيغامي بشيء في البداية واكتفى بغمز من عينه، ثمّ قال:

- أنا مُكلّف بنادي الجودو وبإمكاني السّيطرة على أيّ خصم إن هاجمته من الخلف.

هزّ كوساناغي رأسه وحوّل بصره في اتّجاه أُذني إشيغامي. كانتا من النّوع الشّبيه بالقرنبيط والذي يُميز آذان مُصارعي الجودو، وكذا العديد من رجال الشّرطة.

- وبعد أن قتلته؟ سأل كوساناغي.

- كان من الضّروري إخفاء هُويته، لأنّ كشفها يعني المجازفة بإقامة علاقة بينه وبين ياسوكو هناووكا. بدأتُ بتجريده من ثيابه، وكي أُسرِعَ في ذلك استعنتُ بالشّفرة الحادّة التي كنت قد أتيتُ بها معي. بعد ذلك هشّمت وجهه، قال مُفسّراً بنبرة هادئة. حملتُ صخرة كبيرة وغشّيت وجهه بالقماش البلاستيكي وضربت بعنف

مرّات متعدّدة لا يُمكنني أن أُحدّد لكَ عددها، لكنّها لا تقلّ عن عشر. بعد ذلك أحرقتُ أطراف أصابعه بالقدّاحة وحملتُ ملابسه وانصرفت. ولمّا هَمَمْتُ بنزول الأدراج لمحتُ آنية معدنية فوضعتُ الملابس فيها وحاولتُ إحراقها. كانت ألسنة اللّهب أضخم بكثير ممّا كنت أنتظر فخفتُ أن يلتفت أحد إليّ فانصرفتُ مُسرعاً. مشيتُ حتّى أدركتُ الشّارع الذي تمرّ منه الحافلة، لكنّني أوقفتُ تاكسي حملني إلى غاية محطّة طوكيو، ومنها ركبت آخر أقلّني إلى بيتي. من المفروض أن أكون قد عدتُ إلى حال سبيلي بُعيد منتصف اللّيل. تنهّد إشيغامي بعمق. هذه هي الطّريقة التي تصرّفت بها، والحبل الذي استعملته يوجد في بيتي مع الشفرة والقدّاحة.

أشعل كوساناغي سيجارة ونظر بطرف عينه إلى كيشيتاني المسترسِل في تسجيل رؤوس الأقلام، ثمّ توجّه باهتمامه إلى إشيغامي نافثاً دخان سيجارته، فلم يرصد أيّ تأثّر في عينيه.

بدَت له حكاية إشيغامي الآن مُحتمَلَة الوقوع، مُتوافقة مع حال الجثة ومكان الجريمة. وبما أنّ هذه المعلومات لم تكُن قد تُدوولت في الصّحافة فمن الصّعوبة بمكان اعتبار أنّ حكايته هذه هي من نسج الخيال.

- هل أخبرتَ ياسوكو هناووكا أنّك مُرتكب الجريمة؟

- ولماذا أفعل ذلك؟ لَكنتُ قلقت جدّاً من أن تقصّ الحكاية على شخص آخر. النّساء لا يعرفن كيف يحتفظن بالسّر.

- لم تُحدّثها إذاً عن ذلك قطّ؟

- بالطّبع لم أُحدّثها، وقد تجنّبت ما استطعتُ الاتّصال بها كي أتفادى أن تُلاحظوا أنتم، رجال الشّرطة، أيَّ شيء.

- قلت قبل قليل كانت لك وسيلة للاتّصال بها لا يُمكن لأحد الانتباه إليها، أليس كذلك؟ ما هي هذه الوسيلة؟

- لي عدّة طرائق، كأن أُنصت إلى ما تقول مثلاً.

- تقصد أنّك تُحدّد لها موعداً في مكان ما لهذه الغاية؟

- لا، لو فعلتُ ذلك لاستطاع أحدهم رؤيتنا. هي تُحدّثني من بيتها وأنا أسمعُها بفضل تجهيز معين.

- تجهيز؟

- لقد ثبّت مُكبّر صوت على الجدار الملاصق لشقّتها، وكنت أستعمله.

رفع كيشيتاني رأسه مُفاجأ وخمّن كوساناغي ما أراد قوله.

- كنت تتجسّس عليها؟

رفّت عينا إشيغامي كما لو أنّ ما قاله كوساناغي فاجأه وأثارَ اشمئزازه فحرّك رأسه.

- لم أكُن أتجسّس عليها وإنّما كنتُ أُنصت إلى شكواها.

- لكن هل كانت هي على علم بوجود هذه الآلة؟

- ربّما لم تكن تعلم، لكنّني متأكّد أنّها كانت تتحدّث في اتّجاه الجدار المشترَك بيننا.

- تقصد أنّها كانت تُحدّثك؟

- أجل، بالطّبع، فبما أنّها تعيش مع ابنتها ما كان بإمكانها أن تُحدّثني مُباشرة. كانت تتظاهر بمُحادثة ابنتها لكنّ رسائلها كانت مُوجّهة إليّ في الحقيقة.

كانت السّيجارة التي يحملها كوساناغي بين أصابعه قد استُهلكَ نصفُها، فأسقطَ الرّماد في المرمدة. التقَت نظرته بنظرة كيشيتاني الذي أمال رأسه جانباً وقد علا وجهه تعبير حائر.

- وهل أخبرتك أنّها تتوجّه إليكَ بالحديث وهي تتظاهر بمحادثة ابنتها؟

- ليست بحاجة إلى قول ذلك كي أعرفه. أنا أفهم كلّ شيء يصدر عنها، قال وهو يهزّ رأسه.

- ما يعني أنّها لم تُخبركَ بذلك. ألا ترى أنّك قد تكون مُتوهّماً؟

- بالطّبع لا! أصبح إشيغامي أكثر حماسة في حديثه بعد أن ظلّ سادراً في ثباته حتّى الآن. هي كانت كثيرة الشّكوى من زوجها السّابق وقد علمتُ من كلامها أنّه كان يُنغّص عليها حياتها. أن تحكي ذلك لابنتها ليس له أيّ معنىً، هذا أمر مفروغ منه، وما كانت تقوم بذلك إلّا لإخباري أنا. هي كانت تطلب منّي أن أقوم بشيء من أجلها.

آتى كوساناغي حركة تهدئة بكفٍّ وأطفأ السّيجارة بالأخرى.

- وما هي باقي الطّرق التي كنت تستعملها؟

- الهاتف. كنت أُكلّمها كلّ مساء.

- على ثابت بيتها؟

- لا، على هاتفها المحمول. لا تعتقد أنّني كنت أُحدّثها، لا، فقط كنت أترك الهاتف يرنّ، هذا كلّ ما في الأمر. إن كان لي أمر مُستعجل أُريد قوله لها كنت أكلّمها، وإلّا فإنّني كنت فقط أترك الهاتف يرنّ فأقطع دائماً بعد الرّنة الخامسة. هكذا كنّا اتّفقنا.

- قرّرتما ذلك معاً؟ هذا يعني أنّك كنت قد أخبرتها بذلك.

- بالضّبط. كنّا مُتّفقين على ذلك.

- حسن، سأطلب منها أن تُؤكّد لي ذلك.

- فكرة جيدة! هذا أضمَن، قال إشيغامي بنبرة واثقة، مع إيتاء حركة من ذقنه.

- سيكون عليّ أن أطلب منك تكرار ما حكيته لي مرّات متعدّدة لأنّنا في حاجة إلى اعترافاتك هذه.

- أفهم ذلك جيداً، وهو أمر لا مناص منه.

- أودّ أن أطرح عليك سؤالاً أخيراً، قال كوساناغي وهو يُشبّك ذراعيه على الطّاولة. لماذا سلّمت نفسك للشّرطة؟

تنهّد إشيغامي بعمق.

- أما كان عليّ أن أفعل؟

- أنتَ لا تُجيب عن سؤالي. أعتقد أنّ لك سبباً لفعل ذلك وباعثاً أحبّ أن أعرفه.

تنفّس إشيغامي بصوت مُرتفع.

- أنا لا أرى لتسليمي نفسي علاقةً بعملك. ألا يكفيك أن يكون الجاني قد قرّر تسليم نفسه مدفوعاً بكبريائه؟ هل أنت بحاجة إلى بواعث أخرى؟

- أنا لا أشعر أنّ كبرياءك هي التي دفعتك إلى تسليم نفسك.

- إن أردتَ معرفة ما إن كنت واعياً بأنّني قد أسأت التّصرّف إذ قتلتُ سأجدني مُضطرّاً لإجابتك بأمرٍ مُختلف قليلاً. لو كنت أعلم أنّها ستخونني كما فعَلَت لما كنتُ قَتَلت.

- خانتك؟

- هذه المرأة... ياسوكو هناووكا، واصلَ إشيغامي حديثه وهو يرفع ذقنه قليلاً، خانتني. لقد أضحت على صلة برجلٍ آخر، بعد أن خلّصتُها من زوجها السّابق! ما كنت لأقوم بما قمتُ به لو لم تكن قد جعلتني أعي أنّها تُعاني. كانت قد قالت إنّها تُريد موته فقمتُ أنا

بذلك بدلاً منها. لذلك يُمكن القول إنّها شريكتي في الجريمة فوجبَ عليكم اعتقالها أيضاً.

قرّرت الشّرطة القيام بتفتيش شقّة إشيغامي للبحث عن دلائل تُعزّز تصريحاته. وبينما كانت الشّرطة تقوم بذلك جعل كوساناغي وكيشيتاني يستجوبان ياسوكو هناووكا. كانت قد عادَت من عملها، وكانت ميساتو أيضاً في المنزل، لكنّ مُفتّشاً آخر أخرَجَها من الشّقة، لا ليُجنّبها الصّدمة وإنّما ليَطرَح عليها أسئلة.

فتحت ياسوكو عينيها واسعتين عندما سمعت أنّ إشيغامي قد سلّم نفسه، فبهتت من الدّهشة.

- ألم تكوني تتوقّعين هذا؟ سألها كوساناغي وهو يتفرّس وجهها.

أجابته بحركة من رأسها ولزمها بعض الوقت كي تسترجع قدرتها على الكلام.

- أبداً. لكن ما الذي جَعَله يفعل ذلك بتوغاشي...

- ألا تُخمّنين داعيه لذلك؟

عَبَرَ محياها تعبير مُضطرب فقرأ في ذلك بعض التّردّد وحصل لديه انطباع بأنّها تُخفي عنه أمراً ما.

- يقول إشيغامي إنّه قد فعل ذلك من أجلك. قتَلَه من أجلكِ أنتِ.

عقدت ياسوكو حاجبيها مُعطية الانطباع أنّها منهَكَة وأطلقت تنهيدة عالية.

- أرى أنّكِ تشكّين في أمر ما.

ثمّ رفعت رأسها قليلاً.

- كنت فهمت أنّه يميل لي بعض الميل، لكنّه ما كان بإمكاني أبداً تصورُ أنّه قد يُقدم على شيء مثل هذا...

- قال لنا إنّه كان على اتّصال بكِ منذ زمن طويل.

- معي أنا؟ وتميّز وجهها. هذا ليس صحيحاً.

- لكنّه كان يُهاتفكِ مع ذلك، وكلّ مساء!

أطلَعَها كوساناغي على كلام إشيغامي فتميز وجهها.

- هو مَن كان يُكلّمني إذاً؟

- لم تكوني على علم بذلك؟

- كنت أشكّ فيه، لكنّني لم أكُن متأكّدة، ولم يكن يُدلي أبداً باسمه.

حكَت ياسوكو أنّها كانت قد شرعت في تلقّي هذه المكالمات منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر. ولم يكن الرّجل الذي يتّصل بها يُطلعها على هويته. كان يُحدّثها عن أمور تتعلّق بحياته الشّخصية، وقالت إنّها غير قادرة على أن تقول ما إن كان يُراقبها من قرب. كانت قالت مع نفسها إنّه رجل يتحرّش بها وشعرَت بالخوف، ولم تكن تعرف أبداً مَن يكون. وبما أنّ هذه المكالمات كانت مُتواترة فقد اعتادت ألّا تردّ عليها. وفي يوم حملت السّماعة تهوّراً منها وهذا ما كان مُخاطبها قال لها: «خمّنت أنّك كنت مشغولة جدّاً فما استطعت أن تُجيبيني. أنا أقترح عليك من الآن فصاعداً الآتي: سأستمرّ في الاتّصال بك كلّ مساء ويُمكنك أن تُجيبيني إن كان لك شيء تُريدين إخباري به. سأترك الهاتف يرنّ خمس مرّات فإن كنت تُريدين الكلام أجيبيني قبل أن أقفل الخطّ».

وافقت على اقتراحه، فراح انطلاقاً من تلك اللّحظة يتّصل بها كلّ مساء، على الأرجح من مخدع هاتفي عموميّ. ولم تكن تُجيبه.

- ألم تتعرّفي صوت إشيغامي؟

- كيف كان بإمكاني تعرّفه ولم يكد يسبق لي أن حدّثته؟ تعود أولى مكالماته إلى زمن تغييري مسكني وما كنت عدت أتذكّر صوته الذي لا أتعرّفه إلّا بصعوبة اليوم أيضاً. هذا فضلاً عن أنّني استبعدت كلّ شكّ فيه، لأنّه أستاذ ثانوي.

- يوجد من المدرّسين عدّة أصناف، قال كيشيتاني مُتدخّلاً وقد جلس بجانب كوساناغي، مُطرقاً رأسه كما لو كان يعتذر عن تدخّله.

تذكّر كوساناغي أنّ زميله الشّابّ كان قد اصطفّ منذ البداية إلى جانب ياسوكو هناووكا، ومن المفروض أن يكون قد شعرَ بالارتياح من اعتراف إشيغامي.

- هل هناك شي آخر غير هذه المكالمات؟

طلبت ياسوكو منهما الانتظار لحظة ووقفت كي تأتي بثلاثة أظرفة من درج دولاب، يبدو اسمها مكتوباً عليها ثلاثتها من دون أن تكون ثمّة إشارة إلى اسم المُرسِل.

- ما هذا؟

- وجدتُها في علبة بريدي، وقد توصّلت برسائل أخرى لم أستطِعْ الاحتفاظ بها، بَيْدَ أنّني تذكّرت استماعي في التّلفزيون إلى أنّ علينا الاحتفاظ بما يُمكن أن يكون دليل إقناع أمام المحكمة، فاحتفظتُ بهذه الرّسائل الثّلاث رغم اشمئزازي منها.

- أتسمحين لي بالاحتفاظ بها، قال كوساناغي وهو يفتحها.

كان كلّ ظرف منها يحوي رسالة من صفحة واحدة مرقونة ومطبوعة، ولم تكُن أيّ منها طويلة:

لقد جعلتِ هذه الأيّام الأخيرة تبالغين قليلاً في وضع أصباغكِ وتتزيين بطريقة أكثر لفتاً للانتباه حتّى أنّني لا أتعرّفك. البساطة تليق بكِ أكثر، كما أنّني لا أحبّ عودتك المتأخّرة إلى البيت. لا تتسكّعي في الطّريق لدى عودتك من العمل.

يبدو لي أنّك منشغلة. إن كان الأمر كذلك، أرجو أن تُخبريني بسببِ انشغالك، فذاك على أيّ حال هو سبب اتّصالي بك هاتفياً كلّ مساء. أنا على يقين من قدرتي على تقديم النّصح لك في عدّة أمور، إذ لا يُمكنك أن تثقي بالنّاس. عليكِ ألّا تمنحيهم ثقتكِ. يجدر بك أن تتصرّفي كما أقول لك.

لدي إحساس مُسبَق سيّئ وأتساءل مع نفسي ما إن كنتِ قد خُنتني. لا أُريد تصديق ذلك، لكن إن حصل وكان الأمر هكذا فأعتقد أنّني لن أكون قادراً على الصّفح عنكِ. أنا حليفك الوحيد. أنا حاميكِ الوحيد.

أعاد كوساناغي الرّسائل إلى أظرفتها بعد أن قرأها.
- هل أستطيع الاحتفاظ بها؟
- لك ذلك.
- أليس لديكِ أمرٌ آخر تُريدين إطلاعنا عليه؟
- ليس لي شيء، لكن... أجابت مُتردّدة.
- هل حدّثتكِ ابنتكِ عن شيء؟
- كلّا، لكن السّيد كودو، من جهته...
- آه، نعم، السّيد كودو. ما له؟

- كنت قد التقيتُ به ذات يوم فقال لي إنّه توصّل برسالة غريبة. لم يكُن عنوان المُرسِل مُسجّلاً على غلافها وكانت الرّسالة تأمره ألّا يقترب منّي، وأعتقد أنّها كانت تضمّ أيضاً صورة التُقطت لكودو في غفلة منه.

- أرسَلَها له...

- نظراً إلى الظّروف المحيطة بالقضية فإنّ هذه الرّسالة لم يكن مُمكناً أن يكتبها إلّا إشيغامي.

فكّر كوساناغي فيما سبق لمانابو يوكاوا أن قاله له. كان قد أوحى له باحترامه لإشيغامي بوصفه رجل رياضيات، وسيُصدم لا محالة بالطّريقة التي كان يتحرّش بها بهذه المرأة.

طُرق الباب وظهر وجه مفتّش شابّ في الانفراجة، فردّت ياسوكو: «ادخُل». هو أحد أفراد الفرقة التي فتّشت شقّة إشيغامي.

- سيّد كوساناغي، هل بإمكانك المجيء لحظة؟

- أنا قادم، قال وهو ينهض.

كان ماميا جالساً على أحد كراسي الشّقة المجاورة قُبالة الطّاولة التي وُضع عليها حاسوب إشيغامي مُشغّلاً، وكان المفتّشون الشّباب يُسارعون بملء علب كارتونية.

- انظرْ إلى هذا، قال ماميا لكوساناغي وهو يُشير بيده إلى رفّ مُثبت على الجدار.

- يا للعجب! قال كوساناغي غير قادر على منع نفسه من إبداء الاندهاش.

كان الورق الملون الذي يُنجّد الجدار قد تمزّق على مُربّع من عشرين سنتيمتراً تقريباً، وقد أُزيلت القطعة الخشبية تحته فبدا حبل كهربائيّ مُثبتاً وموصولاً من طرفيه بسمّاعتين.

- ضع السّماعتين على أذنيك، أمَرَ ماميا.
نفّذ كوساناغي ما أُمر به وسمع على الفور مُحادثة.

إنْ عثرنا على عناصر تُعزّز تصريحات إشيغامي أعتقد أنّ كلّ شيء سيمرّ بسرعة وسنكفّ فوراً عن إزعاجك.

كان هذا صوت كيشيتاني. لم يكن صافياً للغاية لكنه كان واضحاً بما يكفي ليجعل من يُنصت يعتقد أنّ المحادثة لا تجري في شقّة مُجاورة.

. . . وكيف سيُحاكم إشيغامي على جريمته؟
القاضي هو مَن سيقرّر ذلك. إنّها جريمة، فحتّى لو تفادى الحكم بالإعدام سيُحكم عليه بالتأكيد بقضاء مدّة طويلة في السّجن. وهذا يعني أنّه لن يكون بإمكانه أبداً العودة للتّحرّش بك.

أزاح كوساناغي السّماعتين وهو يُفكّر في أنّ كيشاتاني بالَغَ في ثرثرته.
- ستُري هذا لياسوكو هناووكا. يُؤكّد إشيغامي أنّها على علمٍ بوجوده، لكنّ ذلك يبدو لي مُستحيلاً، قال ماميا.
- أتعتقد أنّها ليست على علم بشيء؟
- لقد استمعتُ إلى استجوابك لها بفضل هذا، قال رئيسه مع بسمة واسعة. كان إشيغامي يتحرّش بها، وكان على يقين من أنّها تُقاسمه مشاعره فأراد القضاء على كلّ الرّجال الذين يقتربون منها، ولم يكُن بإمكانه إلّا أن يُكنّ الكراهية لزوجها السّابق.

- آه!

- لماذا تُؤتي هذه الحركات، أثمّة أمر لا يُعجبك؟

- لا، أنا بالأحرى محتار لأنّ الفكرة التي كنت قد كوّنتها عن إشيغامي لا تتوافق البتة مع ما أدلى به من تصريحات.

- لنا جميعاً عدّة أوجهٍ، والرّجال الذين يتحرّشون بالنّساء يكونون بعامة مختلفين جدّاً عمّا نتصوّره عنهم.

- أعرف ذلك... هل عثرت على شيء آخر غير مكبّر الصّوت هذا؟

- حبل مائدة مُدفئة موضوع في علبة كارتونية، وهو حبل مُغشّى بالنّسيج. إنْ توافَقَ مع الآثار الموجودة على عنق الضّحية تكون القضية قد انتهت.

- وماذا أيضاً؟

- سأريكَ شيئاً، قال ماميا وهو يُحرّك فأرة الحاسوب.

قام بذلك بحركة خالية من المهارة تعلّمها لتوّه على الأرجح من أحد تابعيه.

- انظر إلى هذا.

فظهرت نافذة مُعالجة النّصوص ثمّ فتح نصّاً قرأ فيه كوساناغي:

أنا أعرف هوية الرّجل الذي تلتقين به، وهاتان صورتان له دليلاً على ذلك.

لدي سؤال أُريد طرحه عليك: ما هي طبيعة العلاقة التي تجمع بينكما؟

إن كنتما تُشكّلان ثنائياً غرامياً فإنّني سأعدّ ذلك ضرباً من الخيانة لا أستطيع تحمّله.

أتُقدّرين ما قمتُ به من أجلك؟

إنّ ذلك ليسمح لي بأن أُوجّه إليكِ أوامر. اقطعي علاقتك فوراً بهذا الرّجل.

وإن لم تفعلي فإنّني سأجدني مُضطرّاً لصبّ غضبي عليه.

لن أجد أدنى صعوبة في جعله يذوق من مصير توغاشي نفسه. أنا مُستعدّ لذلك وأعرف كيف أقوم به.

أُكرّر لك أنّني لست مستعدّاً لتحمّل الخيانة التي ستجسّدها هذه العلاقة القائمة بينك وبين هذا الرّجل. كوني على يقين من أنّني سأنتقم.

17

وقف مانابو يوكاوا في النّافذة ينظر إلى الخارج مُديراً ظهره لصديقه في هيئة توحي بشعوره بأنّه مُهانٌ ووحيد. لم يكن كوساناغي مقتنعاً بأنّ حال صديقه عائدة إلى صدمته من علمه بالجريمة التي اقترفها هذا الصّديق الذي عثر عليه لتوه بعد سنوات عديدة من الغياب، بل بدا له بالأحرى أنّه فريسة لشعورٍ آخر.

- وماذا بعد؟ سأل يوكاوا بصوت غير مرتفع، أصدّقت هذه الحكاية؟ هل صدّقت اعترافات إشيغامي؟

- ليس للشّرطة داعٍ للشّك فيما قاله، وقد تأكّدنا من تصريحاته باختبارها على مختلف أوجهها. ذهبتُ اليوم للتّحقيق في مخدع هاتفٍ عمومي، يقعُ غير بعيد عن منزله، كان قد أكّد لنا أنّه يذهب إليه كلّ مساء تقريباً لمُحادثة ياسوكو هناووكا، فأكّد لنا الشّخص الذي يُدير البازار الصّغير الموجود مُباشرة إلى جانبه أنّه قد رآه، وهو يتذكّره لأنّ النّاس ما عادوا في أيامنا هذه يستعملون المخادع الهاتفية، في حين أنّه هو لم يأتِ إليه مرّة واحدة وإنّما مرّات.

التفت يوكاوا ببصره ببطء نحو صديقه.

- «ليس للشّرطة داعٍ...» سأكون شاكراً لكَ لو جنّبتني هذا

الضّرب من التّعابير الملتبسة. أنا أسألك إن كنت أنت تُؤمن بهذا ولا أسألك عن وجهة نظر الشّرطة في الطّريقة التي يتقدّم بها التّحقيق.

هزّ كوساناغي رأسه متنهّداً.

- كي لا أكذبَك القول، أجد صعوبة في تصديق ما قاله. بَيْدَ أنّ حكايته ليس فيها أيّ قدر من عدم الانسجام. كلّ شيء فيها منطقيّ، لكنّني مع ذلك لا أستطيع أن أُصدّق. وكي أقول الأشياء ببساطة، ليس لديّ الانطباع بأنّه قادر على التّصرف بالطّريقة التي وصفها. وقد حدّثت رئيسي في ذلك لكنّه رفضَ أن يسمع أيّ شيء.

- أتصور أنّه سعيد ما دام الجاني قد وقَع.

- لكانت الأمور اختلفت لو كان تمّ العثور على عنصر يُثير الشّك، لكنّه غير موجود. كلّ شيء في مكانه. فبالنّسبة إلى البصمات المرفوعة عن الدّراجة يُؤكّد إشيغامي أنّه لم يكُن على علم بأنّ الضّحية أتى بالدّراجة، وهذا يبدو مقنِعاً، وكلّ تصريحاته تُعزّزها المعطيات المتوافرة، وبالنّتيجة فإنّ بإمكاني أن أقول ما أشاء لكن لن يُنصت إلي أحد.

- إن أجدتُ الفهم عنك فأنتَ لستَ مُقتنعاً لكنّك مستعدّ لقبول المنحى الذي جرت به الأمور والذي يجعل من إشيغامي مجرماً؟!

- حاوِلْ تفادي هذه التّعابير الغامضة لو تكرّمت. كنت أعتقد أنّك تولي المنطق أهمية أكثر ممّا توليه للمشاعر، وأنّ رجل العلم يتّبع قاعدةَ قبولِ شيء حتّى ولو لم يُعجبه شريطة أن يكون منطقياً. فأنت كثيراً ما ردّدت هذا على مسمعي.

رفضَ يوكاوا كلام صديقه بحركة من رأسه ثمّ جلس قُبالته.

- لقد حدّثني إشيغامي عن الرّياضيات في آخر مرّة التقيتُ به فيها. حدّثني عن المشكلة $P \neq NP$، بمعنى الإجابة عن السّؤال: ما

الأسهل، الوصول إلى حلّ لمشكلة رياضية أم التّأكّد من الحلّ الذي وصل إليه شخص آخر؟

كشّر كوساناغي بملامحه.

- هل هذه مشكلة رياضية؟ تبدو كأنّها سؤال فلسفي.

- استمِعْ إلي. إشيغامي قدّم لك حلّاً بتسليمه نفسه وبإدلائه باعترافات. قدّم حلّاً يبدو صحيحاً مهما كانت الطّريقة التي ننظر بها إليه، فإن قبلتَه من دون تمحيص كان هو المنتصِر. ما عليكَ القيام به وزملاءَك هو أن تتأكّدوا من صحّة هذا الحلّ مُستعملين في ذلك كلّ الوسائل التي في مُتناولكم. لقد دعاكم إلى تحدٍّ ووضَعَكُم في موقف امتحان.

- لكنّني أخبرتك أنّنا قد التجأنا إلى مُختلف وسائل التّحقّق.

- نعم، لكن باتّباعكم السّبيلَ الذي رسمَه هو لكم. عليكم بالتأكّد من أنّ جوابه هو الجواب الوحيد الممكن، وألّا تتركوا مجالاً للشّك في أنّه لا يزال هناك جواب آخر ممكن أيضاً. فقط عندما تقومون بهذا سيكون بإمكانكم التأكيد على أنّه لا وجود لجواب آخر غير جوابه.

كانت النّبرة المُصمّمة لكلام صديقه تدلّ على غضبه وعلى تأثّر غير معهود لدى رجل الفيزياء الذي يبقى في العادة بارداً.

- أنت تعتقد أنّ إشيغامي يكذب، وأنّه ليس الجاني.

عقد يوكاوا حاجبيه ونكّس بصره، فواصل كوساناغي القول وهو ينظر إليه:

- هل لك أدلّة على ذلك؟ إن كنت قد فكّرت في احتمالات أُخرى شاطرني إياها. أم أنّ الأمر لا يعدو كونك لا رغبة لك في أن يكون صديقك القديم مجرماً؟

نهض رجل الفيزياء وأدار ظهره لكوساناغي.

- يوكاوا!

- الحقّ أنّني لا أُريد تصديق أنّه المجرم، وأعتقد أنّه قد سبق لي أن قلتُ لك إنّه يولي المنطق مكانة خاصّة، في حين يُحل المشاعر محلّاً أدنى بكثير. أنا أراه قادراً على اقتراف أيّ شيء إن قدّر أنّ بإمكان ذلك حلّ مشكل. لكن أن يصل به الأمر حدّ قتل شخص... وألّا تكون له فوق ذلك أدنى صلة بهذا الشّخص... فذلك ما لا يُمكنني تصوّره.

- أليس لك دليل آخر غير هذا؟

التفت يوكاوا ووجّه نحو صديقه نظرة سوداء، لكنّ عينيه كانتا تُعبّران عن الحزن والأسى أكثر ممّا عن الغضب.

- أنا على بيِّنة تماماً من وجود حقائق في هذا العالم لا رغبة لنا البتة في قبولها.

- لكن رغم كلّ شيء، فأنت تعتقد أنّ إشيغامي بريء.

ميّز يوكاوا وجهه ونفى بحركة من رأسه.

- لا، أنا لا أقول بذلك.

- أنا أرى ما تُريد قوله. ياسوكو هناووكا في تصوّرك هي التي قتلت توغاشي فقرّر إشيغامي أن يحميها. لكنّنا كلّما عمّقنا تحقيقاتنا ازداد هذا الاحتمال تضاؤلاً. لدينا أدلّة على أنّ إشيغامي قام بتصرّفات قريبة من أن تكون تحرّشاً بياسوكو. أنا أقبل أن يكون ذلك من أجل حمايتها، لكنّني أخشى أن تكون كلّ هذه الأدلّة توحي بشيء لا وجود له. ثمّ هل تُصدّق بالفعل أنّ هناك أشخاصاً لديهم الاستعداد لاتّهام أنفسهم بجريمة قتل لم يرتكبوها؟ ياسوكو ليست

زوجته وليست أيضاً فرداً من عائلته، بل ليست حتّى خليلته. فإنْ كانت قد حَدَته الرغبة في مساعدتها بإخفاء آثار الجريمة، كان بإمكانه أيضاً العدول عن ذلك إن لم تمشِ الأمور كما كان يشتهي. هذا أمر إنساني.

فتح يوكاوا عينيه على سِعَتِهما كما لو كان قد اكتشَفَ لتوّه أمراً ما.

- الشّخص العادي هو الذي يعدل عن القيام بأمرٍ إن لم تجرِ الأمور كما أراد، أمّا إشيغامي فإنّه يُعلي من شأن الاستمرار في الحماية حتّى النّهاية وإن كان ذلك في مُنتهى الصّعوبة، قال مُتمتماً تعكس نظرته تفكيره العميق. وإشيغامي يعرف ذلك من نفسه. إذاً...

- إذاً ماذا؟

- إذاً... وحرّك يوكاوا رأسه وأردف: لا شيء.

- لا أستطيع منع نفسي من اعتباره مُذنباً، ونظراً إلى غياب أيّ عنصر جديد فإنّني لا أرى كيف يكون بإمكان التّحقيق أن يُغيِّر مجراه.

حكّ يوكاوا وجهه من دون أن يُجيب بشيء، وتنهّد ببطء.

- لقد... اختار أن يعيش في السّجن.

- إن كان قد قَتَل، فسَجنه هو من باب تحصيل الحاصل.

- أجل...

سكن يوكاوا في مقعده وقد وضعَ خدّه على قبضة يده وواصل قائلاً:

- معذرة، لكنّني أُريدك أن تنصرف. أشعُر أنّني مُتعب.

كان موقف رجل الفيزياء غريباً، وكان كوساناغي يودّ طرح

أسئلة أخرى عليه، لكنّه نهض من دون أن ينبس بكلمة لأنّه أحسّ بصديقه مُتعباً للغاية.

عندما غادر المختبر التقى في الرّواق السيئ الإنارة برجل شابّ كان قد صعد السّلم لتوّه، وسُرعان ما تعرّف كوساناغي إلى هذا الطّالب الهزيل ذي الوجه المتوتّر. اسمه توكيوا، يُهيّئ رسالة الماجستير تحت إشراف يوكاوا، وهو الذي كان قد أخبَرَه بوجود يوكاوا على الأرجح في شينوزاكي عندما كان صديقه غائباً ذاك اليوم لمّا أتى للقائه.

من المفروض أن يكون توكيوا قد تذكّره لأنّه حياه بحركة من رأسه وهو يمرّ بجانبه.

- معذرة... قال كوساناغي.

التفت الطّالب مُبلبلاً فابتسم له المفتّش.

- أودّ سؤالك في أمرٍ إن تكرّمتَ عليّ بقليلٍ من وقتك.

راجع توكيوا ساعته وأجاب أنّ ذلك ممكن، على ألّا يستغرق وقتاً طويلاً.

غادرا البناية التي تضمّ مخابر الفيزياء ودخلا مقصفاً يرتاده طلبة الشُّعَب العلمية وجلسا إلى مائدة بعد أن أتيا بقهوتيهما من آلة.

- هي أجوَد بكثير من مسحوق القهوة بمختبركم، لاحظ كوساناغي بعد أن ارتشف منها، غايته تبديد توتّر الطّالب.

ابتسم توكيوا من دون أن يتخلّى عن التّعبير الذي تعكسه ملامحه المتشنّجة.

تخلّى كوساناغي عن فكرة البدء بالحديث عن كلّ شيء ولا شيء واقتحم صلب الموضوع.

- أودّ أن أسألك عن السّيد يوكاوا. هل لاحظتَ تغيّراً في سلوكه خلال هذه الأيام الأخيرة؟

أبدى توكيوا بعض الانزعاج ففهم كوساناغي أنه لم يكُن مُوفّقاً في طرح سؤاله.

- أتساءل ما إن كان غدا يهتمّ بأمرٍ لا علاقة له بعمله.

أمال الطّالب رأسه جانباً عليه أمارات التّفكير.

ابتسم كوساناغي.

- اطمئنّ، فهو ليس مُورطاً في أمرٍ ما مُريبٍ. أنا لا أُريد أن أقول لك أكثر من هذا، لكن لدي الانطباع بأنّه يُخفي عنّي أمراً ما. أنتَ تعرف من دون شكّ كما أعرف أنا أنّه غريب الأطوار.

لم يكن من السّهل عليه أن يُقدّر كيف سيُؤوّل الطّالب هذا التّعليق، لكن بدا وكأنّ هذا الشّابّ قد انطلقت أساريره وأجاب بالإيجاب بحركة من رأسه. وربّما لم يكن ذلك منه سوى طريقةٍ للإعراب عن موافقته على نعتِ يوكاوا بغريب الأطوار.

- لا أستطيع أن أقول لك عمّ يبحث، لكنّني سمعتُه في يوم يُهاتف المكتبة.

- المكتبة؟ مكتبة الكلّية؟

أجاب توكيوا بالإيجاب.

- كان يُريد معرفةَ ما إن كان بإمكانه مُراجعة بعض الصّحف اليومية.

- صحف يومية؟ يا له من سؤال غريب! الصّحف موجودة في كلّ المكتبات.

- صحيح، لكنّني أعتقد أنّ الغرض من سؤاله كان هو أن يعرف المدّة التي تحتفظ فيها المكتبة بهذه الصّحف.

- كان اهتمامه مُنصبّاً على الجرائد القديمة...

- لا، لم يكُن يقصد الجرائد القديمة. يبدو لي أنّه سأل إن كان بإمكانه الاطّلاع على الجرائد الصّادرة منذ شهر.

- الصّادرة منذ شهر... وما كان جوابهم؟ أنّ ذلك ممكن؟

- أعتقد بذلك، لأنّه كان قد توجّه إلى المكتبة فوراً.

حرّك كوساناغي رأسه ونهض توكيوا شاكراً إياه على القهوة، وحمَلَ معه كأسه الممتلئ نصفها بعدُ.

مكتبة الجامعة بناية من طابقين. لم يكن بإمكان كوساناغي أن يحكم ما إن كانت قد تغيَّرت منذ أن درس في هذه الجامعة وإلى اليوم لأنّه لم يكن قد التجأ إليها آنذاك إلّا في مناسبتين. بدَت له جديدة.

سأل مكتبية جالسة بالكونتوار قريباً من المدخل إن كان بإمكانها إخبارُه بالصّحف التي راجعها حديثاً الأستاذ يوكاوا، فتفرّست وجهه مُبدية حذراً.

لذلك قرّر أن يُريها بطاقته المهنية.

- أنا لا أسألكِ إن كان قد قام بذلك أم لا وإنّما أن تدلّيني على المقالات التي قرأها، قال مُفسّراً من دون أن يكلّف نفسه صياغة السّؤال بطريقة أخرى أحسن.

- أعتقد أنّني أتذكّر أنّه كان يبحث عن مقالات صادرة في شهر مارس، أجابَت بنبرة حذرة.

- أيّ نوع من المقالات كان يبحث عنها؟

- لا علم لي بأكثر ممّا قلتُ لك. ثمّ فكّرت قليلاً وقالت: كان يهتمّ بالأحداث العامّة.

- الأحداث العامّة؟ أين هي الجرائد؟

أرته صفّاً من الرّفوف الدّانية عليها رزم من الجرائد اليومية وهي تُفسّر له أنّ كلّ رزمة تحوي الجرائد التي صدرت في عشرة أيام.

- نحن لا نُمكّن الزّوار إلّا من الجرائد الصّادرة في الشّهر السّابق. كنّا من قبل نحتفظ بها زمناً أطول، لكن مع الإنترنت أصبح ذلك بلا أهمية ما دامت الجرائد اليومية تضع ملك يمين القراء أرشيفها مُباشرة على النت.

- يوكاوا... الأستاذ يوكاوا كان قد قالَ لكِ إنّ هذا يكفيه؟

- أجل، فاهتمامه كان مُنصبّاً على الجرائد الصّادرة بعد 10 مارس.

- بعد 10 مارس؟

- نعم، أنا أكاد أكون متأكّدة من ذلك.

- أبإمكاني مراجعتها؟

- تفضّل، ثمّ عُدْ إليّ بعد فراغك من هذا.

انصرفت فذهب كوساناغي وحمل رزمة الجرائد اليومية ووضعها على الطّاولة. كان قد قرّر قراءة صفحات «الأحداث العامّة» من كلّ جريدة انطلاقاً من تاريخ 10 مارس.

في هذا اليوم كان شينجي توغاشي قد قُتل، فمسعاه إذاً له ما يُبرّره، لأنّ يوكاوا كان قد أتى هنا بحثاً عن معلومات لها علاقة بجريمة القتل، لكن ما الذي كان يُريد التأكّد منه بعودته إلى هذه الجرائد؟

بحث كوساناغي عن المقالات التي تتحدّث عن الجريمة، فوجد أقدَمَها في الطّبعة المسائية ليوم 11 مارس، ثمّ عثر على مقالات أخرى في الطّبعة الصّباحية ليوم 13 مارس، بعد التّعرّف

على هوية الجثّة، فكفّت الجرائد عن الحديث عن الجريمة إلى أن سلّم إشيغامي نفسه للشّرطة.

في أيّ شيء قد تكون أفادت هذه الجرائد رجل الفيزياء؟

قرأ كوساناغي المقالات بانتباه مرّات متعدّدة. لا واحدة تقول عن الجريمة شيئاً ذا أهمية، لا بل كان هو قد قدّم لصديقه معلومات أكثر تفصيلاً، لذلك فيوكاوا لم يكُن قد أفاد شيئاً على الأرجح من قراءتها.

شبّك المفتّش ذراعيه على صدره.

لم يُصدّق، بدءاً، أن يكون شخص مثل يوكاوا قد التجأ إلى الجرائد ليعلَم شيئاً عن هذه القضية. هناك جرائم كثيرة تُرتكبُ هذه الأيام ولم تعتَد الجرائد على الحديث عنها مدّة طويلة، إذ لا تنشر عنها مقالات جديدة إلّا إن ظَهَرَ عنصر مهمّ جديد. لقد كان قَتْلُ توغاشي في نظر الجمهور حدثاً عادياً لا يُثير أيّ استغراب، ويوكاوا كان على علم بذلك.

لكنّ يوكاوا أيضاً ليس من النّوع الذي يتصرّف من دون تفكير.

وكما كان كوساناغي قد أخبَرَ رجل الفيزياء بذلك، فإنّ أمراً ما يَحُوْل بينه وبين تصديق أن يكون إشيغامي هو القاتل، لذلك لم يستطِعْ التّخلّص من خشيته أن يكونوا هو وزملاؤه يسلكون طريقاً خاطئاً. أضِفْ إلى ذلك أنّه لم يكن قادراً على التّخلّص من الإحساس بأنّ يوكاوا قد فهم مَكمَنَ خطئهم. سبقَ لرجل الفيزياء أن مدّ لهم يد العون في مناسبات شتّى، ألا يجدر به هذه المرّة أيضاً أن يُقدّم لهم نصائحه النفيسة؟ إن كان ذلك ممكناً فلِمَ لا يُقدم عليه؟

أعاد المفتّش الجرائد إلى مكانها وقصد المكتبية.

- هل أفادتكَ في شيء؟ سألته بنبرة تحملُ قلقاً خفيفاً.

- نعم، أجاب من دون حماس.

- وكان السّيد يوكاوا قد أولى اهتمامه أيضاً بجرائد الجهة، قالت وهو يستعدّ للانصراف.

- معذرة؟ قال كوساناغي وهو يعود نحوها. الجرائد الجهوية؟

- أجل، كان قد سألنا إن كانت بحوزتنا جرائد شيبا وسايتاما، وكنت أجبته بالنّفي.

- ولم يسأل عن شيء آخر؟

- لا، لا أعتقد.

- قلتِ جرائد شيبا وسايتاما...

غادر المكتبة من دون أن يُفيد منها شيئاً، ومن دون أن يعي شيئاً عن طريقة تفكير يوكاوا. لماذا كان بحاجة إلى جرائد الجهة؟ اختلطت الأمور في ذهن كوساناغي وهو يتساءل مع نفسه ما إن كان سبب اهتمام صديقه بالجرائد منبتّ الصّلة بقضية القتل.

كان قد أتى بسيارته فولّى وجهه شطر موقف السّيارات مُفكّراً..

لحظة استعداده لتشغيل المحرّك لمح مانابو يوكاوا وهو يخرج من بناية الفيزياء. كان من دون وزرته البيضاء وقد وضع على كتفيه سترته الزّرقاء الدّاكنة، غارقاً على ما يبدو في تفكيره حتّى أنّه توجّه نحو مخرج الحرم الجامعي من دون أن يُلقي بالتفاتة على ما يُحيط به.

أقلع كوساناغي بعد أن رأى صديقه ينعطف يساراً بعد البوابة الكبرى للجامعة. غادر الحرم الجامعي ورأى يوكاوا يُلوح لتاكسي. دخلَت سيارة كوساناغي الشّارع لحظة انطلاق التّاكسي.

كان يوكاوا، العازب، يقضي بياض يومه في الجامعة، وكان قد

اعتاد أن يقول لصديقه إنّه لا شيء له يقوم به في بيته وأنّه يُفضّل القراءة أو القيام بتمارين رياضية في مقرّ عمله على مغادرة الجامعة، مُضيفاً أنّه يجد من المناسب تناول وجباته هنا أيضاً.

لم يكن الوقت قد أدرك الخامسة مساء بعد، لذلك رأى كوساناغي أنّ من غير الممكن أن يعود صديقه إلى بيته في هذه السّاعة.

خزّن في ذاكرته كلّ شيء وهو يتعقّبه، رقمَ التّاكسي واسم الشّركة التي ينتمي إليها حتّى يكون بإمكانه التّأكّد من المكان الذي نزل فيه يوكاوا إنْ فَقَدَه ببصره.

انعطف التّاكسي شرقاً وسط حركة سير كثيفة للغاية فترك كوساناغي بضع سيارات تندسّ بينه وبين التّاكسي، لكنّه استطاع لحسن حظّه أن يُقلع معها كلّها بعد كلّ ضوء أخضر.

وصل التّاكسي إلى نيهونباشي ووقف مُباشرة قبل السّوميدا على قدم جسر شين-أوهاشي. لم تكن شقّة إشيغامي بعيدة عن هذا المكان.

وقف كوساناغي على حافة الرّصيف وتابع صديقه ببصره. نزل الأدراج المؤدّية إلى ضفّة النّهر، فاتّضح أنّه لم يكن ينوي الذّهاب إلى عمارة أستاذ الرّياضيات.

نظر المفتّش حوله باحثاً عن مكان مناسب يركن فيه سيارته، وقد حالفه الحظّ لأنّه رأى مكاناً قريباً يشمله عدّاد الأداء فركن سيارته فيه وركض في اتّجاه الأدراج.

كان يوكاوا يمشي مُطمئنّاً على الضّفة مع اتّجاه مجرى مياه النّهر. بدا أنّه يتجوّل من دون هدف محدّد وكان يُلقي من حين إلى آخر نظرات على المتشرّدين لكنّه كان يُواصل سيره.

لم يتوقّف إلّا عندما أدركَ نهاية مُخيّمهم فوضع مرفقيه على حاجز النّهر، وبغتة حوّل بصره في اتّجاه كوساناغي.

بدا المفتّش مُتردّداً لحظة، بينما بدا يوكاوا غير مفاجأ البتّة، وأصدر بسمة. اتّضح أنّه كان قد لاحظ تعقّب صديقه له منذ وقت.

اقترب منه كوساناغي بخطواتٍ واسعة.

- كنتَ على علم أنّني هنا؟

- سيارتك السكايلاين القديمة لا تُساعد على التّخفي لأنّنا لم نعد نرى من صنفها الكثير في أيامنا.

- وقد أتيت هنا لأنّك كنت تعرف أنّني أتعقّبك أم لأنّ هذا المكان كان غايتَك منذ البداية؟

- الأمران معاً أيها القبطان، أو لا هذا ولا ذاك. كنت أنوي الذّهاب أبعد قليلاً وعندما رأيت سيارتك قرّرت الوقوف بالأحرى في مكان أقرب ممّا كان مُنتظراً، وأردت الإتيان بك إلى هنا.

- ماذا تُريدني أن أفعل في هذا المكان؟ سأل كوساناغي وهو يتفحّص المحيط ببصره.

- هنا كنت قد حادثتُ إشيغامي آخر مرة، وهذا ما كنت قلت له: «في عالمنا هذا ليس هناك ترس غير مُفيد، والتّرس نفسه هو الذي يُقرّر لأيّ شيء سيصلح».

- ترس؟

- ثمّ كنت شاطرته بعض الشّكوك التي تُساورني حول هذه القضية، فرفض أن يُعلّق، لكنّه أجاب عن ذلك بعد أن افترقنا بتسليمه نفسه للشّرطة.

- تُريد أن تقول بأنّه قد تخلّى عن كلّ شيء بعد أن استمَعَ إليك؟

- تخلّى عن كلّ شيء... ربّما، بشكلٍ من الأشكال، لكّنني أعتقد بالخصوص أنّه كان يُحسّ بأنّه قد لعب ورقته الأخيرة، وقد أعدّ تسليمه نفسه بطريقة مُتقَنَة.

- عمّاذا كنت حدّثته؟

- قلتُ لك ذلك قبيل قليل، التّروس.

- لكن ألم تكن قد قاسمته بعض شكوكك؟ هذا ما أُريد معرفته.

طفَت بسمة حزينة على محيا يوكاوا ثمّ حرّك رأسه.

- ليس لتلك الشّكوك أهمّية.

- ليس لها أهمية؟

- أهمّ شيء هو حكاية التّرس، ما دامت هي التي قادته إلى تسليم نفسه.

تنهّد كوساناغي بصوتٍ مسموع.

- ألم تذهب إلى المكتبة لقراءة جرائد قديمة؟ ما كان غرضُكَ؟

- هل حدّثك توكيوا عن ذلك؟ أرى أنّك تهتم عن قرب بكلّ ما أقوم به.

- لا تعتقد أنّني أقوم بذلك رغبة منّي، وإنّما لرفضكَ أن تُحدّثني عن أيّ شيء ممّا تقوم به.

- ذلك لا يُغضبني. فما دمتَ تقوم بعملك فأنت حرّ في أن تُحقّق كيفما تشاء حتّى ولو في شأني أنا.

تفرّس كوساناغي ملامح صديقه ثمّ أطرق برأسه.

- كفّ من فضلك يا يوكاوا عن الحديث بالتّلميح. إن كنتَ على علمٍ بشيء حدّثني عنه. ألا ترى أنّ إشيغامي ليس هو القاتل؟ إن كان ذلك كذلك، فإنّه لأمر غير عاديّ أن نتركه يُؤدّي ثمناً من

حرّيته بدل شخص آخر. أنا لا أُصدّق أنّ بإمكانك أن تترك صديقاً قديماً لك في وضعية مثل هذه.

- ارفَع رأسك!

استجاب كوساناغي ونظَرَ إليه. ارتعش. كان رجل الفيزياء قد آتى تكشيرة دميمة وأغمض عينيه واضعاً كفّاً على جبهته.

- أنا طبعاً لا أُريد أن أتركه يُؤدّي ثمناً من أجل شخص آخر، لكن الأوان فات. أنا لا أعرف لمَ وصل الأمر به إلى هذا...

- ما الذي يجعلك تُعاني إلى هذه الدّرجة؟ لماذا لا تُسرّ لي بما لديك؟ ألسنا صديقين؟

عندما سمعه يوكاوا يتلفّظ بذلك فتح عينيه ونظر إليه، بملامح وجهٍ صارمة.

- أنت صديقي لكنّك شرطيّ أيضاً.

فوجئ كوساناغي بما سمع، ولأوّل مرّة منذ تعارفهما حصل لديه الانطباع أنّ جداراً يفصل بينهما. فبما أنّه رجل شرطة، يرفض صديقه أن يُخبره بسبب معاناته.

- سأذهب للقاء ياسوكو هناووكا، قال يوكاوا، أتصحبني؟

- يُمكنني مُصاحبتك.

- إن شئت، لكن شريطة أن تلتزم الصّمت.

قَبِلَ كوساناغي بعد لحظة تفكير.

عاد يوكاوا على عقبيه وراح يمشي متبوعاً بصديقه الذي فهم أنّه يتّجه إلى محلّ الوجبات الجاهزة. حَدَتْه رغبة قوية في سؤاله عن سبب رغبته في رؤيتها، لكنّه لم يسأله عن شيء.

صعد رجل الفيزياء إلى الشّارع عبر الأدراج الواقعة قبل جسر كيوسو. تبعه كوساناغي فوجده ينتظره في الأعلى.

- أترى عمارة المكاتب هذه؟ سأل وهو يُشير بإصبعه، أليس لها باب من زجاج؟

تابع كوساناغي نظرته فلمح شكليهما مُنعكسين على الباب الزّجاجي.

- بلى، وبعد؟

- لمّا قابلت إشيغامي بعد وقوع الجريمة كنت قد رأيت فيها هيئتينا، أو بالأحرى لم أكن قد رأيتهما وإنّما إشيغامي هو مَن كان أرانيهما. حتّى تلك اللّحظة لم أكُن قد فكّرت ثانية واحدة أنّ له دخلاً في قضية القتل هذه، وكنت سعيداً فقط بعثوري على غريم قديم.

- تريد أن تقول إنّك عندما رأيت انعكاس هيئتيكما على الباب الزّجاجي جعلتَ تشكّ فيه؟

- كان إشيغامي قد أبدى هذا التّعليق: «أنت بقيت شاباً، ليس كمثلي أنا، وقد احتفظتَ بشعرك كلّه»، ففهمت أنّه كان مُنزعجاً من فَقْدِه شعره، وبلبلني قوله لأنّني كنت أعتقد أنّه لا انشغال له البتّة بمظهره. هو كان يرفض مبدئياً الحكم على النّاس من مظهرهم، إذ لم يكن يولي حياة المظاهر أيّ قيمة. لكنّه كان في تلك اللّحظة مُهتمّاً بمظهره وكان يشكو صلعه، وبتلك الطّريقة فهمت أنّه يعيش حالة لا يستطيع فيها منع نفسه من التّفكير في مظهره، بمعنى آخر فهمت أنّه عاشق. لذلك كنت تساءلت عن سرّ قوله ذاك، وعن سبب انشغاله المفاجئ بمظهره.

خمّن كوساناغي ما يُريد صديقه قوله.

- ففكّرتَ أنّه مُقبل على رؤية المرأة التي يعشقها.

حرّك يوكاوا رأسه.

- تماماً. وقد خمّنتُ أنّها المرأة التي تشتغل في محلّ الوجبات الجاهزة، جارتُه، التي كان زوجها قد قُتل لتوّه، فأيقظ فيّ ذلك شكّاً حول موقفه من هذه الجريمة التي كان من المفروض أن تُقلقه للغاية لكنّه كان يبدو غير مهتمّ. فهل أكون قد أخطأت إذ عَدَدته عاشقاً؟ وكي أتأكّد كنت قرّرت أن أراه من جديد وأن أُرافقه إلى المطعم مُعتقداً أنّ بإمكاني أن أعرف شيئاً، فحصل أنّنا إذ نحن فيه أقبل شخص لم يكن ينتظر أن يراه، وهو رجل تعرفه ياسوكو هناووكا.

- كودو، قال كوساناغي، صديقُها.

- هذا ما علمته بعد ذلك. كان وجه إشيغامي وهي تُحدّثه... عقد يوكاوا حاجبيه وحرّك رأسه. حصل لدي اليقين وأنا أراه أنّني لم أكن مُخطئاً إذ حسِبته عشيقها، لأنّ غيرته كان مفروغاً منها.

- فأجّج ذلك شكوكك.

- نعم، ولم تكن هناك سوى طريقةٍ واحدة لإنارة هذا التّناقض الظّاهر.

- من المفروض أن يكون إشيغامي متورّطاً في هذه القضية؛ ألم تكن قد فكّرتَ هكذا، ألم يكن هذا هو ما جعلك تشرَع في أبحاثك؟ سأل كوساناغي وهو ينظر إلى هيئته في الباب الزّجاجيّ. أنت خطير. غيرة إشيغامي سبّبت في ضياعه.

- إنّني ما تذكّرته عندما كنتَ أنت ذكرتَه لي إلّا لأنّه أصيل حقيقي، وإلّا لما كنت قد انتبهتُ لشيء.

- المؤكّد أنّه لم يكن محظوظاً بتذكّركَ له، قال كوساناغي وهو يشرَع في المشي من جديد.

وبعد قطعه بضعة أمتار توقّف لأنّه لاحظَ أنّ صديقه لم يتحرّك من مكانه.

- أعتقد أنّ علينا أن نذهب إلى محلّ بنتنتيه.

اقتربَ يوكاوا منه مُقوّساً ظهره.

- هل يُمكنني أن أسألك عن أمر هو غايةٌ في الصّعوبة؟

تظاهر كوساناغي بالابتسام.

- هذا مُرتبط بطبيعة ما ستسأل عنه.

- هل لكَ الاستعداد للاستماع إليّ بوصفك صديقي، ناسياً أنّك شرطيّ؟

- كيف؟

- لدي أمر أُريد إخبارك به، لكن أن أخبرك بوصفكَ صديقاً وليس شرطياً. لذلك سيكون عليك الاحتفاظ به لنفسك فلا تُحدّث به رؤساءك ولا أيّاً كان، فهل أنت مُستعدّ لتقديم الوعد بذلك؟

كانت عينا يوكاوا خلف النّظارتَين تبدوان يائستين، وقد اتّضح له أنّ صديقه يوجد في وضعية تُجبره على الاختيار.

كان بودّ كوساناغي إجابتُه أنّ لذلك علاقة بطبيعة ما سيقوله، لكنّه التزم الصّمت لأنّه فهم أنّ جوابه ذاك سيَعني نهاية صداقتهما.

- حسن، أعِدُكَ بذلك.

18

ودّعت ياسوكو الزّبون الذي أخذ وَجبته الجاهزة، دجاجةً مقلية، ونظرت في ساعتها. السّادسة على وشك، فأطلقت تنهيدة وخلعت قبّعتها البيضاء الخفيفة.

كان كودو يُريد لقاءها بعد إنهائها عملها فكالَمها نهاراً ليُخبرها بذلك.

- لنحتفل بهذا، كان قد قال مُفسّراً بنبرة مُنشرحة.

- نحتفل بماذا؟

- وهل هناك شيء آخر غير إلقاء القبض على الجاني؟ ليس عليكِ من الآن فصاعداً أن تشغَلي بالك بهذه القضية، ولا أنا أيضاً على أيّ حال، إذ ما عدتِ عُرضة لزيارات رجال الشّرطة، أليس هذا جديراً حقّاً بالاحتفال؟

بدا لها الصوت المبتهج لكودو لامُبالياً بطريقة غبية، غير أنّ لا شيء في ذلك مُستغربٌ ما دام جاهلاً بالتّفاصيل، بيد أنّ طريقته في الحديث أذهبَت عن ياسوكو، مع ذاك، الرّغبة في لقائه.

- لا رغبة لي في الاحتفال بذلك.

- لماذا؟

لم تُجِب ياسوكو بشيء، وبعد ثوانٍ من الصّمت واصل كودو قائلاً، مُفسّراً سبب صمتها:

- آه... كنتما مطلّقين، لكنّه كان زوجكِ مع ذلك. لقد أخطأت إذ اقترحتُ عليك الاحتفال بإلقاء القبض عليه، فمعذرة.

لم يكُن ذلك هو السّبب أبداً، لكنّ ياسوكو لم تكذّبه، فأضاف:

- لدي أيضاً أمر مهمّ أُريد إخبارك به، ما يجعل رغبتي شديدة في لقائك هذا المساء، فهل ترين الأمر ممكناً؟

ودّت لو رفضَت لأنّه لا رغبة لها في لقائه، كما أنّها تشعر بالذّنب تُجاه إشيغامي الذي سلّم نفسه بدلاً منها، لكنّها لم تعثر على الكلمات التي تُعرب بها عن رفضها. ثمّ ما هذا الذي يُريد كودو إخبارها به؟

اتّفقا أن يلتقيا في السّادسة والنّصف. أراد كودو دعوة ميساتو أيضاً لكنّ ياسوكو رفضت لأنّها لا تُريد جعل ابنتها تلتقي به في هذه الأثناء.

تركت ياسوكو رسالة صوتية لابنتها تُخبرها أنّها ستعود متأخّرة، وشعرت بنفسها معتكرة المزاج وهي تُفكّر فيما ستُبديه ابنتُها من ردّ فعل عندما ستنصت للرّسالة.

في السّادسة خلعت وزرتها وقالت لسايوكو وزوجها إنّها منصرفة.

- لم أكن أعلم أنّ الوقت قد تأخّر إلى هذه الدّرجة، قالت سايوكو وهي تتناول عشاءها في خلفية المحلّ. شكراً على ما قمت به اليوم، بإمكانكِ الانصراف وسأقوم أنا بالباقي.

- إلى الغد، قالت ياسوكو وهي تطوي وزرتها.

- ألستِ على موعد مع كودو؟ وشوَشَت لها.

- أوه!

- لقد كالمكِ بعد الظّهر. هل تواعدتما على اللّقاء؟

صمتت ياسوكو مُتضايقة.

- أنا سعيدة من أجلكِ، واصَلَت سايوكو قولها مُخطئة في تأويل صمت ياسوكو. سُوِّيت تلك القضية وصرتِ تلتقين بكودو. لديّ الانطباع أنّ الحظّ بدأ يُحالفكِ أخيراً.

- أتعتقدين...

- بالطّبع! كانت حياتك صعبة حتّى هذه اللّحظة، لكن من الآن فصاعداً عليك أن تكوني سعيدة، من أجلك ومن أجل ميساتو.

أثقلَت عليها كلمات سايوكو. هي تتمنّى لها صادقة أن تكون سعيدة ولا يُساورها شكّ أبداً في أنّها قد تكون القاتلة.

غادرت بنتنتيه وانتهَجَت الاتّجاه المعاكس للذي تمشي فيه في العادة للعودة إلى بيتها. كان لها موعد مع كودو في المطعم العائلي الذي يقع في زاوية الشّارع، وهو المكان نفسه الذي كانت قد التقت فيه بتوغاشي. كودو هو مَن اختاره لأنّه يسهل عليه الوصول إليه فلم تدرِ كيف ترفض.

عبَرَت الممرّ الواقع تحت الطّريق السّيار، ولمّا كانت على وشك الخروج منه سمعت خلفها صوتاً ذكورياً يُناديها.

توقّفت عن المشي واستدارت فرأت رجلين تعرفهما. اقتربا منها. كان الأول هو يوكايا الصّديق القديم لإشيغامي بينما الثّاني هو كوساناغي الشّرطيّ. تساءلت ياسوكو في سرّها عن سبب وجودهما معاً.

- أتتذكّرينني؟ سألها يوكاوا.

أجابت بإيماءة من رأسها وهي تتفرّس فيهما الواحد بعد الآخر.

- أأجدُ لديكِ قليلاً من الوقت؟

- أوه... ذلك أنّ... أجابت وهي تتظاهر بالنّظر في ساعتها من دون أن تقدر على قراءة ما تراه لفرط ما كانت مُبلبلة... ذلك أنّ لي موعداً.

- هكذا! ألا تهبينني من وقتك حتّى ولو ثلاثين دقيقة لا غير؟ لدي أمر مهمّ أُريد إخبارك به.

- أنا آسفة، لكن... قالت وهي تُحرّك رأسها.

- ربع ساعة، أيُناسبكِ؟ وعلى أيّ حال فعشر دقائق تكفي. لنجلس على هذا المقعد، اقترح يوكاوا وهو يُشير بإصبعه إلى فسحة تحت الطّريق السّيار.

كانت نبرة صوته ودّية، لكنّ موقفه لم يترك لها الخيار فحدَسَت ياسوكو أنّه أتى ليُحدّثها في أمر مهمّ. كان هذا الأستاذ الجامعيّ ودوداً في كلّ اللّقاءات السّابقة، لكنّها كانت مع ذلك تشعر بالضّغط في وجوده معها.

ودّت لو فرّت، لكنّها كانت حريصة أيضاً على معرفة ما يُريد إخبارَها به، وكانت متأكّدة أنّ للأمر علاقة بإشيغامي.

- عشر دقائق، لا مانع.

- شكراً لكِ، أجاب يوكاوا الذي تبسّم وهو يتّجه إلى الفسحة.

وبما أنّها تردّدت دعاها كوساناغي بإشارة من كفّه فهزّت رأسها ومَشَت في أثر يوكاوا. كان الحضور الصّامت للشّرطي يُشعرها بالرّهبة.

جلسَ رجل الفيزياء على مقعدٍ يكفي لجلوس شخصين.

- اذهَبْ هناك، قال لكوساناغي، فأنا أُريد مُحادثتها بمفردي.

بدا الانزعاج على محيا كوساناغي لكنّه أصدر إشارةَ مُوافَقَةٍ من رأسه وعادَ إلى مدخل الفسحة وأشعل سيجارة.

جلست ياسوكو إلى جانب رجل الفيزياء واعية بوجود الشّرطي على بعد خطوات منها.

- أليس كوساناغي رجلَ شرطة؟ فكيف تُعامله بهذه الطّريقة؟

- لا تحملي همّه. لدي الرّغبة في لقائك وحدي. ثمّ هو قبل أن يكون شرطياً، فهو صديقي.

- أنتما صديقان؟

- درسنا معاً، فسّر يوكاوا وهو يتبسّم. كما أنّ إشيغامي من جيلنا نفسه، لكنّهما هو وكوساناغي لم يكونا يعرفان بعضهما بعضاً قبل هذه القضية.

هزّت ياسوكو رأسها، إذ لم تكُن قد عرفت بعدُ السّبب الذي كان دعا يوكاوا لزيارة إشيغامي في شقّته.

ولم يكن جارُها قد أخبَرَها بشيء، بَيْدَ أنّها كانت ترى أنّه قد يكون لهذا اليوكاوا على الأرجح دخلٌ في فشل خطّة إشيغامي، إذ لم يكُن بإمكانه توقّعُ أن يكون رجل الفيزياء صديقاً مُشتركاً له ولكوساناغي.

ما الذي يُريد هذا الرّجل أن يُحادِثها فيه؟

- أنا آسف حقّاً على تسليم إشيغامي نفسه للشّرطة، بدأ يوكاوا كلامه دونما احتياج لمُقدّمات. فأنا كرجلٍ علميّ المَنْزَع لا أستحمل فكرة قضاء رجل بمثل تألّقه ما تبقّى من حياته في السّجن من دون أن تكون له فرصة لإبراز إمكاناته الذّهنية.

ضغَطَت ياسوكو كفّيها الموضوعتين على ركبتيها، عاجزة عن إجابته.

- إنّه لأمر لا يُصدّق أن يكون قد فَعَلَ هذا في حقّك.

أحسّت ياسوكو أنّه يتفرّس فيها فتضرّجت.

- أنا لا أُصدّق أن يكون قد تصرّف بهذه الطّريقة المخجِلَة في حقّك. لا، غير صحيح أنّني أعتبر هذا أمراً لا يُصدّق، بل إنّني مقتنع بذلك بقوة. ما أُريد قوله هو أنّني لا أُصدّق. إنّه... إنّ إشيغامي يكذب. لأيّ سبب يفعل ذلك؟ فهو لو كان قد خسّ وارتكب الجريمة لما كان لكذبه معنىً، بَيْدَ أنّه يكذب مع ذلك، ولا أرى لهذا إلّا تفسيراً واحداً هو أنّه لا يكذب لصالحه هو وإنّما لإخفاء الحقيقة لصالح شخصٍ آخر.

ابتلعت ياسوكو ريقها وهي تجد صعوبة في التّنفّس.

هذا الرّجل قريب جدّاً من الحقيقة، فكّرت. هو على بيِّنة من أنّ إشيغامي يحمي شخصاً ما وأنّه ليس المجرم الحقيقيّ. يوكاوا يُريد حماية إشيغامي، وخير وسيلة لفعل ذلك هي أن يعترف المجرم الحقيقي. هو يُريد أن يُظهر الحقيقة، كلّ الحقيقة.

ألقت نظرة مرهوبة على يوكاوا ففوجئت من تبسّمه.

- أنتِ ربّما تُفكّرين في أنّني قد أتيت هنا لأقدّم لكِ دروساً.

- لا، أبداً... أجابت وهي تُحرّك رأسها جانباً. ثمّ حول ماذا ستقدّم لي هذه الدّروس؟

- أنتِ على حقّ. معذرة على ما تلفّظت به من كلام غريب، قال وهو يُطرق برأسه. لا، إنّما كنت أُريد أن أُطلعكِ على شيء، هذا هو سبب وجودي ها هنا.

- وما هو؟

- حسن... قال مُبتدئاً جملته قبل أن يتوقّف على الفور. أنتِ تجهلين الحقيقة في كلّيتها.

نظرت في وجهه جاحظة العينين، وقد توقّف عن التبسّم.

- حجّتكِ صحيحة على الأرجح، قال مواصلاً كلامه. فأنتِ ذهبتِ حقّاً إلى السينما برفقة ابنتكِ، ولو لم يكُن الأمر كذلك لكانت الشّرطة بما بذلته من جهود قد اكتشَفَت الحقيقة، كما أنّ ابنتكِ التي لا تزال تدرس في الإعدادية ما كانت لتقاوم الضّغط. أنتِ لا تكذبين.

- صحيح ما تقوله، فلا أنا ولا هي نكذب، لكن ماذا بعد؟

- قد يبدو لكِ الأمر غريباً ألّا يكونَ لكِ من داع للكذب، أريد أن أقول، وأن تري الشّرطة غير قادرة على فعل أكثر ممّا فعلت. هو... إشيغامي كان قد تصرّف بطريقة تجعلكما لا تقولان إلّا الحقيقة لرجال الشّرطة. كان قد رتّب كلّ شيء حتّى لا تستطيع الشّرطة، بغضّ النّظر عن الجهود التي تبذلها، أن تعثُر على شيء يُدينكما. أنتما تجهلان على الأرجح التّركيبة التي اخترعها. قد تكونان تريان أنّه قد استعمل حيلة حاذقة، لكنّكما لا تعرفان ما هي، فهل أنا مُخطئ؟

- اسمَعْ، أنا لا أفهم شيئاً ممّا تقول، أجابت ياسوكو متبسّمة.

لكنّ بسمتها كانت مُتكلّفة، وهي على بيّنة من تصلّب شفتها السّفلى.

- لقد بذل تضحية كبرى ليحميكما أنت وابنتكِ. تضحية لا يُمكن أن يتصوّرها إنسانٌ عاديّ مثلي ومثلك. وأنا أعتقد أنّه كان منذ البدء، أي منذ وقوع المحظور، مُستعدّاً ليحلّ محلّك إن ساءَت الأمور. كانت خطّته كلّها متكئة على هذا الافتراض، الذي كان على العكس من ذلك غير قابل للخور. لكنّه افتراض قاس أن تسوء الأمور ويحلّ محلّك. كان بإمكان أيّ شخص آخر أن يتردّد،

وإشيغامي كان على وعي بذلك. هذا هو السّبب الذي لم يجعَله يتصوَّر مخرجَ إغاثة إن ساءَت الأمور، وكانت الخدعة التي استعمَلَها مُدهِشَة مع ذلك.

أنصتَت ياسوكو ليوكاوا بينما جعل الالتباس يتعلق في داخلها. لم تكُن تفهم شيئاً ممّا يقوله، لكنّها كانت تُخمّن مع ذلك أنّ الأسوأ قادم لا محالة.

لم يكن يوكاوا مُخطئاً، لأنّ ياسوكو تجهل كلّ شيء عن الخطّة التي كان إشيغامي قد وضعها، وكانت ترى أنّ من الغريب أيضاً عدمُ غضب الشّرطة منها، بل الحقّ أنّه كان يبلغ بها الأمر أن يحصل لها الانطباع، عندما تسألها الشّرطة، أنّ المفتّشين يُخطئون هدفهم إذ يتوجّهون إليها.

أمّا يوكاوا من جانبه فكان يعرف السّر.

نظر في ساعته، ربّما لانشغاله بما تبقّى له من الوقت.

- يُحزِنُني أن أُخبركِ بالحقيقة، قال بحزنٍ جدّي. ذلك أنّ إشيغامي كان يحرص أشدّ الحرص على عدم معرفتكما بالحقيقة، وأعتقد أنّه كان يُريد تفادي ذلك بأيّ ثمن، ليس ليُحقّق منفعةً لنفسه وإنّما من أجلكما. فلو كنتما عَلمتما بذلك لكانت حياتكما أصبحت أصعب ممّا هي عليه اليوم. بَيْدَ أنّني عاجز عن تفادي قول ذلك لكِ، لأنّني أعتقد أنّه لن يُجازى أبداً على الحبّ الخارق للعادة الذي يُكنّه لكِ والذي دفعه إلى المجازفة بفقدان كلّ شيء. أنا أُخمّن أنّ ما أقوم به الآن ليس هو ما كان يُريده، لكنّني لا أستحملُ تركَكما في جهلكما.

راحَ قلب ياسوكو يخفق بعنفٍ ولاقت صعوبة في التّنفّس حتّى

أضحَت على حافة فَقْد الوعي. لم تكُن لها أدنى فكرة عمّا سيقوله لكنّها خمّنت أنّ ذلك سيفوق ما بإمكان خيالها أن يُسعفها به.

- عمّاذا تتحدّث؟ إن كنت مستعدّاً لإخباري بشيء، حاول التّعجيل به!

كانت كلماتها قوية لكنّها تلفّظتها بصوتٍ مُرتعش لا ثَبات فيه.

- في هذه القضية... الجاني الحقيقي في جريمة القتل التي ارتكبت على ضفّة الكيو-إدوغاوا...، بدأ يوكاوا حديثه قبل أن يقطعه ليأخذ نفساً عميقاً، هو... هو، إشيغامي. ليس أنتِ ولا ابنتكِ، وإنّما إشيغامي هو مَن قتل، ولم يُسلّم نفسه من أجل جريمة لم يرتكبها. إنّه هو الجاني الحقيقيّ.

نظرت إليه ياسوكو مُندهشة، غير فاهمة.

- لكن... واصل رجل الفيزياء كلامه، الجثّة التي عُثر عليها لم تكن جثّة شينجي توغاشي. ليست جثّة زوجك السّابق، وإنّما جثة شخص آخر، أُضفِيَت عليها مظاهر توغاشي.

عقدت ياسوكو حاجبيها، وتواصل التباسها. لكنّها عندما لاحظت حزن عينَي رجل الفيزياء خلف نظّارتيه المعدنيتين، أضحى كلّ شيء واضحاً عندها. أطلقت تنهيدة حارة ورفعت يدها إلى فمها. كادت من مُفاجأتها تُطلق صرخة. تسرّعت دورتها الدّموية حتّى بدا لها بعد بُرهة أنّها قد فرغت من دمها.

- أنتِ تفهمين الآن دلالة ما قلته لك، أليس الأمر كذلك؟ هذا هو ما حصل في الواقع. لقد ارتكب إشيغامي كي يحميكما جريمة في اليوم الموالي للذي قُتل فيه شينجي توغاشي الحقيقي.

أحسّت ياسوكو بالدّوار فوجدت صعوبة في البقاء جالسة وغَدَت أطرافها مُثلّجة وسرت قشعريرة في جسدها.

عندما رأى كوساناغي تغيُّر حال ياسوكو هناووكا خمّن أنّ صديقه قد كشف لها الحقيقة. لكن حتّى عندما رأى عن بُعد أنّها قد شَحُبت لم يندهش من ذلك، لأنّها، بعد كلّ شيء، هي المعنية بالجريمة قبل أيّ كان.

هو نفسه وجد صعوبة في التّصديق عندما كان يوكاوا قد فسّر له كلّ شيء، وساوره الشّكّ. ورغم أنّه لم يكن ليوكاوا من داعٍ للمزاح، فإنّ ما كان سَرَدَه عليه بدا له غيرَ مُحتمَل الوقوع.

كان كوساناغي قد قال ليوكاوا إنّ أمراً مثل هذا لا يُمكن تصوّره. أيقتُل شخصاً آخر ليطمس آثار جريمة القتل التي ارتكبتها ياسوكو هناووكا؟ لا أحد بإمكانه الإقدامُ على أمر هو بهذا القدر من الغباء! لكن إن كان ما يقوله يوكاوا صحيحاً، فمَن ذا الذي قُتل؟

كان صديقه قد آتى حركة نفي برأسه، محزوناً.

- أجهل اسمه لكنّني أعرف إلى أيّ صنف من النّاس ينتمي.

- ما قصدك؟

- يوجد في عالمنا أشخاص لا ينتبه أحدٌ لغيابهم إن اختفوا، ولا يُوليهم أحد اهتماماً. لذلك لم يُذَع من دون شكّ إعلانٌ بالبحث عن المتغيّب لأنّ الضّحية مُنبتّ الصّلة على الأرجح بعائلته، كان قد قال له مُفسّراً وهو يُشير بإصبعه إلى الطّريق التي عبراها لتوّهما على طول الوادي. ولقد رأيتَ لتوّكَ أشخاصاً هم في هذه الوضعية التي حدّثتك عنها!

لم يفهم كوساناغي على الفور ما يرمي إليه لكنّه نظر في الاتّجاه الذي أشار إليه صديقه فاتّضح له كلّ شيء، وكاد نفَسُه ينقطع من ذلك.

- المتشرّدون الذين يعيشون هنا؟

لم يُؤكّد له يوكاوا ما قاله لكنه كان قد راح يتحدّث من جديد:

- هل أعَرْتَ اهتماماً للرّجل الذي يجمع العبوات الفارغة؟ هو يعرف كلّ شيء عن المتشرّدين المستقرّين ها هنا، وقد حدّثني عن شخص كان قد أقبَلَ منذ شهر تقريباً، فاستقرّ بالقرب منهم من دون أن يسعى إلى إقامة علاقةٍ بأحدٍ من بينهم، ولم يكُن قد شيد له بعد كوخاً، وربّما لم يكن قد أبدى الاستعداد بعد للنّوم على قطع الكارتون. كان الرّجل الذي يجمع العبوات قد فسّر لي أنّ ذاك بعامّة هو ردّ فعل القادمين الجدد. نحن، الكائنات الإنسانية، نجد صعوبة في التّخلّص من كبريائنا، لكنّ ذلك من وجهة نظر مُخاطَبي ليس سوى مسألةِ وقت. وقد حصل أنّ اختفى هذا الرّجل، فلم يتكهّن أحد بما حصل له. كان رجل العبوات قد تساءل عمّا وقَعَ له، لكنّه لم يُبدِ من قلقه أكثر من ذلك، وقد يكون باقي المتشرّدين قد انتبهوا لغيابه أيضاً، لكن لا أحد منهم تحدّث عنه. ففي عالمهم ليس من الغريب في شيء أن يختفي أشخاص بين عشية وضحاها. والحال أنّه قد حصَلَ لهذا الغريب، قال يوكاوا مواصلاً كلامه، أن اختفى حوالي العاشر من مارس. يُقارب عمره الخمسين، على قدرٍ من البدانة كمثل غالبية مَن هُم في عمره.

- ويوم 11 مارس عُثر على جثّة على ضفّة كيو-إدوغاوا.

- أجهل كيف جرت الأمور، لكن إشيغامي كان قد اكتشف جريمة ياسوكو هناووكا فقرّر على الأرجح أن يُساعدها على إخفاء آثارها. فهِم أنّه لا يكفي التّخلّص من الجثة، لأنّ الشّرطة عندما ستعثر عليها ستأتي لزيارة ياسوكو بالضّرورة. كما أنّه لم يكن متأكّداً من أنّها وابنتها ستعرفان كيف تتظاهران بعدم معرفة أي شيء لمدّة طويلة، فوضع خطّة قتل شخص آخر وجعلِ الشّرطة تعتقد أنّ القتيل

هو شينجي توغاشي فتنشغل بتحديد هُوية الجثة وظروف الجريمة. وهكذا كلّما تقدّم التّحقيق أضحى الاشتباه بياسوكو هناووكا أقلّ، وما كان بإمكان الأمر أن يكون إلّا كذلك، لأنّها لا علاقة لها البتة بهذه الجريمة، ما دام القتيل ليس هو شينجي توغاشي. وهكذا كنتَ أنتَ وزملاؤك، بمعنى من المعاني، تُحقّقون في جريمة أخرى.

بدت له هذه الحكاية التي قَصَّها عليه يوكاوا بهدوء غير حقيقية، فلم يكفّ عن نفي ما يسمعه بحركة من رأسه وهو يستمع إليه.

- وربّما تكون حدت إشيغامي فكرةٌ بهذا القدر من الإدهاش لأنّه كان قد اعتادَ المرور من هذا المكان يومياً. أنا أتصوّر أنّه برؤيته كلّ يوم لهؤلاء الأشخاص فكّر في ذلك. وبتساؤله مع نفسه عن المعنى الذي تتّخذه حياتهم حصل له أن فكّر في أنّ لا أحد سيُلاحظ غياب فردٍ من بينهم أو يأسَف على مماته...

- تُريد أن تقول إنّه كان قد خَلُص إلى أنّ بإمكانه قتل أحدهم؟ سأل كوساناغي ليتأكّد.

- لا، لا أظنّ أنّه كان قد قرّر ذلك من قبل، لكنّهم كانوا على ما أعتقد حاضرين في ذهنه عندما وضعَ خطّته. أعتقد أنّه قد سبق لي أن قلتُ لك بأنّه رجل قادر على القيام بأفعال قاسية جدّاً، شريطة أن تكون عقلانية.

- وهل قتلُ شخصٍ هو فعل عقلانيّ؟

- كان بحاجة إلى جثّة أخرى، لأنّها قطعة لا غنى عنها لإتمام ملء تصميم الخطّة.

من الصّعب تصوّر هذه الحكاية، وكان كوساناغي يراها عجائبية، كمثل النّبرة التي يتحدّث بها صديقه، وهي من دون شكّ النّبرة التي يعتمدها في تقديم الدّروس لطلبته.

- كان إشيغامي قد اقترب من أحد المتشّردين في اليوم الموالي لقتل ياسوكو هناووكا لشينجي توغاشي. أنا لا أدري كيف تصرّف لكنّني متأكّد من أنّه قد اقترح عليه عملاً مُؤقّتاً، وطلب منه قبل ذلك أن يتوجّه إلى غرفة الفندق التي كان توغاشي يحجزها وأن يظلّ فيها إلى المساء. كان إشيغامي قد محا كلّ بصمات توغاشي الحقيقي ليلاً حتّى أنّكم لم تعثروا بالغرفة إلّا على بصمات الوافد الجديد وشعيراته. عندما أقبل المساء ارتدى الغريب الملابس التي سلّمها له إشيغامي وتوجّه إلى مكان الموعد الذي ضربه له.

- إلى محطّة شينوزاكي؟

أجاب يوكاوا بالنّفي بحركة من رأسه وهو يسمع سؤال كوساناغي.

- لا. أعتقد أنّه قصد المحطّة التي قبلها مباشرة، أي محطّة ميزوي.

- ميزوي؟

- سرق إشيغامي الدّراجة الهوائية من أمام محطّة شينوزاكي وضرب موعداً للغريب في ميزوي. هذا على الأقلّ ما أعتقده أنا. أتى المحطّة مصحوباً بدرّاجة أخرى وتوجّه الرّجلان معاً إلى ضفّة كيو-إدوغاوا فقتل إشيغامي مُرافقه وشوّه وجهه كي لا تتمّ معرفةُ أنّه رجل آخر غير توغاشي، بالطّبع. لكنه لم يكن في حاجة إلى إحراق أطراف أصابع الجثة، فالرّجل كان قد ترك بصماته في غرفة الفندق التي حجزها توغاشي وكان من شأن الشّرطة العثور عليها في جميع الأحوال. لكنّ الأمر كان سيبدو مع ذلك غريباً ألّا يقوم مُجرم بإخفاء بصمات جثّة شوّهها. هو قام بذلك لأنّه اعتقد أن لا خيار آخر له. وبما أنّه كان من شأن هذا الفعل أن يُؤخّر تحديد هوية الجثة

تُركت البصمات على الدّراجة، وللسّبب نفسه لم يحرِق الملابس إلّا جزئياً.

- لكنّه في هذه الحال، لم يكن بحاجة إلى درّاجة جديدة.

- هو اختارها جديدة لأنّه كان قد فكّر في كلّ شيء.

- فكّر في كلّ شيء؟

- كان تحديد توقيت وقوع الجريمة أمراً مركزياً عنده، وقد حدّده الطّبيب الشّرعيّ في حدود معينة، لكن لو لم تكن الجثة قد اكتشفت بسرعة لكان لذلك أثر كبير على عمل الطّبيب الشّرعيّ، ولربّما كان استخلص أمراً فظيعاً وهو أنّ الجريمة قد وقعت في مرحلة تتضمّن اللّيلة السّابقة، أي أمسية يوم 9 مارس، ولكان ذلك مزعجاً للغاية، لأنّ ياسوكو هناووكا وابنتها اللّتان قتلتا توغاشي الحقيقي لم تكن لهما حجّة خاصّة بيوم 9 مارس تُدافعان بها عن نفسيهما. لذلك، وكي يُزيح هذه المجازفة، أراد إشيغامي أن يكون ثمّة دليل على أنّ السّرقة تمّت يوم 10 مارس، فكان من الضّروريّ اختيار درّاجة جديدة حتّى يكون متأكّداً من أنّ مالكها سينتبه لاختفائها ويبلّغ عن السّرقة.

- وبذلك تكون هذه الدّراجة، بصيغة أخرى، قد أدّت مجموعة من الوظائف! قال كوساناغي مُتعجّباً وهو يضرب جبهته بقبضته.

- ألم تكن عجلتاها مبعوجتين عندما عثرتم عليها؟ إنّه لأمر جدير حقّاً بإشيغامي أن يذهب بتفكيره إلى هذا الحدّ، فمن المفروض أن يكون هدفه من ذلك هو الحيلولة دون أن يستعمل شخص آخر الدّراجة، فتبقى هناك. وبذلك يكون قد كلّف نفسه الكثير لضمان حجّة ياسوكو هناووكا وابنتها.

- ومع ذلك لم تكن حجّتهما بتلك الصّلابة! لأنّنا لم نُفلح في التّأكّد بصفة قطعية من أنّهما قد ذهبتا حقّاً إلى السينما.

- لكنّكم لم تستطيعوا أيضاً إقامة الدّليل على أنّهما لم تذهبا إليها، قال يوكاوا وهو يمدّ إصبعه في اتّجاهه. لا تبدو حجّتهما قوية، لكنّكم لم تستطيعوا تفنيدها لأنّ إشيغامي وضعها لهذه الغاية. فالحجّة الدّامغة كان بإمكانها جعلكم تُفكّرون في أنّ فيها خديعة ما، ولربّما كان ذلك قد قادكم إلى تصوّر إمكانية ألّا تكون الجثة جثة شينجي توغاشي. كان إشيغامي يخشى ذلك فوضع خطّة لا تترك أدنى شكّ حول هوية الضّحية وتجعل ياسوكو هناووكا مشبوهة في ظنّ الشّرطة والحيلولة بتلك الطّريقة دون أن تُغيّر الشّرطة وجهة نظرها هذه.

دمدَم كوساناغي، لأنّ يوكاوا على حقّ. فالشّرطة كانت قد اشتبهت في ياسوكو هناووكا بعد أن اعتبرت أنّ الجثة هي لشينجي توغاشي، وقد اعتبرتها كذلك لأنّ حجّتها لم تكُن مُقنِعَة بشكلٍ كامل، فاستمرّت في اعتبارها المشتبة بها الأساس. وبدأبه وزملاءَه على ذلك لم يتصوروا إمكانية ألّا تكون الجثة جثّة شينجي توغاشي.

- يا له من رجل مُرعب! قال كوساناغي مُتمتماً.

- بالفعل، قال رجل الفيزياء، وبفضل أمر كنتَ قلتَه لي استطعتُ تبيّن هذه الخديعة الرّهيبة.

- أنا؟

- كنتَ قد أخبرتني بالتّفسيرات التي أعطاها لكَ عن منهجيته في إعداد المسائل الرياضية التي يختبر بها تلامذته في الفروض. تلك الطّريقة التي يوهم بها أنّ المشكلة تنصبّ على الهندسة في حين أنّها في الحقيقة تهمّ الدّوال.

- وبعد؟

- التّقنية المستعمَلَة هي نفسها. جعلكم تعتقدون أنّ الخديعة تنصبّ على الحجّة في حين أنّها كانت في الحقيقة منصبّة على هُوية الجثة.

أطلق كوساناغي صيغة تعجبية.

- أتتذكّر أنّك يومئذٍ كنت قد أريتني بعد ذلك ورقة حضور إشيغامي؟ كنتُ رأيت فيها أنّه قد تغيّب صبيحة يوم 10، ولم تكُن أنتَ قد أعرت ذلك انتباهاً لأنّك كنت تعتقد أنّه ليس لغيابه ذاك علاقة بالجريمة، لكنّني لاحظتُ ذلك، فالشّيء الذي كان يسعى لإخفائه بأيّ ثمن كان قد وقع بالأمس، أي يوم 9 مارس.

يقصد يوكاوا الجريمة التي ارتكَبَتها ياسوكو هناووكا.

كان سردُ رجل الفيزياء للأحداث منطقياً للغاية. العناصر التي أثارت انتباهه كمثل سرقة الدّراجة الهوائية وعدم احتراق الملابس عن آخرها؛ كلّ ذلك كان أساسياً للوصول إلى الحقيقة، فكان على كوساناغي أن يقبل أنّه قد وقع مع زملائه في الفخّ الذي نصَبَه لهم إشيغامي.

بيد أنّ كوساناغي لم يستطِعْ التّخلّص من شعوره بأنّ ما يسمعه غير حقيقيّ. ارتكاب جريمة لإخفاء جريمة أخرى... أيوجد حقّاً أشخاص قادرون على تصوّر ذلك؟ ولربّما كانت الخديعة المركزية في هذا كلّه هي أنّ كلّ شيء يبدو غير قابلٍ للتّصديق.

- ولهذه الخديعة دلالة ثانية مهمّة، قال يوكاوا وكأنّه قد خمّن ما يُفكّر فيه صديقه. فهي تجعل من تصميم إشيغامي على تسليم نفسه للشّرطة أمراً لا مَحيد عنه ما أن يراها تقترب كثيراً من الحقيقة. ولو لم يكُن قد صمّم العزم على ذلك لكان مُهدّداً بأن ينتابه الخوفُ في

آخر لحظة، ولربّما كان قد كشف السّتر عن الحقيقة بعد استجوابات متعدّدة. بيدَ أنّني لا أعتقد اليوم، وقد سلّم نفسه، أنّه يخشى ذلك، إذ ما عاد في مُتناول أحد أن يُخيفه. ومهما حصل سيُواصل التّأكيد على أنّه القاتل، وهو أمر مفهوم ما دام قد قتل بالفعل الرّجل المجهول الذي عُثر على جثّته في ضفّة كيو-إدوغاوا. هو قاتل ومن الطّبيعي أن يذهب إلى السّجن، وبذلك يستطيع أن يُوفّر الحماية الكاملة للمرأة التي يُحبّها بكلّ شغاف قلبه.

- هو إذاً فهم أنّ كشف السّتر عن خدعته أضحى على وشك؟

- كنت قد أخبرتُه بذلك. كنت قلت له إنّني قد فهمت كلّ شيء، وكنت قلت له ذلك بطريقة هو الوحيد القادر على فَهْمِها، مُستعملاً الكلمات نفسها التي استعملتها لقولها لك أنت. ليس في هذه الحياة الدّنيا ترس غير مفيد، والتّرس هو الذي يُحدّد في أيّ شيء يُمكن أن يُستعمل... أتفهم الآن عمّا أتحدّث عندما أقول ترس؟

- تقصد هذا المجهول الذي استعمله بوصفه القطعةَ التي تُعوز تصميمَه؟

- لقد اقترف فعلاً لا يُغتَفَر، فوجب تسليمُه نفسَه للشّرطة، وقد كنت حدّثته عن التّرس لحضّه على فعلِ ذلك، لكنّني لم أعتقد أنّه كان سيُسلّم نفسه بتلك الطّريقة. أمّا عن كونه قد حماها بادّعاء التّحرّش بها... فإنّني قد انتبهت إلى الدّلالة الأخرى لخدعته هذه عندما علمتُ بالطّريقة التي سلّم بها نفسه.

- أين هي جثّة شينجي توغاشي؟

- لا علم لي. لقد أخفاها إشيغامي. قد تكون اكتُشفت خارج طوكيو، وقد لا تكون.

- خارج طوكيو؟ تُريد أن تقول خارج نفوذنا؟

- نعم، فهو لا يُريد أن تُقام علاقة بين هذه الجثة وشينجي توغاشي.

- لهذا السّبب كنتَ ذهبت لقراءة صحف يومية بالمكتبة؟ كنت تُريد أن تعرف ما إن تمّ العثور على جثّة في مكان ما؟

- أجل، وبحسب علمي فإنّ ذلك لم يحصل، لكنّه سيحصل في نهاية المطاف لأنّه ليس بإمكانه أن يكون قد أخفاها بتلك الدّرجة من الإتقان. بَيْدَ أنّ ذلك لا يُقلقه لأنّ الجثّة لن يُعرف أنّها لشينجي توغاشي.

أجاب كوساناغي أنّه سيُحقّق في ذلك، لكنّ يوكاوا آتى حركة رفض من رأسه وأضاف أنّه سيكون بذلك قد أخلَفَ وعده.

- ألم أقُلْ لك ذلك؟ أنا إن كنتُ قد حدّثتك عن هذا فقد حدّثت فيك الصّديق وليس الشّرطيّ، وإن أقمتَ تحقيقاً اعتماداً على ما حكيته لك سأكفّ عن أن أكون صديقك.

كانت نظرة رجل الفيزياء صارمة فأحسّ كوساناغي أنّه لا مجال لأيّ احتجاج.

- أنا أريد المراهَنَة عليها، قال يوكاوا مواصلاً حديثه وهو يُشير بإصبعه في اتّجاه مطعم الوجبات الجاهزة. فهي ربّما تجهَل الحقيقة وكذا مرامي تضحية إشيغامي، لذلك أُريد أن أُحدّثها عنها وأن أنتظر قرارها. كان إشيغامي يأمل على الأرجح ألّا تكتشف أبداً الحقيقة وأن تعيش سعيدة، لكنّ الأمر عندي لا يُحتَمَل، وعليها أن تكون على بيِّنَة من الحقيقة.

- أتعتقد أنّها ستُسلّم نفسها للشّرطة؟

- لا علمَ لي بشيء، وسأكون كاذباً إن قلتُ إنّني مقتنع بأنّ عليها فعلُ ذلك. عندما أُفكّر أشعر برغبة ما في أن تُفلت بجلدها.

- سأكون مُضطرّاً لبدء التّحقيق إن لم تُسلّم نفسها، حتّى ولو أدّى ذلك إلى وضع نقطة نهاية لصداقتنا.

- هذا لا يُدهشني، قال يوكاوا وهو يهزّ رأسه.

كان كوساناغي يُراقب المحادثة الجارية بين صديقه وياسوكو هناووكا، مُدخناً سيجارة بعد سيجارة. التزمت ياسوكو منذ لحظات وضعيةً واحدة لا تُغيّرها، الرّأس على الكفّ. تتحرّك شفتا يوكاوا لكنّ تعبير وجهه لا يتغير، بيد أنّ التّوتّر النّاجم عن وضعيتهما كان مع ذلك بادياً للعيان.

نهض يوكاوا في نهاية المطاف وأطرق برأسه مُحيياً ياسوكو وسار في اتّجاه كوساناغي، بينما ظلّت ياسوكو ثابتة في مكانها لا تتحرّك. كانت تبدو كأنّها جامدة.

- احتاج هذا منّا وقتاً، قال رجل الفيزياء.

- وهل أنهيت؟

مكتبة
t.me/t_pdf

- نعم.

- ما الذي ستفعله؟

- لا أعلم. حكيتُ لها كلّ شيء من دون أن أطرح عليها أسئلة أو أقدّم نصائح. القرار لها.

- سبقَ أن قلتُ لك ذلك، فهي إن لم تُ...

- لم أنسَ ما قلته لي، قال يوكاوا وهو يُقاطعه بإشارة من كفّه مُنطلقاً في مشيه. لا حاجة إلى تكرار ذلك. لدي أمرٌ أُريد سؤالك فيه.

- مُقابلة إشيغامي، أليس هذا ما تريده؟

جحظت عينا يوكاوا قليلاً.

- أصبتَ في تخمينك.

- بالطّبع، ما دمتُ أعرفك منذ زمن طويل.

- نعرف بعضنا حتّى أنّنا نتفاهم دونما حاجة إلى حديث. وصحيح أنّنا، يا للعجب! حتّى هذه اللّحظة لا نزال أصدقاء! قال يوكاوا مُبدياً تعجّبه مع ابتسامة حزينة.

19

ظلّت ياسوكو جالسة في الكرسيّ غير قادرة على الحركة. كبّلتها حكاية رجل الفيزياء فأُصيبت بصدمة قوية ولم تستطِعْ استعادة رشدها ممّا سمعت، وأحسّت بقلبها رازحاً تحت ثقلٍ كبير.

كان الأمر قد بلَغَ به هذا المبلغ... فكّرت في جارها أستاذ الرّياضيات.

هو لم يقُل لها شيئاً عن الطّريقة التي تخلّص بها من جثّة توغاشي، واكتفى بالقول إنّ عليها ألّا تحمل همّ ذلك. هي تتذكّر نبرته الهادئة وهو يُخبرها في الهاتف بأنّه قد اهتمّ بالأمر وأنّ كلّ شيء مرّ في ظروف جيدة وأنّ عليها ألّا تقلق.

كانت قد استغربت عندما سألتها الشّرطة إن كانت لها حجّة خاصّة باليوم الموالي للجريمة. وكان إشيغامي قد قدّم لها توجيهات دقيقة عمّا عليها فعله مساء ذلك اليوم: الذّهاب إلى السينما والعشاء في مطعم المعكرونة قبل قضاء بعض الوقت في صالون الكراوكي، ثمّ مُهاتفة تلك الصّديقة في وقت متأخّر من اللّيل، فأطاعته من دون أن تفهم قصده. وعندما استُجوبت أجابت بالحقيقة مُفكّرة في أنّه كان بودّها أن تسألهم لماذا يطرحون عليها هذه الأسئلة، ولماذا يُحدّثونها عن 10 مارس؟

وهي الآن تعرف. فإشيغامي كان قد رتّب كلّ شيء كي يتركّز اهتمام الشّرطة على هذا اليوم، لكن تصميمه كان رهيباً. أنصَتَت ليوكاوا مُفكّرة في أنّ ما يقوله يُفسّر كلّ شيء، لكنّها لم تُفلح في تصديق ما تسمعه. لم تستطِع تصديقه، رافضة فكرة أن يكون إشيغامي حقّاً ما كانه بالنّسبة إليها حتّى هذه اللّحظة وأن يكون مستعدّاً للتّضحية بحياته من أجل امرأة في سنّها، عادية، لا تتمتّع بجمال خاصّ، ولا تملك شيئاً ذا أهمية. لم تجد ياسوكو من نفسها القوة لقبول هذه الحقيقة.

أخفَت محيّاها رافضة الاستمرار في التّفكير. قال لها يوكاوا إنّه لن يُخبر الشّرطة بشيء ممّا قاله لها وإنّها حرّة في اختيار ما تشاء القيام به، ما دام ما قاله ليس سوى افتراضاتٍ لا شيء يدعمها، فلامته على أنْ وضَعَها أمام اختيار هو بهذا القدر من القسوة.

لم تكُن تعرف ما عليها فعلُه فظلّت جالسة جامدة على الكرسيّ من دون أن تجد من نفسها القدرة على النّهوض إلى أن أحسّت بكفّ توضَع على كتفها، فرفعت رأسها مُتفاجئة.

كان شخص يقف بجانبها فتعرّفت إلى كودو وهو ينظر إليها بقلقٍ.

- ماذا وقَعَ لكِ؟

لَزِمَها وقت كي تفهم سبب وجود كودو ها هنا. تذكّرت موعدهما، فبما أنّها لم تأتِ خرج للبحث عنها قلقاً من عدم رؤيتها مقبلة.

- ألتمِسُ عذرك. أنا... أنا مُنهكة.

لم يتبادر إلى ذهنها أيّ تبرير آخر غير هذا. وعلى أيّ حال، فهي كانت تشعر بنفسها مُفرّغة، ليس بدنياً فحسب وإنّما ذهنياً أيضاً.

- أتشعرين بشيء؟ سألها كودو بلطف.

بدا صوته لياسوكو غبياً، واكتشفَت أنّ الجهل بالحقيقة بإمكانه أن يكون خطيئة، قائلة في سرّها إنّها كانت مذنبة بسبب هذا الجهل الذي استمرّ إلى حدود لحظات قبل الآن.

- لا، أنا في حالٍ جيدة، أجابَت وهي تُحاول النّهوض فترنّحت فمدّ كودو ذراعه ليسندها، وشكرته.

- ماذا حصل؟ أنت لا تبدين على سجيتك!

حرّكت ياسوكو رأسها غير قادرة على أن تُفسّر له، إذ لم يكُن بمستطاعها قول شيء لأيّ كان.

- لا شيء. كنت جلست لأنّني شعرتُ ببعض التّعب، لكن حالي أحسن الآن.

سخّرت طاقتها كلّها لتبدو نبرتها عادية، لكنّها لم تُفلح.

- سيارتي مركونة قريباً من هنا. ليس عليكِ إلّا أنّ ترتاحي قليلاً ثمّ سيكون بإمكاننا الذّهاب.

أدارت رأسَها نحوه.

- الذّهاب إلى أين؟

- لقد حجزتُ مائدة في المطعم للسّاعة السّابعة، لكن لا بأس إن تأخّرنا نصف ساعة.

- آه...

جعلتها كلمة «مطعم» تشعر وكأنّها تعيش في بُعدٍ آخر. أيُريد الذّهاب إلى المطعم للعشاء؟ أسيكون عليها أن تتحكّم في الشّوكة والسّكين كما ينبغي مع بسمة مُصطنعة على محياها، ورأسها مليء بما سمعته لتوها؟ لكنّ كودو لم يكُن له بالطّبع أيّ دخل في هذا كلّه.

- أنا متأسّفة للغاية، قالت، لن أستطيع القيام بذلك وأُفضّل أن

نترك هذا العشاء إلى يوم آخر تكون فيه حالي أحسن. أنا اليوم لا أعتقد أنّني...

- مفهوم، قال كودو وهو يُقاطعها بحركة من كفّه. أنتِ على حقّ. يُستحسنُ تأجيلُ هذا إلى مرّة قادمة. أنت مُتعَبَة بعد كلّ ما حصل، وهو أمر طبيعيّ. استريحي فقد عشتِ أيّاماً صعبة. لقد أخطأتُ إذْ لم أتركِكِ تستعيدين نفَسَك. كان عليّ أن أُفكّر في هذا، فمعذرة.

أكبَرَت ياسوكو فيه كرَمَه وهي تستمع إليه يعتذر بهذا اللّطف. إنّه يشغل نفسه حقّاً بحالها، وهي لا تفهم لمَ ليس باستطاعتها أن تكون سعيدة بينما هي مُحاطة بهذه الطّيبة كلّها.

جعلت تمشي مُستندة إلى كودو الذي كانت سيارته مركونة على حافة الرّصيف على بُعد أمتار معدودة. اقترح عليها نقلها إلى بيتها، فقبلت، مُسرّة لنفسها أنّه كان عليها ألّا تقبل. بدت لها الطّريق التي ستقطعها عائدة إلى بيتها بلا نهاية.

- هل أنتِ متأكّدة أنّك على ما يُرام؟ لا تتردّدي من فضلك في إخباري إن كان ثمّة شيء، كرّر كودو قائلاً ما أن جلسا في السيارة.

ربّما كان عادياً أن يقلق عليها وهو يراها في هذه الحال.

- لا عليك، ستتحسّن الحال. أنا متأسّفة حقّاً، أجابت مع ابتسامة، باذلة مجهوداً بدا لها فوق طاقة البشر.

كانت ياسوكو تُؤاخذ نفسها على كلّ كبيرة وصغيرة، ما جعلها تُفكّر في سبب إصرار كودو على لقائها اليوم؟

- ألم تقُل إنّك كنت تُريد لقائي لإخباري بأمرٍ مهم؟

- أوه... نعم، هذا صحيح، أجاب وهو يُنكّس بصره، لكنّني سأترك ذلك إلى فرصة أخرى.

- أنت متأكّد؟

- أجل، قال وهو يُدير المحرّك.

جعلت ياسوكو تنظر من النّافذة مُهدهَدة بحركة السّيارة. كانت الشّمس قد غربت وبدأ اللّيل يُرخي أسداله، فتمّنت لو كان اللّيل سرمدياً وكفّ الوجود عن الوجود.

أرسى السّيارة قبالة مسكنها.

- استريحي جيداً من فضلك، وسأتّصل بك.

- نعم، أجابت وهي تمدّ كفّها إلى مقبض باب السيارة.

- انتظري، قال كودو آمراً.

التفتت نحوه فرأته يُمرّر لسانه على شفتيه وهو ينقر على المقود، ثمّ وضع كفّه في أحد جيوب سترته.

- أعتقد أنّني أُريد أخيراً أن أقول لكِ ما كنت أودّ قوله.

- ما هو؟

أخرج من جيبه علبة صغيرة فعرفت على الفور ما فيها.

- لم تكن لي الرّغبة حقّاً في أن أُمثّل هذا المشهد الذي غالباً ما نراه في المسلسلات التّلفزيونية، وآمل ألّا تري فيه سوى شكلٍ من أشكال التّعبير، قال مُفسّراً وهو يفتح العلبة.

كان فيها خاتم مُزين بألماسة برّاقة.

- لكن... قالت وهي تنظر إلى الخاتم مُندهشة.

- أنا لا أطلب منكِ الإجابة فوراً. عليكِ بالتّفكير في ميساتو وفيما عليكِ القيام به أنتِ نفسك. لكنّني أصررتُ على أن تعرفي أنّني جادّ وأنّني متأكّد من قدرتي على إسعادكما معاً، ثمّ أمسكَ بكفّ ياسوكو كي يُسلّمها العلبة. يُمكنكِ قبوله من دون أن تشعري بأنّ ذلك يُلزمكِ بهذا الأمر أو ذاك. إنّه مجرّد هدية، لكن إن أخذتِ

القرار بأنّك تُريدين قضاء ما تبقّى من حياتكِ بصحبتي، فستغدو له دلالة أُخرى. هلّا تفضّلت بالتّفكير فيما قلته لك؟

لمّا شعرت ياسوكو بحجم العلبة في راحتها راودها إحساس بأنّها غير قادرة على تحديد ما تُريد. كانت الدّهشة قد بلغت بها كلّ مبلغ فلم تستطِعْ استيعاب حتّى نصف ما قاله كودو لتوه، لكنّها كانت قد تبيَّنت الأساسيّ، أي السّبب الحقيقيّ الذي جعلها تتبلبل.

- أنا ألتمسُ عذركِ. لقد تسرّعت، قال مع إصدار بسمةٍ خجولة. لك كلّ الوقت كي تُفكّري ويُمكنكِ أن تسألي ميساتو رأيها. ثمّ أغلقَ العلبة. افعلي ما بدا لكِ.

لم تجِر ياسوكو جواباً وجعَلَت الأفكار تزّاحم في ذهنها. راحت تُفكّر أيضاً في إشيغامي؛ بالخصوص في إشيغامي.

- سأفكّر في الأمر... استطاعت أن تقول في الأخير.

حرّك رأسه وقد بدا عليه الارتياح ونزلت من السّيارة.

نظرت إليه يبتعد ثمّ قرّرت الالتحاق بشقّتها. ألقت نظرة على باب شقّة جارها وهي تفتح بابها. كانت علبة بريد إشيغامي تعجّ بالرّسائل لكنّها لم ترَ جرائد. من المفروض أن يكون قد علّق انخراطه فيها قبل تسليم نفسه للشّرطة، ولم تستغرب ذلك ما دام أمراً طبيعياً عند إشيغامي التّفكيرُ في كلّ كبيرة وصغيرة.

لم تكن ميساتو قد عادت بعد. جلست ياسوكو وأطلقت تنهيدة طويلة ثمّ ذهبت فجأة لتفتح درجاً من دولابها وأخرَجَت من عمقه علبة حلويات وفتحتها. كانت تُرتّب فيها الرّسائل التي تُقرّر الاحتفاظ بها، فأمسكت بظرفٍ كان يعلو حزمة الرّسائل وفتحته واستخرجت رسالة غنيّة بالكلمات.

كان إشيغامي قد سلّمها لها مع الرّسائل الثّلاث الأخرى قبل أن

يُهاتفها لآخر مرّة. كان هدف هذه الرّسائل هو إثبات أنّه يتحرّش بها، وهي الآن بين يدي رجال الشّرطة.

كانت الغاية من هذه الورقة هي تقديم توجيهات مُدقّقة لها عن الطّريقة التي عليها أن تستخدم بها الرّسائل الثّلاث، وما يجب أن تُجيب به رجال الشّرطة، كما كان يوجد بها أيضاً توجيهات خاصّة بميساتو. كانت هذه التّفسيرات المفصّلة تُبيّن حدبه على ياسوكو وابنتها وتصميمَه على عدم تركهما فريسة للقلق. وبفضل هذه الرّسالة كانت الأمّ وابنتها قد استطاعتا مواجهة رجال الشّرطة من دون تردّد. كانت ياسوكو تُجيبهم مُفكّرةً في أنّها إن تركتهم يشكّون في صدق ما تقول، ستكون قد ضربت عرض الحائط بكلّ الجهود التي بذلها إشيغامي، وكانت ميساتو قد أسرّت لنفسها على الأرجح بالشّيء ذاته.

كان إشيغامي قد أنهى تفسيراته بهذه الأسطر:

أعتقد أنّ كونياكي كودو رجل شريف يستحقّ ثقتكِ. فإنْ اقترنتِ به من المحتمل أن تكونا سعيدتين أنت وميساتو. أرجوك أن تنسيني وألّا تعتبري نفسك مذنبة، فلن يكونَ لما قمتُ به أيّ جدوى إن لم تعيشي عيشة راضية.

ترقرقت عيناها بالدّموع وهي تُعيد قراءة هذه السّطور.

لم يسبق لأحد قطّ أن أحبّها بهذه الطّريقة، أو بالأحرى لم يسبق لها قطّ أن تخيّلت أنّ بإمكان شخص أن يُحبّ بهذه الشّاكلة. فإشيغامي كان يُخفي تحت مظهره اللّامبالي قدرة هائلة على الحبّ.

لمّا كانت قد علمت بتسليمه نفسه للشّرطة قالت في سرّها إنّه قد

فعل ذلك بدلاً منهما. والآن، بعد أن استمعت إلى يوكاوا، كان تأثّرها مُضاعفاً بالعواطف التي أعرب عنها إشيغامي في رسالته.

ستذهب لتحكي كلّ شيء للشّرطة، لكنّ ذلك لن يُنقذه لأنّه ارتكب جريمة قتل.

حطّ بصرُها على العلبة التي سلّمها إياها كودو ففتحتها وتأمّلت الخاتم. ما دام الوضع على ما هو عليه، أليس أجدى لها أن تستمسك بإمكانية العيش في سعادة؟ حتّى ولو فقط لتحقيق أمنية إشيغامي، لأنّها بتخلّيها عن ذلك -كما كتب لها- تكون تضحيته قد ذهبت هباء.

ما عادت من إمكانية لإخفاء الحقيقة، فكيف إذاً ستستطيع العيش في سعادة؟ من المفروض أن تقضي الباقي من حياتها مُستشعرة ذنبها غير قادرة أبداً على أن تحظى بالسّكينة. لكنّها إن استطاعت التّحمّل فسيكون بإمكانها على الأقلّ التّكفير عن ذنبها.

مرّرت الخاتم في إصبعها، فبدت لها الألماسة متألّقة. لَكَانت شعرت بسعادة غامرة لو كان بإمكانها الارتباط بكودو ذي القلب الطّيب، لكنّ هذا ما عاد اليوم سوى حلم مستحيل. هي ليست جديرة بالسّعادة. وإشيغامي من جانبه كان أيضاً ذا قلب طاهر.

رنّ الهاتف لحظة وضعها الخاتم في إصبعها. نظرت إلى الرّقم على الشّاشة فلم تعرفه.

- ألو! أجابت.

- ألو، أنت السّيدة ياسوكو هناووكا؟ سألها صوت ذكوريّ لم يسبق لها سماعه.

- نعم، قالت، وقد اجتاحها شعور مُسبق سيّئ.

- اسمي ساكانو، أُهاتفك من إعدادية موريشيتا مينامي.

- هل حصل شيء لميساتو؟

- لقد عُثر عليها فاقدة الوعي خلف قاعة الرّياضة. و... أوه... يبدو أنّها قد قطعت شرايين معصمها.

- ماذا؟ سألت ياسوكو متعجّبة وهي تشعر بقلبها يخفق.

- نزفت دماً كثيراً، وقد نُقلت على الفور إلى المستشفى. اطمئنّي فحياتها ليست في خطر. غير أنّ من المرجّح أن تكون للأمر علاقةٌ بالانتحار فأردنا أن تكوني على علم بذلك...

وما كادت ياسوكو بعد ذلك تسمع باقي الكلمات التي تلفّظ بها مُخاطبها.

كان الجدار عامراً باللّطخات فاختار نقطاً منها وربط بينها ذهنياً بخطوط مستقيمة فانبثق من ذلك شكلٌ هو تجميعٌ للمثلّثات والمستطيلات والمعينات. بعد ذلك لونها بأربعة ألوان، مُتجنّباً تلوين شكلين مُتجاورين باللّون نفسه. هذا أيضاً كان قد قام به ذهنياً.

استطاع فعل ذلك في أقلّ من دقيقة، ثمّ مسح الأشكال من ذهنه وحاول إعادة الكرّة بانتخاب نِقاط أخرى. لم يكن هذا التّمرين مُعقّداً، ولم يكن يَتعب منه. وعندما يملّ كان يتخيل مسائل من الهندسة التّحليلية، فحساب إحداثياتِ كلّ اللّطخات سيتطلّب منه من دون شكّ زمناً معتبراً.

فكّر أنّ فقده حريتَه الجسدية لا يُغير من الأمر شيئاً، وستكفيه ورقة وقلم للقيام بمسائله الرّياضية. وحتّى لو كبّلوا ساقيه وذراعيه ومنعوه من الرّؤية والسّمع، فإنّ بإمكانه المواصلة بذهنه، لأنّه ليس بمستطاع أيّ كان إدراكُ دماغه. مِلكُهُ جنّةٌ لا نهائية، وجذر

الرّياضيات ممتدٌّ فيه فلا يغدو في حاجة إلى الكثير كي يستغلّه أحسن استغلال.

أسرّ لنفسه من جديد أنّه ليس بحاجة إلى اعترافٍ من أحد، وأنّ مُنتهى طموحه كان أن ينشر مقالاته وأن تُقوّم. بيد أنّ جوهر الرّياضيات شيء آخر. من المهمّ معرفة من استطاع بلوغ القمّة الأول، لكن الأهمّ من ذلك هو أن يكون الرّائد على بينة ممّا قام به.

وقد لزمه وقتٌ كي يصل إلى هذه الحال التي هو فيها الآن. فإلى زمن قريب كانت الحياة تبدو له مجرّدة من كلّ معنىً، وكانت الرّياضيات هي الشّيء الوحيد الذي يحظى باعتباره، إذ لم يكُن يرى فائدة من الاستمرار في العيش إن لم يكن بإمكانه تكريس حياته لها، وكان يُفكّر كلّ يوم في الموت، وموته لن يُحزن أحداً أو يُضايقه، بل الأدهى أنّ لا أحد سينتبه إليه حتّى.

حصل ذلك منذ سنة. كان إشيغامي بشقّته يحمل في يده حبلاً باحثاً عن مكان يُعلّقه فيه، لكنه لم يعثُر في بيته على مكان مُناسبٍ لذلك، فانتهى به الأمر أن دقّ مسماراً في عارضة، وكان قد تأكّد لتوّه من قدرة المسمار على تحمّل وزنه فصرّت العارضة لكنّ المسمار ظلّ على صلابته ولم ينقطع الحبل.

لم يكُن آسفاً على شيء، ولم يكُن في حاجة إلى أسباب أخرى كي يموت أكثر من أنّ الاستمرار في العيش لا مسوّغ له.

علا كرسياً، وفي اللّحظة التي همّ فيها بتمرير رأسه داخل المشنقة دقّ جرس الباب.

كان دقُّ الجرس هذا قد أنقذَ حياته.

ذهب ليفتح الباب حاملاً همّ ألّا يُقصّر في حقّ أحد، ذلك أنّ الشّخص الموجود وراء الباب قد يكون في حاجة إلى مساعدته.

رأى امرأتين وخمّن أنّهما أمّ وابنتها.

فسّرت له الأمّ أنّهما قد حلّا لتوهما بالشّقة المجاورة، ونكّست ابنتها رأسها لتحيته، فارتعش أمر ما بداخله وهو يراهما.

وجد عيونهما جميلة رائعة. وهو حتّى تلك اللّحظة لم يكن قد سبق للجمال أن كان له عليه سُلطان. لم يكن يفهم للفنّ دلالة، لكنّ الحال أضحت فجأة مُغايرة، فانتبه إلى أنّ الجمال الفنّي يُعادل في طبيعته جمال مسألة رياضية وُجد لها الحلّ.

لم يحتفظ إشيغامي في ذاكرته بوضوح بالحديث الذي كان قد دار بينهم، لكنّه يتذكّر بدقّة مُتناهية حركة عيونهما والطّريقة التي رقّت بها.

كان مَقدَم آل هناووكا قد غيَّر مجرى حياته، فاختفَت رغبته في الموت واستعاد طعمَ الحياة. راح يلتذّ بتخيّله ما هما خائضتان فيه، وفي نظام إحداثيات الكون كانت نُقطتا ياسوكو وميساتو موجودتين، فبدا له ذلك إعجازياً.

كانت سعادته تبلغ ذروتها أيام الآحاد، إذ كان يكفيه أن يفتح نافذته ليسمع صوتيهما. لم يكُن يستطيع تمييز مضمون أحاديثهما، لكنّ صوتيهما اللذين يأتيه النّسيم بهما كان لهما على أذنيه وقعُ أجمل موسيقى.

لم يكُن له أيّ طموح في التّقرّب منهما، وكان الأمر قد بلغ به أن فكّر أنّ عليه ألّا يُقدِم على أيّ شيء، مُكتشفاً أنّ العلاقة التي يُقيمها معهما هي شبيهة بتلك التي يُقيمها مع الرياضيات. كان سعيداً بأنّه على اتّصال بما يعدّه سعادة مُطلقة، وقدّر أنّ أيّ مُحاولة لإقامة علاقة مُعلَنَة معهما سيكون من قبيل المسّ بكرامتهما.

بدا له تقديمُ العون لهما أمراً مفروغاً منه، إذ هو مَدين لهما بحياته. لم يكُن يشعر أنّه يُضحّي من أجلهما وإنّما هو يردّ بطيبته على

طيبتهما. لم تكونا على الأرجح قد انتبهتا لسلوكه، ولم يكُن لذلك أيّ قيمة عنده. لا يمكننا أحياناً أن نعيش بكرامة إلّا لأنّ شخصاً ما أنقَذَ حياتنا.

وعندما رأى جثّة توغاشي كان قد وضعَ خطّته سلفاً.

سيكون من الصّعب التّخلّص من الجثة بصفة نهائية، ولم يكُن بإمكان كلّ الجهود الممكنة أن تُقصي احتمال التّعرّف على هُويتها. وحتّى لو وقعت المعجزة وحصل شيء من ذلك فإنّه لن يُوفّر هناء البال لجارتيه وستعيشان خائفتين من أن يتمّ العثور يوماً على الجثة، فكان لا يتحمّل فكرة أن تعيشا رازحتين تحت ثقلٍ مثل هذا.

ليس ثمّة إلّا وسيلة واحدة لضمان سكينتهما، وهي ألّا تكون لهما أيّ علاقة بهذه الحكاية. يُمكن أن تظهرا وكأنّ لهما دخلاً فيها، لكن لا بدّ من ابتداع خطّ مستقيم لا يتقاطع أبداً مع هذا الحادث.

عندئذٍ كان قد قرّر استعمال «المهندس».

ذاك الرّجلُ الذي كان قد بدأ لتوه حياته في مخيم المتشرّدين على قدم جسر شين-أوهاشي.

اقترب منه إشيغامي صبيحة يوم 10 مارس، وكان جالساً كعادته مُتنحياً عن رفقائه سيّئي الحظ.

اقترح عليه عملاً، مُراقباً في ورش بأعالي النّهر لبضعة أيام. وكان إشيغامي قد علم أنّ «المهندس» سبق له أن عمل في الأشغال العمومية.

أراد مُخاطبُه معرفة لِمَ اختاره هو دون غيره، ففسّر له إشيغامي أنّ الأمر معقّد بعض التّعقيد، فالشّخص الذي كان يقوم بذلك حصل له حادث وسيتوقّف الورش عن العمل إن لم يُعوَّض، فوجب العثور على بديل.

قَبِلَ «المهندس» عندما سلّمه إشيغامي خمسة آلاف ين فقادَه إلى الغرفة التي كان توغاشي قد حجزها وألبسه ملابسَ زوج ياسوكو السّابق وأمره بالانتظار إلى أن يحلّ المساء.

عندما أقبل اللّيل ضرب له موعداً بمحطّة ميزوي، وكان إشيغامي قد سرق قبل ذلك دراجة من أمام محطّة شينوزاكي، اختارها درّاجة جديدة لأنّه أراد أن يتمّ الانتباه إلى السّرقة.

وكان أيضاً قد أعدّ درّاجة ثانية سرقها من محطّة إشينوي، قبل محطّة ميزوي مباشرة. كانت قديمة غير معقولة بطريقة جيدة.

جعل «المهندسَ» يركب الجديدة ودوّسا في اتّجاه حافة الكيو-إدوغاوا.

كان يشعر بمزاجه يعتكر كلّ مرّة يتذكّر فيها ما حصل بعد ذلك. فحتّى لحظة لفظِ المهندس أنفاسَه الأخيرة لم يكن قد فهم على الأرجح لِمَ عليه أن يفقد حياته بهذه الشّاكلة.

ما كان على أحد أن يعرف بهذه الجريمة الثّانية، وخصوصاً هناووكا، لذلك كان قد استعمل الأداة نفسها وخنقه بالطّريقة نفسها.

قطّع جسدَ توغاشي في حمّام بيته إلى ستّة أجزاء قذَفَ بها، مُثَقّلةً، في نهر السّوميدا من ثلاثة أماكن مُختلفة، تحت جنح الظّلام، وقد لزمته ثلاثة أيام للقيام بذلك. سيتمّ اكتشاف هذه الأجزاء ذات يوم، لكنّ ذلك لا يُقلقه لأنّ رجال الشّرطة لن يستطيعوا تحديد هويتها. كان يرى أنّ توغاشي قد مات، ولا أحد يموت مرّتين.

يوكاوا على ما يبدو هو الوحيد الذي وصل إلى فَهم هذه الخدعة، وهو ما أدّى بإشيغامي إلى تسليم نفسه للشّرطة. هو كان مُستعدّاً لتسليم نفسه منذ أوّل وهلة، وكان قد أعدّ العدّة لذلك.

سيُحدّث يوكاوا كوساناغي في ذلك على الأرجح، وسيُحدّث كوساناغي رُؤساءه، لكن الشّرطة لن تستطيع القيام بشيء، لأنّ الوقت فاتَ على إثبات الخطأ على الضّحية. كان إشيغامي قد فهم أنّه على وشك الوقوع، فما عادَ ممكناً العودة إلى الوراء، كما أنّه لم يكُن يرى أيّ سبب معقول للقيام بذلك. إن قيمة اعترافات القاتل أعلى بكثير من قيمة حدوس رجل الفيزياء النّابغة.

أسرّ إشيغامي لنفسه أنّه قد انتصر.

سمِع دقَّ الجرس الذي يُعلن وصولَ شخص ما إلى الممرّ الذي توجد به الزّنازين، فوقف حارس وسُمع صدى أصوات ثمّ انفتح الباب وظهر كوساناغي واقفاً أمامه.

أمَرَ الحارس إشيغامي بالخروج وفتّشه ثمّ سلّمه لكوساناغي الذي لم يكن قد تلفّظ بكلمة واحدة خلال ذلك.

وفي لحظة مُغادرتهما للممرّ نظر كوساناغي نحو إشيغامي.

- كيف حالك؟

هذا الشّرطي يسأله بلطف، فهل لذلك دلالة ما؟ لم يفقه إشيغامي لذلك معنىً ولم يدرِ أيضاً ما إن كان كوساناغي قد اعتادَ عدم التّخلي عن لُطفه في كلّ الأحوال.

- يجب أن أقول إنّني مُتعب قليلاً وأُحبّ لو مضى كلّ شيء بسرعة.

- في هذه الحال سيكون هذا الاستجواب هو الأخير، فأنا أُريد مُواجهتكَ بشخص.

قطّب إشيغامي حاجبيه. مَن يكون هذا الشّخص؟ هو ليس بالتّأكيد ياسوكو.

توقّفا أمام بابٍ فتحه كوساناغي فلمح مانابو يوكاوا الذي أدارَ نحوه وجهاً قاتماً.

هو ذا آخر حاجز، فكّر وهو يتخفّف من توتّره.

تواجه الرّجلان الألمعيان بصمت، تفصل بينهما طاولة، بينما وقف كوساناغي يُراقبهما ظهره إلى الجدار.

- لقد هزلت قليلاً على ما يبدو، قال يوكاوا مُبتدئاً الحديث.

- أتعتقد؟ أنا آكل مع ذلك كما ينبغي.

- يُطمئنني تأكيدكَ ذلك، لكن... ثمّ قطع كلامه ومرّر لسانه على شفتيه. ألا يُزعجك أن تُعتَبَر مُتحرّشاً؟

- لستُ متحرّشاً، وإنّما كنت أحمي ياسوكو هناووكا من دون أن أُلفت الانتباه. كثيراً ما قلت هذا.

- أعرف، وأعرف أيضاً أنّك ما زلتَ تقوم بذلك.

ظهر على محيا إشيغامي تعبيرُ عدم الرّضا فرفَعَ رأسه نحو كوساناغي.

- أنا لا أدري كيف يُمكن لحديثٍ مثل هذا أن يمشي بالتّحقيق قُدماً.

لم يُجب كوساناغي بشيء.

- لقد أخبرتُه اعتماداً على حدسي وحدّثته عمّا قُمتَ به بالفعل وعن الرّجل الذي قتلته، أضاف يوكاوا.

- لا أحد يُمكنه منعكَ من ذلك.

- وقد حدّثتُ ياسوكو هناووكا في ذلك.

ميَّز إشيغامي وجهه دهشة غير أنّه سُرعان ما عوّض ذلك ببسمة خفيفة.

- هل أعربَت عن بعض الشّعور بالذّنب؟ وهل أبانت تُجاهي عن اعتراف بالجميل؟ أنا أعتقد بالأحرى أنّها واصلت حديثها، من دون خجل، بينما كنتُ جعلتها تتخلّص من شخص طالما أزعجها.

انقبض قلب كوساناغي وهو يراه يلبس دور الشّرير، لأنّه لم يكن بإمكانه إلّا أن يشعر بالإعجاب تُجاه رجل قادرٍ على هذا الحب كلّه.

- تبدو مُصدّقاً أنّك ما لم تقُل الحقيقة فإنّها لن تُكتشف أبداً، لكنّك مُخطئ، قال يوكاوا. لقد اختفى رجل يوم 10 مارس، وهو رجلٌ لم يسبق له أن ارتكب أيّ جرم. فإن تمّ التّعرّف على هويته، وإن عُثر على عائلته، فسيكون ممكناً إقامة اختبار للحمض النّووي، فإن كان مُوافقاً لحمض الجثة التي اعتُبرت جثّةَ شينجي توغاشي، عُرف صاحبها.

- أنا لا أفهم شيئاً ممّا تحكيه، ردّ إشيغامي مُصدراً بسمة شرّيرة. أنا لا أعتقد أنّ لهذا الرّجل عائلة. وحتّى لو سلّمنا بوجود منهجيات أخرى للتّعرّف على هوية الجثة، فإنّ من الصّعب القيام بذلك وسيستغرق الأمر وقتاً طويلاً، فتكون مُحاكمتي قد انتهت قبل ذلك، ولن أستأنف أبداً، وسيضع إنهاء المناقشات حدّاً للحكاية، فتكون قضية قتل شينجي توغاشي بذلك قد انتهت. ثمّ نظر في وجه كوساناغي. أم ربّما ستغير الشّرطة موقفها بسبب أُطروحة يوكاوا؟ في هذه الحال وجب تمتيعي بحرّيتي، لكن لأيّ سبب؟ ألأنّني لست مُذنباً؟ أنا مُذنب، فماذا عساكم تفعلون باعترافي؟

أطرق كوساناغي برأسه، فإشيغامي ما قال إلّا الحقّ. وما دام مُستحيلاً إثباتُ أنّه قد كذب فإنّ الأمور ستتّبع مجراها المعتاد، فالشّرطة تشتغل بهذه الشّاكلة.

- لدي سُؤال واحد، قال يوكاوا.

رفع إشيغامي رأسه نحوه كما لو كان يتحدّاه.

- أنا آسف على استعمالك ذكاءك الملحوظ في هذا. أنا حزين جدّاً لذلك. أشعر كما لو كنت أفقد بصفة نهائية أحسن أعدائي، والذي لا يُمكن لأحد آخر أن يُعوضه.

زمّ إشيغامي شفتيه ونكّس بصره. كان يبدو وكأنّه يُقاوم أمراً ما.

- يبدو أنّه ما عاد له شيء يقوله لي، فهل بإمكاننا وضع حدّ لهذا الحوار؟

التفت كوساناغي ببصره نحو يوكاوا الذي واصل التزامه الصّمت.

- هيّا بنا، قال كوساناغي وهو يفتح الباب. خرج إشيغامي في البداية متبوعاً برجل الفيزياء.

ولحظة انطلاق الرّجلين نحو الزّنازين، من غير يوكاوا، مرق كيشيتاني من زاوية الممرّ مرفوقاً بامرأة.

إنّها ياسوكو هناووكا.

- ماذا تفعل هنا؟ سأل كوساناغي زميله الشّاب.

- حسن... هي هاتفتني لأنّ لديها أمراً تُريد إخباري به، وقد حكَت لي شيئاً لتوها...

- استمعتَ إليها بمفردك؟

- كلا، كان الرّئيس معي.

التفت كوساناغي لإشيغامي فرآه شاحباً محمرّ العينين، ثمّ التفت إلى ياسوكو.

- لكن لماذا...

مكتبة
t.me/t_pdf

تحلّل وجه ياسوكو الجامد وجعلت تبكي. مشت إلى أن اقتربت من إشيغامي وارتمت على قدميه.

- أستميحكَ العذر. أنا آسفة. كلّ ما قمتَ به من أجلي... من أجلي...

كان ظهرها يهتزّ ارتعاشاً.

- ما هذا الذي تقولينه. أنتِ... أنتِ... تهذين، قال إشيغامي وكأنّه يتلفّظ بتعويذة.

- أنتَ أردت سعادتنا أنا وابنتي بينما أنت... لكن ذلك غير ممكن. أنا أيضاً سأكفّر عن جريمتي وسأتحمّل عقابي، معك. لا يُمكنني القيام بأكثر من ذلك، لا يُمكنني فعل أكثر من هذا من أجلك. أنا أسألك المغفرة.

ثمّ سجدت أمامه.

ابتعد إشيغامي مُؤتياً حركة رفض من رأسه وقد ميّز الحزن قسماته.

توقّف ودار نصف استدارة وأمسك برأسه بين كفّيه.

أطلق صرخة جشّاء شبيهة بصرخة كاسر متوحّش اختلط فيها اليأس بالاضطراب، ما اقشعرّت له أبدان سامعيه.

أقبَلَ حارس مُستعدّاً للقفز عليه.

- دعه وشأنه، قال يوكاوا. دعه على الأقلّ يبكي.

وضع يوكاوا ذراعه على كتف إشيغامي.

واصلَ صُراخه، فحصل لكوساناغي انطباع بأنّ إشيغامي آخذٌ في الانفصال عن روحه.

انضم إلى مكتبة .. اضغط اللينك t.me/t_pdf

كيغو هيغاشينو

تفاني المشتبه به X

إلى أيّ حد مستعدّون للذهاب من أجل الحب؟

يُكنّ إشيغامي، أستاذُ الرّياضيات الموهوب، لجارته الجميلة ياسوكو، حبّاً صادقاً وعميقاً يضفي إثارة على حياته الرتيبة. فيُساعدها ذات مساء على التخلُّص من جثّة زوجها السابق، وعلى طمس آثار الجريمة، باختلاق أدلّة وابتكار حجج تُبرّئ ساحتها. إلّا أنّ البروفيسور يوكاوا، الخبيرَ الفيزيائيّ والرفيق القديم لإشيغامي، يدخل المشهد فيغيّر مجرى الأحداث ويعقّد عليهما المهمّة.

هذه الرواية الساحرة، الحاصلة على عدة جوائز في اليابان، من بينها جائزة ناووكي المرموقة، تلجُ بنا أعماق المجتمع الياباني العجيب، حيث يطغى الحياء والانضباط على سلوك الأفراد، ويبدو كلّ شيء وكأنّه يحدث في خفوت وصمت ورقّة، حتّى الجريمة!

حكاية آسرة، شخصيّات جذّابة، نهاية مؤثّرة، وقراءة مشوّقة تجعلنا نطرح على أنفسنا السؤال الأبدي نفسه: إلى أيّ حد مستعدّون للذهاب من أجل الحب؟

X X X

كيغو هيغاشينو، من مواليد أوساكا عام 1958. ينعم بشعبية عارمة في اليابان حيث يتربّع على عرش الكتابة التشويقية، ويُعدّ ثانيَ أكثر كاتب مقروءٍ بعد موراكامي العظيم. رواية **تفاني المشتبه به X** هي أوّل عمل له يُترجم إلى اللغة العربية.

صورة الغلاف: © Shutterstock

ISBN 978-9953-68-921-0

t.me/t_pdf

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com